الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله تعالى عليه- والوقت الآن لا شك أنه لا نتمكن فيه من قراءة الفتوى كاملة، لكن بعون الله تعالى سنقرأ المقدمة كاملة إن شاء الله -عزَّ وجلَّ-، وهي الأهم في الكتاب.

فيما يتعلق بالنقول، النقول طويلة، ومِن العَسر أن تقرأ في يوم واحد كما تعلم، لأجل ذلك بإذن الله -عزَّ وجلَّ- سنأخذ المقدمة بالذات، وهي -في الحقيقة- تعدُّ كتابًا برأسها. النقول إذا وصلنا إليها -إن شاء الله تعالى- سنتحدث عنها إجمالًا، ثم إن شاء الله تعالى، إن يسر الله سننتقل لموضع أخير في الفتوى.

فالنقول منها ما يصل إلى صفحات متوالية وهي أشبه ما تكون بكتاب أو فتوى مستقلة، مثل نقل عن ابن خفيف الشيرازي في أطول ما نَقل، فمن العَسِر أن يُؤخذ، خاصة أن فيه مسائل خارج موضوع الفتوى الحموية.

ولأجل ذلك المقدمة هذه، بالغة الأهمية، وسيكون التركيز عليها بإذن الله، وسميت هذه الفتوى بالحموية نسبةً إلى بلدة حَماة في سوريا لأن السؤال ورد من هذه البلدة، مثل ما ورد سؤال من بلدة واسط وسميت بالواسطية وهكذا، قد تنسب بعضُ الكتب إلى البلد؛ إما لكونه أُلِف فيه أو لكون السؤال ورد منه.

ولضيق الوقت لن يكون هناك كلام كثير الحقيقة عن الفتوى نفسها، لكن هي فتوى من الفتاوى ذات التأثير العلمي الكبير والتأصيل لعقيدة أهل السنة.

لهذا أوجعتْ المتكلمينَ كما أوجعتهم الواسطية، وامتحنوا شيخ الإسلام كما امتحنوه أيضًا في الواسطية فسترى -إن شاء الله تعالى- في المقدمة من التأصيل وبيان المُعتقد الحقِّ، وبيان حقيقة ما عليه أهل الباطل من المتكلمين ما تعلمُ به أن المقدمة تصلح كتابًا مستقلًّا، ولأجل ذلك سيكون التركيز عليها والحاجة لها أيضًا في هذا الوقت شديدة للغاية؛ نظرًا لظهور المتكلمين بطريقة ما كانوا يظهرون بها في السابق على الأقل،

لكنهم الآن صاروا يلقون جملة من شبهات وعلى رأسهم الأشعرية الذين يريدون أن يجعلوا معتقدَ أهل سنة والجماعة هو معتقدهم، ويأتي له إن شاء الله -عزَّ وجلَّ- الكلام.

والرسالة كما سوف يأتينا أو الفتوى كما سوف يأتينا إن شاء الله تعالى في أثنائها قصد بها المتكلمون تحديدًا الذين يؤولون، الشيخ سيتكلم عن أنواع الضلالات في التعامل مع الصفات، من ضمنهم أهل التأويل هؤلاء، وعلى رأسهم الأشعرية.

يلحظ طالب العلم في هذه الفتوى بالذات أن الشيخ كان يجتنبُ تسميتَهم، بينما سماهم في مواضع أخرى من كتبه، حتى لما ذكر كلام الرازي وكلام الجويني يقول: قال أحدهم، قال بعضهم؛ وذلك لشدة تسلطهم في تلك الحقبة ويأتي إن شاء الله على كلٍّ شرحه إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، اللهم اغفِر لنا ولشيخنا وللحاضرين والسامعين.

بسم الله الرحمن الرحيم سُئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية -رحمه الله تعالى- وذلك في سنة ثمانية وتسعون وستمائة، وجرى بسبب هذا الجواب أمورٌ ومحنٌ وهو جوابٌ عظيمٌ النفع جدًّا.

فقال السائل: ما قولكم في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات.

كقوله صلى الله عليه وسلم: «إن قلوبَ بني آدَم بينَ أُصبعَيْنِ منْ أصابعِ الرَّحمنِ» وقوله: «يضعُ الجبَّارُ قدَمه في النارِ» إلى غير ذلك من الأحاديث.

وما قالت العلماء: وابسطوا القول في ذلك مأجورين -إن شاء الله تعالى.

هذا مبدأ السؤال ونبه إلى أنه جرت أمور ومحن، يعني أن الشيخ سعي به إلى السلاطين والقضاة بعد هذا الجواب، ورد عليه بعضهم ردودًا، أعجب ما فيها أنه رد على

شيخ الإسلام بكلامٍ لشيخ الإسلام يظن أنه للإمام أحمد، يأتينا -إن شاء الله- الإمام أحمد قال: (لا يصف الله إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث) هذا كلام الإمام أحمد.

ثم عقَّب عليه شيخ الإسلام؛ فهذا لجهله بكلام علماء السنة، ظنّ أن بقية الكلام أيضًا للإمام أحمد وأثنى على الكلام، وقال له إنه لزم هذا الكلام واستمسك بهذا الكلام وعمل بقول إمامه الإمام أحمد لكانَ على هدى ولم يدرِ أن هذا هو كلام شيخ الإسلام، وإذا مثل ما رد عليه أيضًا آخر فأخذ الكلام الشائع كلام الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- واستعمله في الردِّ على ابن تيمية نفسه.

فالحاصل أن هذا الجواب على سؤال، يسأل عن آيات الصفات الاختيارية تحديدًا؛ ولهذا قال: مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وذكر أيضًا غير الصفات الاختيارية، لكن موضع المعركة معهم هو موضوع الصفات الاختيارية.

أما إثبات القَدم وإثبات الأصل، فالمتقدمون منهم كانوا يثبتونها، جميع الصفات الذاتية كان سلف الأشاعرة والمتقدمون يثبتونها، ثم بعد فترة "الجُويني" نحى الجويني بالمذهب الأشعري منحًى اعتزاليًّا فلهذا صاروا ينفون كما تنفي المعتزلة إلا في سبع صفات، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فالسائل يسأل عن مثل هذه الصفات، ما قالت العلماء؟ ما القول الذي قاله أهل العلم في هذه المسائل؟ وأراد أن يُبسط القول.

فالعادة أن الفتوى ما تكون طويلةً، تكون صغرى، ولهذا هناك فتوى صُغرى، أشار لها ابن عبد الهادي، وكأن هذه رجع لها شيخ الإسلام وتوسَّع فيها فيما بعد وأراد أن يُبسط فيها القول، فلأجل ذلك أطال فيها الشيخ رحمه الله.

الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

هذه براعة الاستهلال، ما فيه أحد؛ لا أشعري ولا معتزلي يستطيع أن يرد على هذا القول، هنا قول الله وقول رسوله، فيه أحد يستطيع أن يعترض؟ ما يستطيع، هذه براعة الاستهلال تبدأ في الفتوى باستهلال قوي ليس لنا نحن قول، قولنا تابع لقول الله في كتابه ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم ولما قاله السلف الصالح بدءًا من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

ولهذا قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وهم الذين سلكوا على هذا الطريق الذي كان عليه الصحابة وما قاله أئمة الهدى تحديدًا لا ما قاله كل من انتسب إلى العلم، وإنما أئمة الهدى، وهذه إضافة، إضافة الأئمة إلى الهدى لأن هناك أئمتها في الضلالة، فأئمة الهدى هم الذين سلكوا على ما سلك عليه الصحابة والتابعون.

وهؤلاء أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، أجمع أهل الإسلام على أن الصحابة ومن لزم سبيلهم على هدى وعلى دراية وعلم، فهذا من أحسن ما يكون في الاستهلال في الجواب رحمه الله.

وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره، فإن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا مُنيرًا.

وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

بعد أن ذكر أن هذا هو قول أئمة الهدى بيَّن الحكم به، مادام هذا هو قول أئمة الهدى فالواجب على جميع الخلق بدون استثناء في هذا الباب -باب الصفات- وفي غيره من الأبواب هو لزوم هذا الطريق الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم استدلالًا بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم.

وذلك أن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والْحظْ في الآيات القرآنية تذكير الله الأمة بالضلال المبين ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

هذا للتنبيه؛ إن خرجتم عن هدي محمد صلى الله عليه وسلم رجعتم إلى الضلال المبين الذي كان عليه أسلافكم من أهل الجاهلية، فرجع العرب إلى جاهلية العرب، ورجع العجم إلى جاهلية العجم وتنوعت الضلالات.

الخروج عن هدي محمد صلى الله عليه وسلم يعيد الناس إلى الضلال المبين الذي كان عليه أسلافهم؛ لأن الله أنقذهم بهدي محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك الضلال، ولأجل ذلك كل ضلالة إلى قيام الساعة من المذاهب المعاصرة الحديثة أو من المذاهب البدعية، كلها تعود بالأمة إلى الضلال المبين، لكن تارةً يكون ضلالًا أكبر فيكفر القائل به، وتارة يكون ضلالًا جزئيًّا فيكون مبتدعًا غير خارج من الإسلام، كل خروج عن هذا الهدي رجوع إلى الضلال المبين.

لاحظ أن الشيخ سيذكر بعد هذه المقدمة خمس مُحالات بعد أن وضع هذه المقدمة سيذكر ما دامت هذه المسألة كما ذكرنا لك، فمن المحال، ثم من المحال، ثم من المحال، ثم من المحال، هذا كله يؤكد لك دقة وبراعة تصنيف هذه الفتوى؛ لأنه بدأها بالاستهلال الذي سمعت ولما قعد هذه القاعدة في أن هذا هو الحق ذكر المحالات المخالفة لما قرره هنا.

فمن المُحالِ في العقل والدين: أن يكون السراج المُنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة.

وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر أنه أكملَ له ولأمته دينَهم وأتمَّ عليهم نعمتهم، محالٌ مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبها، فلم يميِّز بين ما يجب للهِ من الأسماء الحُسنى والصِّفات العُليا، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصَّلته النفوس وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحكِم هذا الباب اعتقادًا وقولًا؟

هذا المحال الأول: المحال الأول في العقل وفي الدين معًا، كثير ما يقول هؤلاء المتكلمون هذا محال عقلاً، فيقال بل المحال في العقل الصحيح والمحال في الدين الذي دلت عليه نصوصه أن يكون هذا النبي الكريم، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه أعظم كتاب أنزله على رسوله، وأوجب على جميع الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من صغيرٍ وكبيرٍ إلى حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهو صلى الله عليه وسلم يدعو بشهادةِ ربه على بصيرة، وأكمل الله تعالى له ولأمته هذا الدين، وأتم عليهم النعمة، محالٌ مع هذا وغيره مما يمكن أن يُذكر، أن يكون هذا النبي الذي هو أفضل أنبياء الله وأن يكون هذا الكتابُ الذي هو أعظم كتبِ الله قد أغفلَ أعظم شيء على الإطلاق وهو معرفةُ الله تعالى.

بحيث صارت أمة محمد على كلام هؤلاء عندهم من التفاصيل العظيمة في الأحكام؛ سواء في أمور دينهم العملية أو في المعاملات ما شهِد بعظمته حتى الكفار؛ لعظمة تشريعات هذا الدين، لكن الباب الأعظم والأكبر والذي يُبنى عليه كل شيء، هو معرفة الله

هذا ملتبس، غير واضح، فلو أراد أحد أن يقدَح في الإسلام أعظم قدح لما استطاع أن يجد أخبث من هذا القدح، وهذا مراد الشيخ.

لاحظوا الخناق الأول كيف وضعه؟

هذا الدين الكامل الذي أوجب الله على البشرية جنهم وإنسهم أن ينصَاعوا إليه، وسدَّ -تعالى- كلَّ باب يوصل إليه إلا من هذا الباب، بحيث لا يقبل أي عبادة إلا إذا كانت على هديِ محمد صلى الله عليه وسلم.

فما دامت على هذا الحال، وجعله أيضًا الشريعة، وهذا من الأشياء التي يقول مما يمكن أن يذكر من ضمن ذلك أن الله -عزَّ وجلَّ- جعل شريعته خاتمة، فليس ثمّة شريعة أخرى ستأتي بعد شريعته، من المحال أن يكون تركَ أعظم باب على الإطلاق ملتبسًا مشتبهًا فتكون هذه الأمة لا تعرف ربها.

وهو: ما الذي يجب لله من الأسماء والصفات؟ وما الذي يجوز أن يُضاف إلى الله؟ وما الذي يمتنع عليه؟ إذا لم يعرف هذا وهو أصل الدين.

وإذا قال فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصَّلته النفوس وأدركته العقول، يعني أعظم ما يمكن أن تُزكَّى به النفس البشرية؛ بحيث يصلح اعتقادها، وتذكو قلوبها، ويكون المدْرَك الذي يدركونه بعقولهم وهو أعلى المدارك يستحيل أن يكون هذا الكتاب العظيم وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم قد تركَ هذا الباب ملتبسًا.

فلا يعُرف هل الله يظلم أو لا يظلم؟ هل الله يحبُّ عباده أو لا يحبهم؟ إنما أمور ملتبسة، فلو أراد أحدٌ أن يضيف إلى الإسلام أقبح إضافة لما وجد أخبثَ من هذه الإضافة.

هنا يقول: مُقتضى كلامكم أنتم أن النبيَّ عليه الصلاة والسلام ترك هذا الباب مُلتبسًا، ولو قاله أحد وصرَّح به تصريحًا هكذا لكفر، لكن هذا مُقتضَى، والمُترَتِّب على مقولتهم؛ ولهذا قال ابن القيم:

وأخو الجَهالة في خَفارةِ جَهله *** والجهل قد يُنْجي من الكفران

يعني بعض الأشياء، إذا تفطن المسلم لا يلتزمها، لكنه يقولها ولا يدري عنها باللازم الذي فيها، وإلا لو قال أحد: إن النبي صلى الله عليه وسلم دينه كامل إلا في باب الأسماء والصفات فهو ملتبس، بهذه الطريقة بهذا القول لا شك أنه بهذا يقدح في النبي صلى الله عليه وسلم بل يقدح في الله الحقيقة، يقدح في الله تعالى.

فلاحظ الخناق الأول قل أنتم بين أحد أمرين، إما أن هذا الباب يتلقى من النصوص ومما ثبت عن الصحابة وأئمة الهدى، وأنه كان بينًا وأنهم كانوا على هدى واعتقدوا في الله تعالى الاعتقاد الحق أو أن هذا الباب الذي هو أعظم أبواب الدين على الإطلاق كان ملتبسًا، فلا تعرف الأمة ربها تعالى ما الذي يجب له حتى يُثبت، وما الذي لا يليق ولا يحل أن يكون مضافًا إليه تعالى حتى يُنفى، إنما أمر مُلتبس.

فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله يعني بعد النبيين يعني الصحابة لم يحكِموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا؟ هذا المُحال الأول.

وهو في غاية القوة الحقيقة أقوى المحالات التي ذكرها هذا؛ لأن فيه قدحًا في الله وفي الرسول صلى الله عليه وسلم وفي القرآن، وهذا لا يقوله مسلم يعني لا يستطيع المسلم أن يلتزم هذا، ولكن يزعم كما سيأتينا إن شاء الله جملة من المزاعم يرد عليها، لكن أن يقول هذا صراحة ما في مسلم يقول إن كتاب الله تعالى فيه ما يستدعي عدم الوضوح، وأنَّا لا نعرف الله بما أنزل من كتابه، وبما أرسل من هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأحاديثه، التزام هذا لا يلتزمه مسلم، لكن يقولونه من حيث لا يشعرون فيقعون في هذا الباب؛ ولهذا قال ضعوا هذا المحال الأول عندكم في بداية الفتوى.

ومن المحال أيضًا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علّم أمته كل شيء حتى الخِراءة وقال: «تركتُكُم علَى البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ».

وقال فيما صح عنه أيضًا: « مَا بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلَّا كانَ حقًّا عليْهِ أن يدلَّ أمَّتَهُ على خيرِ ما يعلمُهُ لَهم وينهاهُم عن شرِّ ما يعلمه لهم».

وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «لقد توفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما من طائرٍ يُقلِّبُ جناحيْهِ في السَّماءِ إلا ذَكر لنا منهُ علمًا».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قامَ فِينَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَقَامًا، فذكَر بَدْءَ الخَلْقِ، حتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذلكَ مَن حَفِظَهُ، ونَسِيَهُ مَن نَسِيَهُ» رواه البخاري.

محالٌ مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعةٌ في الدين، وإن دقَّت أن يترك تعليمَهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم، ربِّ العالمين الذي معرفتُه غايةُ المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزُبدةُ الرسالة الإلهية فكيف يتوهّم من في قلبه أدنى مُسْكةٍ من الإيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم في غاية التمام؟ هذا المحال الثاني.

المحال الثاني يقول: من المحال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علَّم أمته تفاصيلَ الأحكام بما فيها أمر الخِراءة، وأصل هذه الكلمة لماذا يقولها العلماء، وقالها مالك -رحمه الله تعالى- لما سأل عن التوحيد يقول الشافعي رحمه الله: سئل مالكٌ عنِ التوحيدِ فقالَ: محالٌ أن يُظنَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّم أمته كل شيء حتى الخراءة ويكون ترك بابَ التوحيد غير واضح والتوحيد هو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فما عُصم به المال والدم فهو حقيقة التوحيد. هذا كلام الإمام مالك ينقله الشافعي رحمهما الله.

وأصل السؤال من أحد اليهود سأل سلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، يعني علمكم كل شيء والمقصود بالخراءة: المقصود بها الغائط؛ أي أنه علمكم كيف تتنظَّفون وتتنزَّهون من الغائط، يعني أنه علمكم كل شيء حتى الأشياء الدقيقة هذه.

فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم. هذا الأمر يتفق معك فيه الجميع؛ معتزلتهم وجهميتهم وأشعريتهم، الجميع، كل يقول في تفاصيل الأحكام لا نظير لها.

وتفاصيل الأحكام هذه لا يوجد لها نظير بتاتًا، حتى الأنظمة الوضعية لعلمك حتى القانون المدني الفرنسي مثلًا أخذ شيئًا كبيرًا من الفقه المالكي؛ لأنهم لا يستطيعون أن يأخذوا تفاصيل الأحكام قطعًا أخذوا أشياء محددة منه، لم يأخذوا يعني الفقه المالكي من فقه المسلمين، لكن أخذوا أجزاء كثيرة بعضها بنود كاملة، لأن تفاصيل هذه الأمور أخذت من النصوص، فلا شك أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بيّن لأمته تفاصيل الأحكام.

أيليق؟ أن يقال إنه صلى الله عليه وسلم علّم أمته هذه التفاصيل الدقيقة بما فيها كيف يستنجي الإنسان ثم يترك باب الاعتقاد في الله ملتبسًا غير واضح؟

مع قوله صلى الله عليه وسلم: «تركتُكم على البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ» أي بيضاء ستكون إذا كان باب العلم بالله غير متضح؟ حتى لو تُصُوِّر هذا ومعاذ الله يأتي هذا.

أنه جاءت الأحكام بالتفاصيل هذه لكن الناس لا يعرفون الله لكانت سوداء ليست بيضاء كانت ليله مدلهمة؛ لأن هذه الأحكام أصلًا لا تبنى إلا على اعتقاد، فإذا كان الاعتقاد الذي يؤسس عليها غير واضح ملتبس، فما الفائدة من تفاصيل الأحكام؟

وقال فيما صح عنه عليه الصلاة والسلام: «مَا بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلَّا كانَ حقًّا عليْهِ أن يدلَّ أمَّتَهُ على خيرِ ما يعلمُهُ لَهم ...»، أليس أخيرُ الخيرِ الذي يعلمه لهم أن يعلمهم أمر ربهم وصفاته تبارك وتعالى اللائقة به والذي لا يليق به، «وينْهاهُم عن شرِّ ما يعلمُهُ لَهم»؟

وذكر أن أبا ذر رضي الله عنه أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوفَّ حتى ذكر التفاصيلَ، «وما من طائرٍ يُقلِّبُ جناحيْهِ في السَّماءِ» مقصود من حيث العموم، إلا ذكر لنا منه علم مما نحتاجه.

أما عموم الطيور هذا الطير فيه كذا أو هذا الطير فيه كذا ومن صفاته كذا فلم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا، لكن أي شيء للأمة فيه حاجة حتى لو كان في أمر الطيور أو غيرها فإن النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم به.

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه خطب خطبة طالت جدًّا فذكر في بدايتها فيها بدءَ الخلق واستمر حتى جاءت الصلاة فنزل وصلى بهم، ثم عاد للمنبر وأتم صلى الله عليه وسلم حتى جاء وقتُ العصر فصلّى وأتم في هذه الخطبة حتى دخلَ أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم؛ يعني أنه فصل عليه الصلاة والسلام في تلك الخطبة، وخطبة نادرة جدًّا؛ لأن الغالب على خطبه صلى الله عليه وسلم أن تكون قصيرة، لكن هذه الخطبة أطال فيها صلوات الله عليه وسلم عليه إطالة عظيمة حتى ذَكر بدء الخلق.

دخول أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ هذا معناه قيام الساعة، ثم الكلام على الآخرة وما فيها؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر في هذه الخطبة شيئًا كثيرًا من أمور العباد وخلق الله تبارك وتعالى، حفِظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه، وشاهدُ هذا: أن تجد عددًا من الأحاديث تُروى كأنها والله أعلم مروية من هذه الخطبة، فتجد هذا الصحابي حفظ ذاك الحديث، خطبنا رسول الله عليه وسلم فقال كذا، وذلك يقول: خطبنا فقال كذا يمكن أيضًا في هذه الخطبة، لا شك أنها خطبة طويلة.

ثم قال: محالٌ مع تعليمه لهم صلى الله عليه وسلم كل شيء ينفعهم في دينهم حتى الأشياء الدقيقة أن يترك باب العلم بالله -عزَّ وجلَّ- ما الذي نعتقده في الله؟ ما الذي نقوله في الله سبحانه وتعالى؟ لا بد أن ننطق بألسنتنا وأن نعتقد بقلوبنا في ربنا تبارك وتعالى.

ومعرفة الله -تبارك وتعالى- هي أعظم المعارف على الإطلاق، وعبادته -تبارك وتعالى- هي أشرف المقاصد، ولن تعبدَ الله حتى تعرفه، لا يمكن أن تعبد الله حتى تعرفه.

ولهذا لاحظ أهل الشرك لمّا لم يعرفوا الله -تبارك وتعالى- حق المعرفة أشركوا، ولو عرفوه حقَّ المعرفة لما أشركوا؛ ولهذا في حديث معاذ رضي الله عنه: «إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ»، في بعض ألفاظه «فإذا عرفوا الله...» الذي يعرف الله هو الموحِّد، أما الذي يعرف عمومات أن الله هو الخالق الرازق ويشرك معه غيره فقد عرف جانبًا وجهِل جانبًا؛ ولهذا يشرك، أما من عرف الله لا يشرك.

ما هنالك أحد يعرف الله أعظم معرفة الموحد نهائي، الموحد هو الذي يعرف الله، أما المشرك فيعرف الله تعالى معرفة جانبية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَؤْمِن أَكْثرهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكون﴾ [يوسف: ١٠٦] فَأَثْبَتْ لَهُمْ إِيمَانًا مَعَ شِرْكٍ، والمقصود بالإيمان الذي أُثبت لهم هو: إيمانهم بالربوبية، والشرك هو: الشرك بالعبادة، كما روى ذلك الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم.

يقول شيخ الإسلام: لما كان أمر معرفة الله هو خلاصة الدعوة النبوية وزُبدة الرسالة الإلهية عامة، جميع الرسائل الإلهية، الرسالة هنا اسم جنس، جميع الرسائل الإلهية، كيف يتوهم مَن في قلبه أدنى مُسكةٍ؟ أقل شيء، والمُسكة هي البقية من إيمانٍ وحكمة، كيف يتوهم ألا يكون هذا الباب قد وقع على غاية التمام من الرسول صلى الله عليه وسلم؟

لاحظ الأمر: لا يزال فيه خناقٍ، يعني يخنق هؤلاء خنقًا لماذا؟ ما أحد يستطيع أن يقول له لا في هذه المقامات، ما تستطيع: جهمية معتزلة أيًّا كان، أنك ما تستطيع أن تقول

لا حتى الذي عنده أدنى مسكة من إيمان أو حكمة يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيّن هذا الباب على غاية التمام، هذا المحال الثاني.

بعده يذكر المحال الثالث: فكيف يتوهّم مَن في قلبه أدنى مسكة من إيمان، وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم على غاية التمام إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه، هذا المحال الثالث.

إذا قال لا نتحدث في رب العالم ولا في نبي صلى الله عليه وسلم الأمر من جهة الله ورسوله على أعظم ما يكون من التمام والقرآن على أعظم ما يكون من التمام إذًا بقي الواسطة التي بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الصحابة رضي الله عنهم و أرضاهم و قد أجمعت الأمة على أنهم خير الأمة على الإطلاق سوى الرافضة، والرافضة لا اعتبار لهم في مثل هذه المقامات أصلًا.

فقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، نزلت للصحابة، الصحابة هم المخاطبون أصلًا بالآية، فهم خير الأمة، يبقى أمر متعلق بالصحابة، يمكن أن الأمر من جهة الرب على ما ذكرت، من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما ذكرت، لكن يبقى الواسطة التي بيننا وبين النبي عليه الصلاة والسلام.

يقول: إذا كان ذلك قد وقع: في الأمر الأول والثاني، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قد قصَّروا في هذا الباب.

بحيث أن النبي عليه الصلاة والسلام بلَّغ وبيَّن لكن قصر في التبليغ وإيصال ما ذكره عليه الصلاة والسلام، وتقصيرهم بأحد أمرين؛ إما أن يكونوا قد نقصوا ولم يذكروا جميع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا قد يكون السببُ فيه الكسل، وقد يكون فيه السبب تعمُّد إخفاءِ الحق.

أو زائدين، والزيادة هذه لا تكون إلا جنايةُ، لأن يزيدوا على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسبونه إليه، ولا أحد يستطيع أن يقول هذا في الصحابة رضي الله عنهم بتاتًا.

فهم خير الأمة على الإطلاق، وهم أبعد الناس عن التقصير؛ ولهذا إذا نظرت إلى تفاصيل الأحكام التي رووها عن النبي عليه الصلاة والسلام مثلًا في الصلاة فقط، كيف كان هديه صلى الله عليه وسلم في صلاته؟ حين قال: «صلُّوا كمَا رأيتُموني أصلِّي»، منذ بدء الصلاة والصحابة رضي الله عنهم يلحظون النبي صلى الله عليه وسلم.

فيقول أبو هريرة رضي الله عنه: «يا رسولَ اللهِ أرأيتُ سكوتَك بين التَّكبير والقراءةِ ما تقول؟» يريد أن يعرف هذه السكتة ماذا يقول فيها فأخبر رسول الله عليه وسلم له يقول فيها دعاء الاستفتاح «اللهُمَّ باعِدْ بيني وبينَ خَطايَايَ»، لما كبَّر، كلهم وراءه يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كبَّر، لكن حين كبر أين كانت يداه؟ فيقول: كانت يداه حذو أذنيه؛ أطراف الأذنين يعني أسفل الأذنين.

وبعضهم يقول: حذو المنكبين وهكذا، هناك تفاصيل دقيقة جدًّا في هديه صلى الله عليه وسلم في الصلاة بحيث إذا نظرت إلى حديث الصلاة في البخاري وفي مسلم وغيرهما وجدت تفاصيل دقيقة، وهكذا في الوضوء، وهكذا في الحج.

فكانوا يتبعونه عليه الصلاة والسلام ويلحظون نقل أحاديثه صلى الله عليه وسلم ونشرَها في الأمة قدرَ مستطاعهم.

ولهذا بثوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم حتى نقلت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لنا هديه صلى الله عليه وسلم في داخل بيته مما لا يمكن أن ينقله الرجال مثل معاشرته صلى الله عليه وسلم لنسائه، مثل أمر غسله عليه الصلاة والسلام إذا اغتسل من جنابة ونحو ذلك، لا يمكن أن ينقل هذا إلا النساء؛ أمهات المؤمنين، فنُقلت هذه الأمور على أكمل ما يكون من الدقة.

إذًا ما قصر الصحابة، لا ما قصروا، والدين كامل من جهة رب العالمين كامل، والنبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ، ماذا بقي؟ بقي المحال الذي بقي بعده.

ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة، القرن الذي بُعِث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الذين يَلونهم ثم الذين يَلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع.

أما الأول: فلأن مَن في قلبه أدنى حياةٍ وطلب للعلم أو نُهْمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصدِه وأعظمَ مطالبِه، أعني بيان ما ينبغي اعتقادُه لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوقَ منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معروف بالفطرة الوِجْدية، فكيف يُتصوَّر مع قيام هذا المُقتضِي؟ الذي هو من أقوى المُقتضِيات أن يتخلَّف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورِهم، هذا لا يكاد يقع من أبلدِ الخلقِ وأشدهم إعراضًا عن الله وأعظمِهم إكبابًا على طلبِ الدنيا والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من أولئك؟

وأما كونُهم كانوا معتقدين فيه غيرَ الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرَف حالَ القوم هذا المحال الرابع.

إذا كان الصحابة رضي الله عنهم قد بلّغوا فهذا الذي بلَّغه الصحابة يفهمونه أو لا يفهمونه؟ لأنهم الذين سيأخذ عنهم مَن بعدهم من التابعين ومن بعدهم من التابعين سينقله إلى أتباع التابعين وهكذا سيتناقل في الأمة.

من المُحال أن يكون هؤلاء الذين هم أفضل القرون كانوا غيرَ عالمين أو غير قائلين في هذا الباب بالحق، يعني لا يمكن أن يُقال إنهم كانوا جهالًا، لا يعرفون باب الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ- أو أن يقال -عياذًا بالله- إنهم كانوا يعرفون الحق لكنهم لم يكونوا يقولونه؛

لأن ضد ذلك إما عدم العلم إذا قيل إنهم غير عالمين، وإما اعتقاد نقيضِ الحق وقولُ خلافِ الصدق بعد أن علموا، وكلاهما ممتنع.

الأول: لأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نُهمة يعني أي حاجة، النهمة هي الحاجة والرغبة في الشيء، من في قلبه حياة أو نهمة في العبادة، السؤال عن هذا الباب باب الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ- ومعرفة الحق أكبر المقاصد على الإطلاق، أعظم عنده حتى من سائر الأحكام الأخرى.

ولهذا تلحظ الفائدة العقدية إذا عرفت عن الله -عزَّ وجلَّ- أمرًا تجدُ أثرها في قلبك أعظم من أثر معرفتك لحكم من الأحكام مع أن كلها من أبواب العلم، كلها من الخير، لكن الباب المتعلق بالله والعلم المتعلق بالله أعظم وأجل في قلبك.

حتى إنك قد تسمع حديثًا من الأحاديث التي هي تعظيم الرب -سبحانه وتعالى- فيحملك هذا على ترك محرم من المحرمات تُقدم عليه، بسبب علمك بهذا الأمر عن الله عزَّ وجلَّ.

ولهذا تلحظ في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] لاحظت كيف رتّب الحذر بالفاء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الشيء الذي في النفوس، ما لا يعرفه عنك حتى الذي بجانبك، يقول ربك يعلم ما في نفسك إذًا فاحذر؛ لأن الله يعلم ما في نفسك مما لا يعلمه حتى أقربُ الناس إليك.

ولهذا قال عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فأمرُ هذا الباب أمر عظيم: العلم بالله -عزَّ وجلَّ-، إذا كان على هذا الحدِّ الذي هو أكبر المقاصد وأعظم المطالب، والمراد: بيان الاعتقاد، ما الذين نعتقدُ في الله؟ لا معرفة الكيفية لأن اتفاق أهل السنة لا مجال لأن يعرف أحدٌ كيفية الله، لكن النفوس الصحيحة السليمة ذات الفطرة السوية لا تشتاق إلى شيء أعظم من شوقها إلى معرفة أمرٍ يتعلق بالله تبارك وتعالى.

قال: هذا أمر معلوم بالفطرة، يدركه الإنسان بفطرته، كيف يُتصور مع قيام هذا المقتضي الذي يستدعي ويجعل هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ينبعثون لمعرفة الله تعالى، ونشر الحق الذي تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، كيف يتخلف ذلك فيهم؟ فيكون ذلك السادة متساهلين متهاونين في هذا الباب غير مكترثين به، أو معتقدين خلاف الحق.

يقول هذا لا يكاد يقع من أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله وأعظمهم انكبابًا على الدنيا فكيف يقع من أولئك السَّادة رضي الله عنهم وأرضاهم؟

أما إن قال: إنهم كانوا غير معتقدين للحق وقالوا بضدِّه، فهذا لا يعتقده مسلم ولا شك في هذا، من اعتقد أن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- وأجملَ القول هكذا قال جميع الصحابة حتى لو استعرض، أخذ له خمسة أو سبعة أو غيره.

قال: عليٌّ والمِقداد وفلان لكن قال: أولئك الصحابة الذين تلقوا عن محمد صلى الله عليه وسلم كانوا شر الناس، فإن هذا بمجرد أن يقول هذا في الصحابة يكون خارج الملة؛ لأنه اعتقد في من قال الله تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]، قال: هم الصادقون المفلحون رضي الله عنهم ورضوا عنه ووعدهم وعدًا عامًّا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

وقال فيهم في معرفتهم لكلمة الحق -لا إله إلا الله:- ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، فأحقُّ الناس بالقيام بلا إله إلا الله حتى قال تعالى: أَهْلَهَا:هم أهل لا إله إلا الله أول من قام بلا إله إلا الله في هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم هم الصحابة، فإذا قال: إنهم ما كانوا يعتقدون الاعتقاد الحق، فالحقيقة أن هذا تضليل للأمة؛ لأن الأمة تلقت عن الصحابة رضي الله عنهم، فإن كان ما كانوا عليه هو الباطل، فمعنى ذلك أن الأمة على ضلالة، كل هذا؛ ليطوق الشخص الذي لا يزال يوافقه في كل المُحالات.

يقول:كلامك لا أعارضه لا فيما يتعلق بالرب لا فيما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم لا فيما يتعلق بالصحابة رضي الله عنهم، كل ما قلته يفترض أن يعتقده المسلم بدون شك.

فما دام الأمر كذلك، كل هذا الآن يهيئك لأن يقول: كيف يكون الاعتقاد الذي نشأ بعد الصحابة مخالفًا لاعتقاد الصحابة هو الحق، ويكون ما كان عليه الصحابة هو الباطل؟!

وهذا مثل ما ذكرت عن الفتوى فيها براعة استهلال، استهلها استهلالًا قويًّا ورتب هذه المحالات في البداية ليدرِّج القارئ حتى لو كان مخالفًا له؛ ليقول له في كل محال من هذه المحالات: ما قلتَه صحيح، ما قلتَه صحيح، ماقلتَه صحيح، بهذه الطريقة .

ثم الكلام عنهم في هذا الباب أكثر من أن يُمكِن سطْرُه في هذه الفتوى أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه، بقيت مسألة قد يقول قائل: أنا لو أني أدري أن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم جاءت عنهم نصوص في هذا الباب وأقوال وآثار لانبعثت همتي.

فهل هناك اعتقاد مدوَّن عن الصحابة رضي الله عنهم أستطيع أن أصل إليه؟ هذا مراده؛ لهذا قال: الكلام عنهم في هذا الباب، الكلام عن الصحابة والتابعين في هذا الباب باب الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ-، أكثر من أن يمكن سطرُه في فتوى؛ لأن الوارد عنهم في تفاسيرهم لنصوص الصفات في القرآن، الوارد عنهم في كتب الاعتقاد المسندة ويأتي عليها بإذن الله تعالى كلام.

الوارد عنهم في عموم كتب الآثار شيء كثير يوضِّح اعتقادهم، فمادام الأمر كذلك فمعناه: أن الاعتقاد عنهم رضي الله تعالى عنهم يسهل الوصول إليه والتحقق منه والتأكد من أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وبقية العشرةِ والمهاجرين والأنصار وبقية الصحابة، واعتقاد التابعين وأتباع التابعين ومَن سلك من أئمة الإسلام على هديهم.

ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلمَ من السالفين كما يقوله بعضُ الأغبياء لمن لم يقدِر قدْر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضِّلون طريقة الخلفِ على طريقة السلف إنما أُتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

وأن طريقة الخلف: هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازاتِ وغرائبِ اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجبَ تلك المقالةَ التي مضمونُها نبذُ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقةِ الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفةٌ دلَّت عليها هذه النصوص للشُّبهات الفاسدةِ التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى؛ بقوا متردِّدين بين الإيمان باللفظ وتفويضِ المعنى، وهي التي يُسمُّونها طريقةَ السلف، وبين صرْف اللفظ إلى معانٍ بنوع تكلُّف وهي التي يُسمونها طريقةَ الخلَف، فصار هذا الباطل مركَّبا من فسادِ العقل والكفر بالسمع.

فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمورٍ عقلية ظنُّوها بيِّنات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضِعه فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة

الصالحين من العامة، لم يتبحَّروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطَّنوا لدقائقِ العلم الإلهي، وأن الخلف الفُضلاء حازوا قصَبَ السَّبق في هذا كله.

بعد أن قرر كل ما تقدم، وأخبر أن الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهم من أئمة الإسلام لا يمكن أن يُسْطَر في فتوى ما جاء عنهم في باب الاعتقاد في الله -عزَّ وجلَّ-، ذكر محالًا خامسًا ولم يعبِّر عنه بكلمة: من المحال، كما في الذي قبله، قال: ولا يجوز يعني هذا يصلح أن تقول هذا محال خامس، ولا يجوز أن يكون الخالِفون هكذا بكسر اللام الذين خلَفوا وأتوْا بعد السلف، لا يجوز أن يكونوا أعلم من السالفين يعني من السلف كما يقوله بعض الأغبياء.

لاحظ العبارة هذه اشتدَّ فيها الشيخ جدًّا.

قال: هؤلاء الذين قالوا هذه الكلمة: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم لم يقدروا قدر السلف قطعًا هذا أمر واضح؛ لأنه كذا قلت مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم فقد جزمت، لأن العلم والحكمة في جانبٍ لم يكن فيه السلف.

أما السلامة فتقول هم سالمون، هم أفضل الأمة هم الذين يسبقون إلى الدرجات العُلى؛ ولهذا قال: في آخر الكلام قال: إنهم بمنزلة الصالحين من الأميين أهل الصيام والصلاة والتهجد والصدقات ولكن هو عامي لا يعرف يقول هذا مقتضى هذا الكلام أن يكون هؤلاء الخالفون الذين خلفوا بعد السلف كما قال عليه الصلاة والسلام قال: «ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ».

ولو تنظر في الأحاديث لوجدت أن المدح يكون دائمًا للمتقدمين فيقول صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الناسِ قرْني ثم الذين يلوُنَهم ثُمَّ الذِينَ يَلونَهم».

كثيرًا ما نقتصر على هذا، لكن ماذا يقول في الذين يأتون بعدهم؟ «ثم يأتي قومٌ تَسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه ويمينُه شَهادتَه، ثم يفشُو الكذِبُ».

وقال صلى الله عليه وسلم: «...وإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَتْ عَافِيَتُها في أولِها، وإِنَّ آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلاَءٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها..»

وقال: « وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي» فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعدون هذه رواه مسلم أمنة لها في ماذا؟ في دينها أو دنياها.

فلما كان الصحابة رضي الله عنهم موجودين كانت البدع مقموعة وكان أصحابها مقهورين، فلما ذهب جيل الصحابةِ تكاثرت البدع، وكلما أبعد الناس عن زمن النبوة كلما فشت واشتدت البدع، حتى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ".

حتى صار في الأزمنة القرون الأخيرة، كثير من الناس يعتقد أن حقيقة ما بعث الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو صرف العبادة لغير الله، وأن هذا الشرك القابع عند القبور وعند غيرها هو الذي يدل على تدين الإنسان وقوته، وأن المنكر لهذا هو المنكر لما بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في غربة اشتدت في المتأخرين، تكثر في بعض الأزمنة وبعض الأمكنة وتقل في بعض الأحيان.

لكن من حيث العموم كما قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ أمتكم هذِه جُعِل عافيتُها في أولِها وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ في أمورٍ تُنكِرونَها».

لأجل ذلك، هذه المقالة بالغةُ الخطورة وإن ردَّدها كثيرون، وبعض من عنده عقل ودين لو تُوقفه وتقول: استحضر ما تقول، مذهب السلف أسلم يعني أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مذهبهم أسلم، ومذهب الخلف نعطيك الخلف: الجهم بن درهم، الجهم بن صفوان، وعمر بن عبيد، واصل بن عطاء، أعلم وأحكم يقول: لا والله لا يمكن أن يكون هذا، يستحيل هذا الكلام.

لكن هناك كلمات تردت يأخذها المتأخر عن المتقدم ويكررونها ولا يتصورونها، والذي يكون فيه ديانة ويستحضر مثل هذا الكلام ويوقف عليه يرجع عنه، مَن أعلم الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ ما نحتاج نتفلسف نهائيًّا، بالقرآن، مَن أعلم الأمة؟ بالقرآن: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

هو المعلم الأول عليه الصلاة والسلام.

تلاميذه هم أفضل التلاميذ رغم أنف الرَّاغم، ولا يمكن أن يكون أحد أفضل من تلاميذه مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة والمهاجرين والأنصار، مستحيل هذا الأمر؛ لأن معلمهم هو أعلم الناس بالله صلوات الله وسلامه عليه، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة وإذا علمهم الكتاب والحكمة ماذا بقي؟ الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، أصل العلم الكتاب والحكمة.

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «رأيتُ كأنِّي شربتُ لبنًا حتى رأيتُ الرِّيَّ في أظفارِي ثم أعطيت فضلي عمر قالوا: فما أولتَه يا رسولَ الله؟ قال: العِلم»، علم النبي صلى الله عليه وسلم عند أصحابه وليس عند المتأخرين، وإنما المتأخرون، إنما يأخذون علم النبي صلى الله عليه وسلم بواسطةٍ، وهم الصحابة رضي الله عنهم.

فإن كانوا من التابعين فبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة، وإن كانوا من أتباع التابعين فبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم التابعون والصحابة، وهكذا جميع الطبقات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فأساس العلم نقل الصحابة رضي الله تعالى عنهم له، وأخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالحديث: «أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وأقضَاكُم عليٌّ وأرحَمُ أمَّتِي بأُمَّتي أبو بكر» النبي صلى الله عليه وسلم يوجه الآن هذه العلوم أصلًا عند أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وأمر أن يُأخذ القرآن من أربعة من ابن مسعود وفلان، وفلان، كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه إلى العلم عند هؤلاء رضي الله عنهم وأرضاهم، فكيف يكون هؤلاء مذهبهم أسلم؟ لماذا قالوا أسلم؟ لأنهم ليسوا رافضة لا يريدون أن يقولوا مذهب السلف أجهل ومذهبنا أعلم وأحكم، أعطونا عبارة لطيفة.

قالوا: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم، فيقول الشيخ: هذه العبارة هي عبارة يقولها أغبياء، ولا شك في غباء هذه العبارة وإن قالها مَن قالها ممن لم يعرف قدر السلف، الذي يعرف قدر السلف ما يقول هذه العبارة، بل يقول: مذهب السلف أسلمُ وأعلمُ وأحكم، وكل مخالفة من قِبل الخلف لمذهب السلف مردودة، هذا أمر لا شك فيه.

يقال: لا عرف الله ورسوله ما علاقة معرفة الله ورسوله بالمسألة؟ لأنه إذا اعتقد أن الله تبارك وتعالى يجعل المتلقين عن نبيه صلى الله عليه وسلم في منزلة الأميين حتى يأتي بعدهم من يعرِف دين الله معرفة لم يعرفها أبو بكر وعمر وعثمان فهذا ما نقول ما عرف الصحابة وقدرهم ما عرف الله؛ لأن الله يختار لنبيه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في الصحابة: «قومٌ اختارَهم اللهُ لصُحبةِ نَبيِّهِ» اختارهم اختيارًا، تظن أن اعتباطًا وجد شخص اسمه أبو بكر وشخص اسمه عمر، اختارَهم الله اختيارًا لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام.

لهذا لا يعرف قدر السلف ولا يعرف قدرَ الله وقدر رسوله صلى الله عليه وسلم من قال في الصحابة رضي الله عنهم مثل هذه المقالة، أن يكون المتلقي للوحي الناقل للقرآن، الناقل للسنة مجموعة من العباد الصالحين الذين ليس عندهم فقه وعلم.

ولهذا مثلًا تلْحظُ الجُويني في أحد كتب الأصول لمَّا تكلم عن الصحابة وجاءهم إشكال، لماذا لم يخُض الصحابة في ترَّهات المتكلمين؟.

قال: لعلَّهم عرفوا أنه سيأتي بعدهم من قد آتاه الله -تعالى- من البَسطة في العلم ما يكفي ويشفي في هذه المسائل.

كلمةٌ يُستتابُ منها الإنسانُ، ليست سهلة؛ لكنه تاب منها هو بنفسه، وقال في آخر كتاب في النظامية قال: من عرفَ قدر هؤلاء علِم أنه لا يكونُ ولا كان أفضلَ منهم، وأنهم لم يتركوا هذه الأمور التي خاض فيها المتأخرون عن عَيٍّ: يعني عن عجز، وإنما تركوها لكمالِ علمهم فأدرك هذا في آخر حياته.

وتأتينا عبارات لهم فيها نوعٌ من الرجوع عما كانوا، الأصل أنها عبارة موحشة جدًّا أن يقال في مسألة الصحابة مثل هذا: أن مذهبهم ليس الأعلم ولا الأحكم.

وأنت إذا قلت لك هذا مذهب أسلم وهذا مذهب أعلم وأحكم مباشرة ستذهب إلى الأعلم والأحكم، ثم إن هذه العبارة متناقضة في نفسها؛ لأنه حيث يوجد العلم والحكمة توجد السلامة، أما أن تكون السلامة في جهة والعلم والحكمة في جهةٍ، هذا أمر مُحال ينقض بعضه بعضًا.

العلم والحكمة معها السلامة، أما أن تكون السلامة في موضع والعلم والحكمة في موضع آخر فهذا لا شك أنه تناقض، وهذا الحقيقة مما رجعَ عنه كثير منهم وندموا عليه وأشهَدوا من حولهم على رجوعهم منه، وهذا الرجوع يأتينا إن شاء الله تعالى الكلام عليه.

إذًا ما عرف الله ولا رسوله من قال هذه الكلمة "حقَّ المعرفة"، إنه لا يقول لا يعرف الله، لا يقول لا يعرف الله ورسوله: "حق المعرفة"، هو يعرف الله ورسوله لكن ليست المعرفة الحقيقية المبنية على التأصيل العلمي الصحيح.

حيث يقولون "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؟، فهؤلاء المُبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف، إنما أُتوا يعني من أين أُتوا؟ كما يقول مِمَّن يُؤْتَى الحَذِر من أي جهة؟ كيف وقعوا في هذه الزلّة العظيمة؟ ظنوا أن طريقة السلف: هي الإيمان بمجرد الألفاظ فقط، مجرد أن يؤمنوا بألفاظ لا يفقهون معناها.

هذا لا يقال إنه فقط خطأ، يقال هو كذبٌ؛ لأنه بسهولة اقرأ من الفاتحة إلى الناس تجد تفاسير الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لهذه النصوص من الصفات، موجود

تفاسير ابن عباس وابن مسعود تفاسير الصحابة رضي الله عنهم تفاسير التابعين، كيف يقال إن مذهب السلف إنما مبني على مجرد الإيمان بألفاظ القرآن دون معرفة لفقهها؟!

ثم إن الصحابة، ما مزيَّتهم؟ مزيَّتهم رضي الله عنهم: أنهم شهدوا التَّنزيل، هذه العبارة لا بد أن يعرفها الإنسان، شهدوا التنزيل يعني: رأوا الإسلام في أجلِّ وأعظم صُوَره وأحواله؛ حيث طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تطبيق أعظم من تطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبتَّة فهم شاهدوا التطبيق السليم للإسلام والحق والوضع الحقيقي للإسلام اعتقادًا وقولًا وعملًا.

ثم إنهم أعرفُ الناس باللغة.

اللغة: الضَّليع فيها الآن كفحول أئمة اللغة؛ أبو عمرو بن العلاء، الأصمعي وفلان يتعلمون تعلمًا، يتعلمون اللغة أولئك لا يحتاج حتى الصبي منهم أن يتعلم اللغة، لأن اللغة هي سليقة عندهم أصلًا.

فمن حيث الألفاظ هم يعرفون معانيها قطعًا بالوضع اللغوي، من حيث شهودهم التنزيل رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم هم رأوا الوضع الصحيح للإسلام في زمن رسول صلى الله عليه وسلم ونقلوه إلى مَن بعدهم من التابعين، فأعرفُ الناس بالله بعد رُسله: الصحابة والتابعون، وهكذا يتسلسل الأمر.

قال: فإذًا المتأخرون أتاهم الإشكال حيث ظنوا أن طريقة الخلف إنما هي مجرد الإيمان بالألفاظ دون أن يفقهوا معناها بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، هذا معنى قوله "أنه ما عرف قدر الله: إذا كان السلف بهذا الوضع بدءًا من الصحابة مجرد أميون لا يعلمون الكتاب إلا مجرد قراءة الأماني قيل مراد بها الأماني في بعض التفاسير قيل إن المراد بها الأماني جمع أمنية: مجرد أماني.

كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١]، وقال آخرون: مقصود القراءة مجرد ما يقرأ هذا العامي يختم القرآن كل ثلاث ليالي لكن ما يدري معناه، يقول: هذا إشكالهم أنهم ظنوا أن الصحابة بهذا المستوى المنحطِّ.

ثم في المقابل اعتقدوا أن الخلفَ طريقتهم طريقة دقيقة علمية، وهي: استخراج المعاني التي لم يصل إليها الصحابة، وكيف المعاني التي وصلوا إليها؟ المعاني التي وصلوا إليها ليست المعاني الواضحة ولكنها معاني مصروفة عن ظاهرها، فتكون اللفظة العربية التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] أي: لأجل أن تعقلوا وتفهموا، واضح نص واضح، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الزمر: ٢٨]، لا، هذا معوجٌّ، معنى الآية كذا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] التي يعرف العربي بطبيعته وسليقته اللغوية أنه معناها: ارتفع على العرش، يقول لا ليس مقصود الارتفاع على العرش، ما المقصود به؟ الاستيلاء على العرش، كيف قلت هذا؟ قال: هذا لأنَّا نصرف اللفظ عن ظاهره.

فهذه هي العلوم الدقيقة التي بها الخلف أعلمُ من السلف، يأتي الكلام عن هذه الطريقة إن شاء الله تعالى، وكيف تصلون إليها؟ في غرائب اللغات يبحث عن لفظة في اللغة، ويقول: إنها هي المقصودة بهذه الآية. أنت عندك السياق ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. استوى تُستخدم استخدامات في اللغة؛ تارة تكون مجردةً من أي حرف، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤]، يعني تمَّ، وتارة "تُعدَّى بحرفٍ"، فإذا عُديت بحرف كان لها معنى كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

إذا عُدِّي الاستواء "بحرفِ على" فمعناه الارتفاع والعلو على الشيء، وهكذا إذا عُدِّيت بالبَاءِ.. وهذا معروفٌ عند أهل اللغة، فيقول لك: لا، ليس معناه كذا، وإنما معناه ما سمَّوه بالاستيلاء، ونحو ذلك من العبارات التي يتكلّفونها، ويقول لك: إنه يوجد شاهد

لغوي حاصلُه كذا وكذا مما يكون مقدوحًا في البيتِ نفسِه؛ غير ثابت، أو أن يكون سياق الآيات ليس فيه هذا المعنى، ولهذا ابن قيم -رحمه الله- يقول:

وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّب *** في الاعتبار فما هما سيَّان

واللفظ حين يساق في التركيب*** (يعني في السياق)، محفوفٌ به للفهم والتِّبيان

جندٌ ينادي بالبيان عليه ***مثل ندائنا بإقامة وأذان

فيفُكُّ تركيبَ الكلام (يعني يخرجها من السياق) معاندٌ*** حتى يُقَلْقِلَه من الأركانِ

ويرومُ منه لفظةً قد حُمِّلت معنًى سواها في كلامٍ ثانٍ

يقول لك: معنى استوى: ورَد في كلام العرب استوى بمعنى كذا، الآن كلمة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ في سياقٍ لماذا تفُك السياق؟ لماذا تُخرج اللفظَ عن سياقه وتذهب إلى سياق ثانٍ؟

ويروم منه لفظةً قد حُمِّلت*** معنًى سواها في كلامٍ ثان

فيكون دبوس الشقاق وعدة*** للدَّفع فعل الجاهل الفتان

وبذاك يفسد كل علمٍ في الورى*** والفهمُ من خبرٍ ومن قرآن

بهذه الطريقة إذا كنت ستفك اللفظ الذي في تركيب في سياق، وتأخذ هذا اللفظ مجردًا وتقول: معناه كذا في سياق ثانٍ، يمكن أن تفسد كل العلوم، وأعطوا عليه مثالًا بكلمة "العين"، "العين": هي الباصرةُ، و"العين" التي في الأرض تجري: هي الجارية، وعين العدو: هو الجاسوس.

فإذا قلت: قتلت عين العدو مؤكدٌ أنك تقصد الجاسوس، وإذا قال لك شخص: العين في اللغة تعني الماء الذي يجري، يمكن أن يكون المقصود أني قتلت العين التي تجري،

كيف تُخرج اللفظ من سياقه؟ يقول لك: العين في اللغة؛ ألا تحتمل هذا؟ نقول بلى، لكن في غير السياق هذا.

ولهذا الشيخ يقول: "حتى يقلقله من الأركان"، يأتي إلى اللفظ في سياقه فيقول: نخرج من هذا السياق ونأخذ هذه الكلمة ونحمِلها على لفظةٍ في سياق آخر، "وبذاك يفسد كل علم في الورى" بهذه الطريقة تفسد، ما تستطيع أن تعرف المعاني؛ لأن هذه الألفاظ تكون مشتركة، يكون في هذا السياق في هذا المعنى، ويكون لها معنى آخر في سياق آخر، فإذا أنت قلقلتها من أركانها، وقلت: قد وردت بعين كذا فإنك بهذا تُفسد العلوم.

هذا معنى كونه يصرفونها، يصرفون هذه النصوص عن معناها الجليِّ الواضح الظاهر بأنواعٍ مما يسمونه بالمجاز، ويريدون بالمجاز: المقابل للحقيقة، الحقيقة مقابلة للمجاز.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة، فكيف هؤلاء المتأخرون لاسيَّما والإشارة بالخلَف إلى ضرْب من المتكلمين الذين كثُر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامِهم.

سيذكر الآن المقالات التي دلَّت على حيرتهم، بقي من كلام يقول: كذبوا على طريقة السلف وظلوا في تصويب طريقة الخلف، كذبوا على طريقة السلف حين قالوا: إنهم بمنزلة الأميين ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، وضلُّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الكذب والضلال، بأن صوّبوا طريقة الخلف على ما فيها من الباطل؛ وذلك أنهم اعتقدوا أنه ليس هناك في النصوص دلالة على صفة في نفس الأمر، لماذا في نفس الأمر؟ يعني النصوص لم تحمل معنًى حقيقيًّا لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

فليس هناك في نفس الأمر في نفس النصوص ما يدل على إثبات الصفات، بسبب ماذا؟ بسبب شبهات فاسدة شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء

الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، النصوص لا بد أن يكون لها معنى، وهم يقولون: النصوص المعاني الموجودة فيها الظاهرة ينبغي صرفُها عن ظاهرها، صاروا مترددِّين بين الإيمان باللفظ نفسه؛ لأنه لو قال أحد: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أنا أكفر به يرتد عند المسلمين جميعًا.

وقال قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أنا أكفر بالقول، ما فيه أحد يقول هذا، لكن يقول على الرأس والعين، أنا أقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أنا لست كافرًا، أنا أحفظه منذ كان عمري سبع سنين وقد وصلت السبعين، وأنا أقرأ القرآن كل ثلاثٍ؛ فأنا رجل من المسلمين كيف تقول أني أكفر بقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟.

من قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أنا أقول لك إنه يكفر أنا أقول إن: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ لكن ما معناها؟ هذا وجه الإشكال، فصار يؤمنُ باللفظ، طيب اللفظ هذا له معنى ويريد أن يصرف اللفظ عن معناه، تردّدوا بين الإيمان باللفظ وبين تفويض المعنى، تفويض المعنى بأن يقال: المعنى الظاهر نكِلُه إلى الله، ونقول إنه غير معلوم نهائيًّا. فقوله: ﴿غفورٌ رّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] غير معلومة، يأتينا أن هذا الكلام فيه نوع من المباهاة والمعاندة، هل فيه جهمي على وجه الأرض لا يقول رب اغفر لي؟ ما فيه، هل فيه مفوِّض على وجه الأرض لا يقول اللهم ارحمني؟ كيف تقول المعنى يفوَّض، ومرادهم بالتفويض أنه: لا يعرف معنى للنصوص نهائيًّا بمنزلة حروف المعجم.

مثل إذا قلت "ألف ذال.. خاء.. دال" مقطَّعة حروف ما لها معانٍ، لا بد أن تضم الحروف إلى بعضها حتى تكون كلمة.

يقول: هذه الألفاظ هذه بمنزلة حروف المعجم لا يُعرف معناها.

فصار لا بد من الإيمان باللفظ قطعًا عند الجميع، المعنى هذا أرادوا تفويضه وقالوا: إن هذه طريقة السلف وكذبوا على طريقة السلف بلا شك؛ لأن السلف لا يفوضون المعنى، المعنى واضح.

وبين أن يلجؤوا إلى صرْف اللفظ عن معناه والذي يسمونه التأويل، لماذا لم يسموه التحريف؟ لأن ما فيه حد يقول: تعالوا أيها الناس سأحرِّف القرآن، سأحرف معاني القرآن، لا يوجد أحد يطيعه، لكن يقول "سأؤول المعاني" فكسوها بهذا الكساء وسموا طريقتهم في إفساد هذه المعاني تأويلًا، ويأتينا إن شاء الله تعالى أنها في الحقيقة هي ضربٌ من ضروبِ التحريف.

قالوا: وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبًا من شيئين: فساد العقل هذه التي تسمونها عقليات هي فاسدة، والكفر بالسمع، والكفر هنا ليس المقصود به الكفر باللفظ، كل الكفر باللفظ هذا بإجماع المسلمين يخرج به المسلمين من الملة، لكن الكفر بالسمع يعني توصل معاني للألفاظ لديهم، ليس لها معانٍ، هذا نوع الكفر بها.

النفي اعتمدوا فيه على ماذا؟ اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، يعني هم اتخذوا سلاحًا سموه العقل، يردّه العقل يبطله العقل، هذا العقل في الحقيقة هو الهوى.

وقد قال الله في محكم القرآن: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]؛ فإما الاستجابة للنبي صلى الله عليه وسلم وإما الهوى، وهذه التسمية الصحيحة التي سموها عقليَّات: أنها جملة من الأهواء؛ ولهذا قال الشيخ: أمور عقلية ظنوها بيِّنات وهي شبهات. الواقع أنها شبهات وضلالات.

والسمع حرفوا فيه الكلام وهو الذي سموه بالتأويل، فلما انتبهنا على هاتين المقدمتين الكفريتين كانت النتيجة ما هي؟

استجهال السابقين الأولين، يعني الحكم عليهم بأنهم جهال، واستبلاههم، والأبله عياذًا بالله: من لا عقل له.

فلو كان ما قرره هؤلاء حقًّا لكان الصحابة بلْهًا غير عالمين غير عارفين، تنزل عليهم هذه النصوص ثم ينقلونها للأمة ويحفظونها ويصلُّون بها الليل، يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا لكن لا يعرف معانيها.

فصارت النتيجة: أن استبلهوا -عياذًا بالله- واستجهلوا السابقين الأولين، واعتقدوا أنهم بمثابة الأميين منزلة الصالحين من العامة الذين لم يتبحَّروا في حقائق العلم، تجد رجلًا من عامة المسلمين يسبقك إلى المسجد صوامًا قوامًا، يقرأ آيات من الترتيل، يقول له: يا طالب العلم، الآية هذه ما معناها؟ وهو يختم القرآن كل ثلاثٍ، ما أدري معنى هذا الذي يريدون أن يقولوه في الصحابة أنهم أناس صلحًا أخيار لكنهم لم يكونوا يعرفون حقائق العلم بالله ولم يتفطَّنوا لدقائق العلم الإلهي، من الذي تفطن إلى هذا؟ هم الخلَف.

يقول الشيخ: ثم هذا القول يعني "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم" إذا تدبره الإنسان وجده غاية في شيئين: في الجهالة وفي الضلالة لما قلناها لكم؟ مستحيل أن يكون السلامة في موضع والعلم والحكمة في موضع آخر. هذا الذي قال هذه الكلمة على غايةٍ من الجهالة والضلال.

كيف يكون المتأخرون ولاسيما والإشارة بالخلف إلى ضربٍ من المتكلمين؟ الذين كثُر في باب الدين اضطرابهم، هذا الاضطراب سيأتينا أمثلة عليه -إن شاء الله تعالى- فيما سيذكره المصنِّف، "وغلُظ عن معرفة الله حجابهم لماذا؟ لم يتلقوا المعرفة بالله عن الله.

يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي﴾ لاحظوا الذي اسم موصول وماذا بعدها؟ صلة الموصول: يعرِّفك ربك بنفسه ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ انظر التعظيم ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤].

تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- لنفسه بعد تعريفه بأنه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، جعل الاستواء على العرش ضمن التعريف به سبحانه، وأنه تعالى هو الذي سَخَّرَ ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ [الحج: ١٩].

فلما عرَّف تعالى بنفسه قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر: ٦٤] في الآيات الأخرى ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] يعرِّفك بنفسه سبحانه وبقدرته ولهذا ماذا قال السلف؟ قالوا: بهذه النصوص عرفنا الله، النصوص صفات التي عرفنا بها الله -عزَّ وجلَّ-.

يأتيك طفلك يقول لك: أنا لو أهمس بيني وبين أخي يسمعني الله؟ تقول نعم إن الله سميع، لو تتكلّم بأدنى كلمة يسمعها.

يأتي طفلك يقول: لو أكون في موضع ما فيه أحد، الغرفة مغلقة لو أفعل شيئًا يراني الله؟ تقول نعم، تربيه على الأسماء والصفات.

ولهذا قلنا: إن الله تعالى قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]؛ لأن الحذر مبني على العلم بالله -عزَّ وجلَّ- فهؤلاء الآن يريدون أن يعرفوا الله تعالى من غير الطريق الذي بينه تعالى وهو تعريفه هو بنفسه، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتُتلقى معرفة الله من الأحاديث.

لهذا قال: إن هؤلاء الذين هذه مقالتهم في السَّلف، سلط الله تعالى عليهم الاضطراب والحَيرة والقلق.

وصاروا على حال من الحيرة العجيبة جدًّا، لا تجد رجلًا تضلَّع فيما يسمى بعلم الكلام وبلغ فيه نهايته إلا ويُصاب بالحيرة، إذا لم يصاب بالحيرة ثقْ ثقةً تامة أنه لا يزال يحبُو في الكلام.

وأذكر أن أحدَ كبار المتكلمين؛ زاملْناه في الجامعة، فكان مجموعة من حملة الدكتوراه ممن هم على نفس خط الأشعري، كانوا عنده بمثابةِ الطلاب المُتعلمين؛ لأنه ضليع جدًّا في الكلام، فكان ممن أعرف وجلس معي أكثر من جلسة، كنت أعرف أنه ضليع في الكلام، ولهذا أعطيته بعض كتب شيخ الإسلام، وأعطيته تسجيلًا قديمًا للنونية لابن القيم.

ففي مرة أحد زملائنا كان هو مشرفًا عليه، فذكر حيرة المتكلمين، وذكر الأشياء التي تسمعها الآن فلأنه ضليع جدًّا في الكلام لما ذكر حيرة المتكلمين كتب -وخطه موجود- ونحن والله كذلك حائرون مثل حيرة هؤلاء تمامًا لماذا؟ لأنه مثل ما قال شيخ الإسلام يقول: إنما الواحد من هؤلاء: إذا كان في وسط الطريق لا يدري بحقيقة الكلام، فإذا وصل إلى نهاياته مثل الرازي والجويني والخسر الشاهي والشهر ستاني، فماذا تسمع لهم؟.

إذا وصلوا إلى نهايته عرفوا أنه بمثابة السَّراب، فرجعوا إلى أين؟ ما عنده خلفية علمية، يرجعون إلى "دين العجائز"، دين العجائز يعني: يرجعون إلى ما يقوله عامة المسلمين، ولهذا يأتي كلام الجويني بأنه راجع إلى "دين العجائز".

ولهذا يقول الغزالي وهو صاحب الكلمة في قانون التأويل المشهورة يقول: (أنا مُزْجَى البضاعةِ في الحديث) مرجى البضاعة: رديء البضاعة، والدليل على رداءة البضاعة في الحديث كتابه "الإحياء"، ملأه بحديث مكتوبة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يدري أنها مكتوبة، يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يريد نشر الأحاديث المكتوبة لكن لا يعرف، ما يميزه أصلًا.

يقولون: إنه في آخر عمره تاب.

والدليل قالوا: مات وصحيح البخاري على صدره، صحيح البخاري متى تدرسه؟ في آخر حياتك؟ لا هذا من الأصول الكبار، يعني من النصوص، تدرسه في طلبك، ليس في

آخر عمرك، يعني أنه عرف الطريق في آخر حياته، لهذا قال: أعطوني البخاري وصار يقرأ في البخاري.

فصارت عندهم هذه الحيرة والرجوع وليس تسمعونه وقطَّعتهم -الحقيقة- الحيرة تقطيعًا، وأشهدوا على أنفسهم بأنهم نادمون، وأنهم عائدون عما هم عليه، وهذه الحيرة -والله أعلم ولا نتألى على الله- قد تكون نوعَ عقوبة من الله؛ لأنه حين يسوء كلامك في الصحابة إلى هذا الحد، وتقول إنهم بمثابة الأميين، وإن المتأخرين هم الذين يستخرجون هذه العلوم الدقيقة ونحوه، ثم تعرض هذا الإعراض عن تفاسير الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وتتلقى علم القرآن عمن هو أجهل الناس بالله -عزَّ وجلَّ- يُسلَّط عليهم الحيرة.

لكن مثل ما ذكر شيخ الإسلام في موضع: أن هذه التوبة، يعني هؤلاء الأشخاص الآن، هل بينك وبين شخص اسمه الرازي أو الجويني أو غيره خصومة شخصية؟ ليس بينك وبينه خصومة شخصية.

فنقول: إن تابوا فعسى الله أن يقبل توبتهم وأن يعفو عنهم، لكن يبقى الإشكال في كتبهم، وكما قال الشيخ الإسلام: إن توبتهم هذه من عموم الرحمة، التي يرحم الله تعالى بها الأمة لكن بقاء كتبهم فتنة عظيمة وهو الواقع، الذي بقي الآن هو الكتب أما هم فيما يتعلق بهم إذا تابوا فعسى الله أن يعفو عنهم، ما في عندك مشكلة شخصية مع أشخاص، تقول عسى الله ألا يتوب عليك، لا يوجد أحد يقول عسى الله لا يتوب على أحد، عسى الله أن يغفر لنا ولكل من رجع إليه تعالى.

لكن الإشكال بقاء هذه الكتب.

ولأجل ذلك يقول كيف الآن هؤلاء الذين يقال إنهم أعرف من السلف الذين كثُر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الرب -عزَّ وجلَّ- حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم، إن شاء أرسل له كتاب اسمه نهاية الإقدام.

يقول الذي يقف على نهايات إقدامهم على آخر ما يصلون إليه وإنهم يصابون بالحيرة والرجوع ولنا كتاب اسمه "حكم اعتقاد العامة" كتاب إلكتروني، ذكرنا فيه أخبارهم وأحوالهم وكذا، أنهم يرجعون إلى اعتقاد عامة المسلمين في آخر حياتهم، وأنهم يندمون على ما سلف.

لعلنا نذكر شيئًا منه بعدما يَذكر مقالاتهم شيخ الإسلام.

حيث يقول:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها ... وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ

فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ ... على ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

وأقروا على نفوسهم بما قالوه متمثلين به، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم؛ كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال ***وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جثومنا**** وغاية دنيانا أذًى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا**** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهجَ الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقةَ القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ويقول الآخر منهم: لقد

خضت البحر الخضمِّ وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذين نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي.

ويقول الآخر منهم: أكثرُ الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

ذكر -رحمه تعالى- هذه المقالات وكلها للأشاعرة لكن لاحظ أنه لم يذكر اسم واحد منهم كأن الشيخ لم يردِ الصدام معهم لتسميتهم؛ لأن هؤلاء يعظمون عندهم.

الشهر ستاني هو صاحب هذه المقالة، وذكرها في كتابه "نهاية الإقدام":

"لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها*** وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا" صنفين اثنين فقط: واضعًا كفَّ حائر على ذقَن، الإنسان إذا حار يضع كفه هكذا على ذقنه ويستمر يفكر. يقول: هكذا وجدت الصنف الأول منهم أهل الحيرة.

الثاني: قارعًا سنَّ نادمٍ، فيه بعض الناس عادة إذا ندم يُخرج سنه ويقرعه، يضرب هكذا، يقول وجدتهم اثنين؛ إما حائرًا وإما نادمًا، وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثِّلين أو منشئين، متمثلين أي ناقلين إياه عن غيرهم، أو منشئين هم الذين ذكروا هذا الشعر؛ كقول بعض رؤسائهم، وهو الرازي وذكر الكلام هذا في كتابه (أنواع اللذات) وهو آخر كتب الرازي، وذكر شيخ الإسلام أنه أفضل كتب الرازي، ذكر فيه هذه الأبيات التي توضح لك الحَيرة والضياع الذي هم به.

"نهاية إقدام العقول عقال": إقدام العقول في المقامات التي لا يحل أن تقدم فيها عقال، نهايتها أن تُعقل: تُربط كما يربط البعير.

"وأكثرُ سعيِ العالمين ضَلالُ

وأرواحنا في وحشة من جسومنا".

الإنسان السجين عينه إلى الباب، فإذا فتح الباب خرج من السجن، لكن إذا كانت الروح مسجونةً في الجسد والوحشة داخلية -نسأل الله العافية- هنا فالإنسان مسجون داخل جسده يقول: روحي داخل جسدي مسجونة أصلًا.

"وأرواحنا في وحشة من جسومنا،

وغاية دنيانا أذى ووبال"

هذا الذي حصل لنا غاية الدنيا عندنا هي الأذى والوبال يوضح لك ماذا؟ يوضح لك الحيرة العظيمة التي هم فيها.

"ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال".

قال أفلاطون، قال أرسطو، قال الفارابي، قال عمرو بن عبيد، قال الباقلاني وقال الجويني، هذا الذي جمعنا وله بقية لأبياته الحقيقة معبرة جدًّا واضح أنها جزلة لماذا؟ لأن الشعر إذا كان صادقًا يكون قويًّا ومؤثرًا يصف لك الحال.

إن أردت بقيتها تجد هذا الكلام، ذكره شارح الطحاوية وذكره ابن القيم و بن تيمية، ثم قال: أريدك أن تدقق في الكلام هذا، لقد تأملت الطرق الكلامية مذهب المتكلمين بجميع طرقهم والمناهج الفلسفية، مناهج الفلاسفة المتقدمين من ملاحدة اليونان ومن قرَّب الفلسفة مثل الفارابي وابن سينا، وتأملت جميعها فما رأيتها تشفي عليلاً، العليل هو المريض، ولا تروي غليلًا وهو العطشان، انظر العبارة دقِّق في العبارة ثم دقق، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، هل هناك عامّي لا يعرفها؟! هل هناك أحد من عامة المسلمين لا يعرف أن أقرب الطرق طريقة القرآن؟، فهذا وصل إليه في آخر حياته آخر كتاب صنفه، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، الآن تكتشف أن أقرب الطرق طريقة القرآن؟!.

هذا بإجماع المسلمين أن أعظم الطرق وأقرب الطرق طريقة القرآن، ماذا قال بعدها؟ قال: مذهب السلف تمامًا، أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يعني: فأثبت ما أثبت الله.

وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وهذا منهج أهل السنة: أنهم يجمعون بين النفي وبين الإثبات؛ فيثبتون ما أثبت الله وينفون ما نفى الله، "ومن جرَّب مثل تجربتي عرفه مثل معرفتي" الرازي، الحقيقة أنه من أكبر، إن لم

يكن أكبر المتكلمين على الإطلاق، لهذا نقول لصغار المتكلمين اليوم من الأشاعرة وأمثالهم، يخرجون في قنوات وفي غيرها نقول: لا تزالون "صغارًا تَحبُون"، أنتم لم تدركوا.

إذا وصلتم إلى ما وصل إليه الرازي فمثل ما قال: ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، لكن أنتم لا تزالون، يأتي في آخر الرسالة قول الشيخ: قال بعضهم إنما يفسد الناس نُصف طبيب ونُصف نحوي ونُصف متكلم، نصف طبيب ليس طبيبًا كاملًا هذا يفسد الأبدان لأنه نصف طبيب وهذا يفسد اللسان لأنه نصف نحوي، وهذا يفسد الأديان لأنه نصف متكلم.

أما المتكلم الذي عرف الكلام على حقيقته يرجعه مثل ما فعله ابن الصلاح.

أيضًا ذكر ابن الصلاح عن شخص يسمونه (القطب العطواني) نقل عن الرازي مباشرة أنه قال: ليتني لما اشتغل بعلم الكلام، وبكى، هذا -والله أعلم- أنه أكبر الأشاعرة على الإطلاق، الرازي فيما يبدو لي أنه أكبر متكلم في المتأخرين، أكبر متكلم وأوسعهم تأليفًا، مؤلفاته بالصفحات لو تجمع مجموع الصفحات تجدها بالألاف، في آخر حياته ندم هذا الندم، الحقيقة أيضًا في ترجمته في آخر حياته أملى وصية.

وصية يقول فيها أنه راجع عن كل قولٍ وقعت منه المخالفة لما كان عليه السلف أو المسلمون أو نحو ذلك، وقال إني لم أكن أتوسع في التصنيف وغيره إلا لشحذِ همم الطلاب ونحو ذلك، لكنه يقول: إني راجع عن كل قول خالفت فيه أهل العلم ونحو ذلك، هذا يقولون في آخر حياته.

بعده الجويني، وهو أبو المعالي، أبو المعالي غير أبو محمد، أبو محمد هو الأب، أبو المعالي هو الابن، وهو المشهور، وأشهر من أبيه هو صاحب الورقات وصاحب الكتب المصنَّفة كثيرًا فيما يسمى بعلم الكلام.

يقول: لقد خُضت في البحر الخِضمِّ، الخضمُّ يعني: الواسع وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذين نهوني عنه -يعني الدخول في الفلسفة والكلام- وهذا مما كان ينهى عنه أهل العلم والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه فالويل لفُلَانٍ.

يقول: فالويل للجويني، لكن الشيخ يعني ما يحب أن يذكر أسماءهم؛ لأنه في فتوى، وإلا ذكرهم في كتب أخرى -كان راعى أن تكون الفتوى- حتى لا تتسبب في نوع من ردود الفعل، وإلا هم يعرفون أن هذا من كلام الجويني، وها أنا ذا أموت على "عقيدة أمي"، وهذا جاء عنه في قول آخر أموت على عقيدة "عجائز نيسابور" يعني من نيسابور؟

وقال أيضًا: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به،

وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يومًا فقال ما تعتقد قال ما يعتقده المسلمون فقال وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به أو كما قال فقال نعم فقال اشكر الله على هذه النعمة لكني والله ما أدري ما أعتقد والله ما أدري ما أعتقد وبكى حتى اخضلّ لحيته..

أخضلَ.

حتى أخضلَ لحيته ولابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق.

من أشهرهم الخسروشاهي -وكان من أجلِّ تلامذة فخر الدين الرازي- دخل عليه رجل، فقال: ما تعتقد؟ سؤال غريب جدًّا ما عقيدتك؟، قال: أعتقد ما يعتقده المسلمون؟ قال: وأنت منشرح الصدر لذلك؟ قال: نعم، فبكى وقال: لكني والله لا أدري ما أعتقد، والله لا أدري ما أعتقد، والله لا أدري ما أعتقد، يعني من الحيرة التي أصابته، وبكى حتى أخضل لحيته، يعني من شدة الحيرة التي أصابته، ولأن هذا قال الغزالي المقول الأخيرة هذه للغزالي: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

والشك عند الموت مصيبة، أكثر الناس شكًّا عند الموت يعني عند الختام إن لم يتوبوا يقول: أكثر من يشك أهل الكلام، والذين كانوا يقولون ماذا؟ مذهبنا أعلم وأحكم.

هذه النهايات، أن من ترك سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وأئمة الإسلام.

الذين كانوا يحذِّرون مِن هذه الطرائق الخبيثة، طرائق متكلمين والمتفلسفة في آخر حياتهم يصابون بالحيرة عياذًا بالله، والأمثلة كثيرة يعني قد يطول بنا المقام لو ذكرناه ويؤخرنا، لكن الحقيقة أن أمر الحيرة هذا فيهم عجيبٌ.

ولهذا مجموعة من "نصف أشاعرة" الآن يظهرون في القنوات وفي غيره ويقولون نحن أهل السنة وأنتم الحشوية، نقول: لا، "تحبُو؛ لا تزال طفلًا" سنُذكرك إن شاء الله ما ذكرناك مثل ما ذكرنا أنا لا أحب أذكر، وهو توفي هذا الزميل لنا، عسى الله أن يعفو عنه.

سبحان الله إذا بلغوا في الكلام نهايته عرفوا أنه ليس وراءه شيء، فرجعوا يريدون أن يرجعوا إلى ماذا؟ ما عندي الخلفية اللي عندك أنت طالب العلم حتى البدايات من أنت؟ فيقول أموت على عقيدة "عجائز نيسابور"، أموت على عقيدة أمي، يعني أموت على ما يموت عليه العامة ليس عنده القدرة الآن يرحل ويتطلَّب العلم، في آخر حياته وعلى فراش الموت.

ولهذا -سبحان الله- كثير منهم يرجع على فراش الموت، ومنهم الأشعري، الأشعري كان يرى كفر العامة وثابت عنه بالسند الصحيح.

وبعضهم يحاول أن يقول: لا، ما قالها الأشعري، بلى قالها الأشعري وثبت عنه بسند صحيح رواه البيهقي في السنن، وأنه أشهد على نفسه وهو على فراش الموت أنه يرجع عن تكفير العامة، أن يرى كفر العامة عياذًا بالله.

بسبب ما يسمونه بعلم الكلام، هذا لأنهم يُجوبون النظر في كلام قد يطول بنا لو استعرضناه، إذًا هذه نهايات هؤلاء الذين يقولون نحن مذهبُنا أعلم وأحكم، ولذا قال

الشيخ لهم: كيف يترك ما كان عليه السابقون الأولون ويذهب إلى هؤلاء، الذين هم في غاية من الحيرة، هم في أنفسهم؟!

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسَّلف إذا حُقِّق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقف من ذلك على عينٍ ولا أثرٍ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارَى المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسانٍ من ورثةِ الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدُّجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائقِ المعارف وبواطنِ الحقائق بما لو جُمِعت حكمةُ غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقصَ في العلم والحكمة؟ لاسيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم، أم كيف يكون أفراخُ المتفلسفة وأتباعُ الهند واليونان وورثةُ المجوس والمشركين، وضُلالُ اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلمَ بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!

هذا استتمامٌ لالمحال السابق، لما ذكر أن من المحال أن يكون هؤلاء الحيارى الذين يُنبئون في آخر حياتهم عن حيرتهم وعن ندمهم، كيف يقولُ أنا أعلم بالله وبأسمائه وصفاته من السابقين الأولين؟ السابقون الأولون هم الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، القرآن من قام به؟ قام به الصحابة رضي الله عنهم قولًا و اعتقادًا وعملًا وتطبيقًا ونشرًا في الأمة.

وبهم نطق الكتاب كتاب من يمدح ؟ ﴿محمد رسول الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، إلى غير ذلك من النصوص نطق بهم الكتاب وبه نطقوا،

فإذا تكلموا، تكلموا بالقرآن، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء.

إذا أردت أن تقارن بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب موسى، يَستحي الذي يريد أن يقابل بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب موسى، لا مقارنةَ، يقول: فضلًا عن سائرِ الأمم الذين لا كتابَ لهم يعني أنتم الآن -يا معاشر المتكلمين- مَن أكثرُ مَن أثَّر فيكم؟ أهل الفلسفة اليونانية، وهم أمة ليس لها كتاب أصلًا، وكانوا أمة وثنيةً، وكان ينتشر بينهم السحر، ألا تجد في اليونان مجموعة مما يعبرون عنهم بالآلهة إله الخمر وإله الشمس وإله الحب وإله، هذا مخرف اليونان سقراط، رستم وأفلاطون على هذه الحال.

بهذه الطريقة تأخذون علم هؤلاء الذي هو من أبعد ما يكون عن العلم، هم في الرياضيات وفي الأمور الأخرى والطب ونحوه أهل بروزٍ، لكنهم أجهل الناس بالله -عزَّ وجلَّ-، حتى الرسل لم يأخذوا عن الرسل شيئًا، هم أمة وثنية مثل الأمة العربية تمامًا قبل الإسلام.

يعبدون الأصنام، يشيع فيهم الخرافات والدجل لكنهم فلسفوا فقط، فمثلًا وحدة الوجود على -سبيل المثال- موجودة عند اليونان أخذوها من أين؟ من قدماء الهنود، ثم أخذوها فلسفوها فلسفة؛ ولذلك أخذها مثل ابن عربيٍّ لاحقًا وصاغها صياغة فلسفية.

فالحاصل أن هؤلاء أبعدُ الناس عن أن يكونوا أعلم بالله حتى يُتلقى الأمر منهم، ثم يقول: كيف يكون خير القرون أنقص بالعلم والحكمة؟ ولاسيما العلم بالله تعالى من هؤلاء الأصاغر من أهل الكلام وغيرهم، أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة.

الآن إذا أتيت ابن سينا ، الفارابي ما هو؟ فرخ مجرد فرخ من فروخ فلاسفة اليونان، مَن أخذ عنهم من المتكلمين وإن عادى الفلسفة إلا أن جزءًا غير قليل مما يقروهم مأخوذ

عن الفلسفة، وهكذا عندهم من ترَّهات مشركي الهند والمجوس وأهل الشرك، إضافة إلى جملة من الضلالات أخذوا عن اليهود وعن النصارى وعن الصابئين.

والصابئون قسمان؛ قسم مشركون وهم يعبدون الكواكب وفيهم صابئة حنفاء هم الذين أثنى الله عليهم بالقرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المائدة: ٦٩].

هذا الصنف مؤمنٌ، وليس من الصابئة، ولا من التائهين هؤلاء الذين في العراق يسمون أنفسهم الصابئة، والديانة مستقلة ليس لها علاقة؟ لكن الصابئة المذمومة هنا المراد به: الصابئة المشركون وهم عبَّاد الهياكل، يعني يضعون معابد يتقربون فيها إلى الكواكب ويزعمون أن الكواكب إذا تم التقرب لها أثرت الكواكب في الأحداث الأرضية بناءً على تقربهم.

ولهذا يضعون لباسًا يلبسونه يوم السبت تقربًا إلى كوكب فلان، يوم الأحد يلبسون لباسًا يأتون هذا الهيكل يعني المعبد ويتقربون إلى الكوكب كذا، وهكذا جملة من الترهاث يعني مجموعة من المشركين.

يقول: أنتم أخذتم دينكم عن هؤلاء: من مجوس ومشركي الهند ومن مشركي الصابئة ومن الفلاسفة، كيف تكونون أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟.

وإنما قدمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت هذه المقدمةُ عنده علِم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوُّك إنما استولى على كثير من المتأخرين؛ لنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضِهم عما بعث الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والْتماسِهم علمَ معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه ولشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة.

وليس غرضي واحدة وإنما أصِف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.

هذا فيه بيان أهمية المقدمة السابقة؛ لأن الشيخ -رحمه تعالى- جعلها بمثابة التقديم لمن سيأتي، يقول: مَن استقرت عنده هذه المقدمة علم طريق الهدى، أين هو في هذا الباب وغيره من أبواب الاعتقاد؟، وعلم أيضًا الضلال والتهوك والحيرة كيف استولت على كثيرين من المتأخرين؛ لأنهم نبذوا القرآن وراء ظهورهم، وأعرضوا عما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في نصوص السنة، والدليل على إعراضهم عن نصوص النبي صلى الله عليه وسلم ما هو؟ أنهم مِن أجهل الناس بالأحاديث، عندهم جهلٌ بالأحاديث غاية في العجب.

مثل ما ذكرنا في كتاب "إحياء علوم الدين" كيف أنه ملأه بأحاديثَ موضوعة لم يكن يريد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نشر الموضوع لكن لا يميز بين الضعيف والموضوع، ولهذا يذكرون بعض الأحيان أقوالًا ليست من أحاديث لم تروَ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا بسند ضعيف بل ولا بسند مكذوب، يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيجهلون شيئًا كثيرًا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما داموا قد أعرضوا عن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا البحث عن طريق السابقين الأولين، والتمسوا معرفة العلم بالله -عزَّ وجلَّ- ممن لم يعرِف الله بإقراره على نفسه، هؤلاء المتفلسفة وأضرابهم هل يعرفون الله؟ لا يعرفون الله، تلتمس العلم بالله من فيلسوف لا يعرف الله؟.

يقول: فلما أعرضوا هذا الإعراض وصلوا إلى ما ذكره من ضلالِهم، ثم قال: وليس غرضي واحدًا وإنما أصف نوع هؤلاء، يقول: لا تقل إنك الآن تقصد الرازي أو تقصد الجويني يقول: أنا أقصد النوع عمومًا يدخل في ذلك: الماتريدية، الأشعرية، الكُلّابية، الجهمية، المعتزلة.

لأن هذا الباب يسمى "باب كلامي" فيقال: ما أنتم؟ يقول نحن متكلمون، حسنًا، لماذا لا ترون ماذا قال الأئمة في المتكلمين، انظروا الآن ماذا قال أبو حنيفة -رحمه الله

تعالى-، ماذا قال مالك؟ ماذا قال الشافعي؟ ماذا قال أحمد؟ لماذا لا تُطلُّون على من تنتسبون إليهم في الفقه؟ وهذا من عجائبهم الآن، ينتسبون للأئمة الأربعة -رحمهم الله- في الفقه، ويخالفونهم في الاعتقاد.

فلو رأيت مثلًا: موقف أبي حنيفة -رحمه الله تعالى-، موقف مالك، موقف الشافعي، موقف أهم المتكلمين ما هو؟ مدوّن مسطَّر، كان أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- ينهى أصحابه أشد النهي عن الكلام، وقال: لعنة الله على عمرو بن عبيد، عمرو بن عبيد رأس المعتزلة.

فإنه فتح باب الكلام في هذه المسائل يعني حينما سأل عن الجوْهَر والعرَض، ونحوها، وقال مالك أيضًا نفس الكلمة، قال لرجل سأله لما سأل المتكلمين، لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعنة الله على عمر بن عبيد؛ لأنه كان من أخبث من نشر طريقة المعتزلة.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى (الشافعي أكثر من ورد عنه -فيما يبدو لي والله أعلم- ذمُّ المتكلمين هو، بالنسبة لمالك وأبي حنيفة؛ لأنهم في زمن الشافعي تفاقموا، فلما جاء الإمام أحمد ابتُلي بهم ابتلاء تامًّا فتكاثر الكلام عن أحمد أكثر من الشافعي) ولهذا الشافعي وأحمد الكلام عنهما أكثر منه عن مالك وأبي حنيفة؛ لأن الكلام في زمن أبي حنيفة ما يسمَّى بعلم الكلام في زمن أبي حنيفة وفي زمن مالك أقل حدَّة، فلما جاء الشافعي استولوا على بني العباس ولا سيما في زمن المأمون، وكان الشافعي معاصرًا لجملة منهم مثل "حفص الفرد"، "بشر المرِيسي" وأمثالهم، ثم جاء الإمام أحمد فابتلي بهم وامتُحن مع بقية أئمة السنة.

فتجد الشافعي رحمه الله يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والأسواق ويقال: هذا جزاء ومن أعرض عن الكتاب والسنة،

وأقبل على الكلام، الإقبال على الكلام مباشرة سيجعلك تُعرض عن الكتاب والسنة، حتى لو حفظت الكتاب والسنة لكنك مُعرض عن تلقي الهداية منهما.

وقال: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ (صبيغ بن عيسى الذي جلده عمر)، وله في هذا اللون كثير حتى قال الذهبي في ترجمته: لعل هذا متواترٌ عن الشافعي، كثير، كثير، الكلام عن الشافعي كثير -رحمه الله تعالى- في هذا.

فهؤلاء الأئمة -رحمهم الله تعالى- هذا حكمهم في المتكلمين وأضرابهم من المنتسبين إليهم، لهذا يقول الشيخ الآن: ليس غرضي أن أتكلم عن واحدٍ منهم إنما غرضي الكلام على النوع من حيث العموم.

وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو؛ إمَّا نص وإمَّا ظاهر؛ لأن الله سبحانه فوق كل شيء وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك: ١٧].

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضعَ.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يُحصى إلا بكَلَفة.

هذا ذكره على سبيل المثال يقول: إذا كان الأمر كذلك يعني كما شرحنا، فهذا كتاب الله من أوله من الفاتحة إلى الناس، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم هذا كلام الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وكلام أئمة المسلمين بعدهم، مملوء بما هو إما نصٌّ وإما ظاهر.

النص: هو ما أفاد معنًى لا يحتمل غيره.

والظاهر: هو الذي يفيد معنًى مع احتماله معنًى آخر، لكن هذا المعنى الآخر مرجوحٌ، يعني أحد المعنيين راجح والثاني مرجوح، ما الفرق بين النص والظاهر؟ النص: لا يفيد إلا معنى واحدًا فقط لا يحتمل أي معنى آخر.

أما الظاهر: فيفيد أكثر من معنى لكنه في واحد منها راجح أكثر رجحانًا من غيره، مملوء بماذا؟ بالمسألة الكبرى التي أنكرتها طوائف المتكلمين في العموم الأغلب، وإن وُجد في بعض المتكلمين الحقيقة من أقر بها.

لكن في العموم الأغلب هم ينكرون أن الله تعالى في العلوِّ، وأعطاك الأمثلة مثل قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، فعبَّر بالصعود.

وقوله -عزَّ وجلَّ- في عيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ عبر بالرفع. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، والتصريح بأن الله تعالى في السماء ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦].

وهكذا العروج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وهكذا تدبير الأمر: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

وهكذا التصريح بالفوقية: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] الآية في الملائكة أن الربَّ فوق ملائكته سبحانه وتعالى.

وهكذا الاستواء على العرش، والعرش أعلى المخلوقات والله مستوٍ عليه -عزَّ وجلَّ- أي: مرتفع عليه، في هذه المواضع من القرآن وهي في: الأعراف ويونس والرعد والفرقان والسجدة والحديد، وهكذا قوله -عزَّ وجلَّ-، وهذه الآية مما شوَّش بها كثير من المتكلمين.

قالوا: كيف يستدل العلماء على أن الربَّ في العلو بقول فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[غافر: ٣٥، ٣٦]؟

ولهذا من عجائبهم قالوا: إن فرعون هو الذي يعتقد العلو، تقول: الذي اعتقد العلو هو فرعون، فمن اعتقد العلو فهو على طريقة فرعون، وماذا قال لهم أهل العلم؟ وإن كان فرعون أصلًا يقر بالربِّ سبحانه وتعالى، هو أصلًا ما كان يقرُّ بالرب: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].، ويقول لموسى: وما رب العالمين؟ إذًا كيف يستدل بالآية؟ قال: لأن موسى أعلمه أن ربه في السماء؛ ولذا لاحظوا الإضافة: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ما نظير هذه الآية؟ ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤].

وماذا قال فرعون أيضًا؟ ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر: ٢٦]، يعني هذه الأمور أتت فرعون، أصلًا فرعون لا يقرُّ بالرب حتى يقول إن هذا الربَّ الذي لا أعترف به أُثبِت له العلو، أصلًا لا يقر بالرب.

لكن أخبره موسى أن ربه في العلو؛ ولهذا قال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ تمام، مثل ما قال: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، بالإضافة قال: إلهك هذا الذي تقول إنه في السماء ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى ...﴾ [غافر: ٣٥،

٣٦]، الإله الذي يقوله موسى، هذا المعنى فالآية هذه من العلوِّ، أما قولهم: إن هذا يدل على أن فرعون يعتقد العلو هذه من استنباطات الجهالات، كيف يقر فرعون بالعلو وهو لا يقر بالله أصلًا؟!!

وهكذا قول الله تعالى في القرآن: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤] أن التعبير عما يكون آتيًا من عند الله تعالى بالنزول، والذي يكون ذاهبًا إلى الله بالصعود والرفع والعُروج كلها دالٌّ على هذا.

ولهذا قال أهل العلم: إن أدلة علو الله -عزَّ وجلَّ- إذا فصِّلت تبلغ أكثر من ألفِ دليل، ذكر هذا ابن القيم وشرح الطحاوية وغيره، حتى الرازي اعترف بهذا في التفسير، الرازي يعترف بأن أدلة العلو تبلغ أكثر من ألف دليل يعني في القرآن وفي السنة.

يعني قوله مثلًا ابن القيم ذكرها في الصواعق وذكرها في النونية، وذكر أنها واحد وعشرون نوعًا تحت كل نوع أفراد من الأدلة.

مثل النوع الأول: التصريح بأن الله في السماء ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ألا تأمنوني وأنا أمينَ من في السماء، قال للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء» «ارحمُوا مَنْ في الأرضِ يَرحمْكم مَن في السَّماءِ» يعني إذا عددت جميع النصوص الواردة في القرآن وفي السنة تبلغ أكثر من ألف دليل.

كلها تثبت أن الله تعالى في العلو، ومع ذلك ينفون هذا فإذا كان عندك النفي لهذه المسألة التي هي على غاية من الوضوح والجلاء.

حتى من ألطف وأبلغ الأمور أن الواحد منهم إذا أراد أن يدعو الله تعالى اتجه تلقائيًّا إلى السماء.

وفي قصة الهمداني المعروفة مع الجويني لما خطب وقال: إن الله لا يثبت له العلو ولو أثبت له العلو للزم السفول، والسُّفول ضد العلو فقال: دعنا من السُّفل والتحت وغيره

وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا: ما قال موحد يا الله إلا اتجه بقلبه دون توجيه إلى العلوِّ.

فنزل من المنبر وقال: حيرني الحمداني حيرني الحمداني؛ ولهذا من طريف المقاطع الموجودة الآن أن جملةً من الجهمية المتأخرين، وإذا قلنا الجهمية يشمل التيار عامة، المعتزلة تُعد من الجهمية، لعل يأتينا كلامًا عن التجهم من حيث التيار، يدخل فيه حتى فروع الجهمية كالأشعري والماتريدية، مجموعة منهم مما ينكرون العلو لهم مقاطع مصورة إذا تكلموا وذكروا الله تعالى رفعوا هكذا تلقائيًّا، يرفعون هكذا، مصورة.

يرفعون ويقولوا ربنا، بهذا الشكل، هذا معنى الفطرة، هذا معنى أن يكون هذا الأمر قد فطروا عليه فطرة، أمر فطري أن الرب تعالى في العلو، ومع ذلك كابروا كل هذه النصوص.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل "قصة معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه"، و"نزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه"، وقوله في الملائكة «الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فيعرج الذي باتوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُوهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ....»، وَفِي الصَّحِيحِ مِّنْ حَدِيثِ الْخَوَارِجِ «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن في السماء يأتيني خبرُ السَّماءِ صباحًا ومَسَاء».

وفي حديث الرؤية الذي رواه أبو داوود وغيره: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا﴾ [النساء: ٢]، هذه قراءة حفص، لكن يصح فيه الحُوب من حيث العموم، يصح في الحُوب الفتح والضم لكن الضم أشهر.

أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع قال صلى الله عليه وسلم: «إذا اشتكى أحد منكم -أو اشتكى أخٌ له- فليقل ربنا الله الذي في السماء» وذكره، وقوله في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه» رواه أبو داوود.

وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذيُّ وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: « أين الله؟ قالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة».

وقوله في الحديث الصحيح: «إن الله لما خلقَ الخلقَ كتبَ في كتابٍ موضوعٍ عندَه فوقَ العرشِ إن رحمتي سبقتْ غضَبي».

وقوله في حديث قبض الروح: «حتى يعرجَ بها إلى السماءِ التي فيها الله» إسناده على شرط الصحيحين.

وقول عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه: الذي أنشده النبيَّ صلى الله عليه وأقره عليه:

"شهدت بأن وعد الله حق*** وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طافٍ*** وفوق العرش رب العالمينا"

وقول: أميّه ابن أبي الصَّلْت الثَّقفي الذي أُنشِدَ للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه.

وقال: «آمن شعره وكفر قلبه»:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرَا

بالبِنَا الأَعلى الذي سبق الناس وسوَّى فوق السماء سريرَا

شرَج عما يناله بَصرُ العين ترى دونه الملائكة صورَا

وقوله في الحديث الذي في السنن: «إن الله حييٌّ كريمٌ يستحيي من عبدِه إذا رفعَ إليه يديه أن يردهم صفرًا».

وقوله: «يمدُّ يديْه إلى السماءِ يا ربُّ يا ربُّ» إلى أمثال ذلك مما لا يُحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورثُ علمًا يقينيًّا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوِّين أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم؛ عربِهم وعجمِهم في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالَتْه الشياطين عن فِطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمع لبلغ مئاتٍ أو ألوفًا.

ذكر رحمه الله تعالى جملة من الحديث بعد أن ذكر النصوص القرآنية ذكر جملة من الأحاديث النبوية الدالة على أن الله في العلو مثل ما ذكرنا يعني تبلغ أكثر من ألف، لكن من أعجبها على الإطلاق خبر المعراج، لأن خبر المعراج يقر به هؤلاء.

ويقولون: إن النبي صلى الله عليه و سلم عُرج به إلى ربه و إن من كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه أن الله عرج به وهذا حق، ففي باب النبوة أقروا بالمعراج، لكن في باب التوحيد لم يأخذوا بمدلوله، هو عُرج به إلى السماء السابعة، وجد في السماء الأولى آدم في السماء الثانية والثالثة والرابعة، حتى بلغ السادسة وجد فيها موسى، حتى السماء السابعة وجدَ فيها إبراهيم عليه وعليهم جميعًا الصلاة السلام.

قال: ثم ارتُفع بي إلى مستوى سمعت فيه صَريفَ الأقلام، أقلام الملائكة التي تكتب ثم كلّمه الله تعالى كفاحًا وفرض عليه الصّلوات يعني مباشرة، ثم نزل حتى وصل إلى السماء السادسة فصارت السماء السادسة الآن نزولًا بالنسبة إلى ما فوقها، فسأله موسى: ما فرض عليك ربك؟ فأخبره أنه فرض خمسين صلاة.

فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجع إلى الله وارتفع به جبريل مرة أخرى إلى السماء إلى ما فوق السماء السابعة، يقال السماء التي فيها الله فوق السماء -سبحانه وتعالى- فخففها الله، ثم نزل إلى موسى.

ماذا يدل عليه هذا الحديث؟ يدل على أن الله تعالى فوق السماوات، فلما جاءوا إلى باب النبوة وفضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باب نتفق معهم فيه قالوا: إن من كراماته وعِظم قدره هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على ربه أن الله عرج به، إلى أين؟ إلى ما فوق السماء السابعة.

ماذا حصل في أحاديث المعراج؟ أن الله كلّمه مباشرة وفرَض عليه الصلوات، وتميَّزت الصلاة، يأتوك في كتب الفقه، يقول لك في كتب الفقه تميزت الصلاة من بين جميع الأحكام من بين جميع الشرائع بأن الله فرضها بنفسه، بينما فرض الحج والصوم وفرض الزكاة بالوحي.

عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه -تبارك وتعالى- وكلَّمه تعالى كفاحًا ومرَّ بالسماوات السبع بالتفصيل هذا حتى كلَّمه الله فوق السماوات، ثم لا يكون الله في العلوِّ، فتقرَّ بالعلوِّ بالمعراج في باب النبوة وتجحده في باب التوحيد.

هذا مثل ما ذكرناه قبل قليل (أمر الاضطراب)، كيف يضطرب الواحد منهم؟ أنه يلاحظ أنه عنده إيمان بشيء في باب ويرفضه في باب آخر، لأجل ذلك يكثر عندهم الخلط في مثل هذه المسائل، إضافة إلى مسائل الأحاديث التي ذكر صريح جدًا فيها التصريح بأن الله تعالى في السماء وأن الله تبارك وتعالى في العلو، وأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد للجارية بالإيمان لما قال: «من أنا؟ قالت: رسول الله قال: أين الله؟ قالت: في السماء قال: أعتقها فإنها مؤمنة».

خبر عبد الله ابن رواحة شهدت بأن وعد الله حق وفيه أن العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش رب العالمين.

إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لشعر أمية بن أبي الصلد وهو لم يسلم قطعًا، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يسلم لكنه آمن شعره وكفر قلبه، عياذًا بالله.

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد من شعره فأنشده حتي الصحابة مائة بيت، في كل ما يذكر من بيت يقول النبي صلى الله عليه وسلم هي، يعني يريد المزيد حتى أنشده مائة بيت أو أكثر من مائة بيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمن لسانه وكفر قلبه أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وفيه قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهل*** ربنا في السماء أمسى كبيرًا،

وهكذا العبدُ إذا مدَّ يديه إلى السماء، وفي الحديث: «يمدّ يديه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ»، لولا أن الله تعالى في السماء ما مد أحد يديه؛ لأنه يمد يديه إلى الله، لو مد يديه إلى السماء يدعو السماءَ لكان مشركًا.

لكنه يمد يديه لأنه يعلم أن الله تعالى في السماء، وهذا الأمر الذي قلنا لكم أنه فطر عليه الجميع، ولهذا في الحديث الذي في السنن: «إن اللهَ حييٌّ كريمٌ يستحِي من عبده إذا رفعَ إليه يديه» إن ترفع يديك إلى الله -عزَّ وجلَّ-.

لأن الله تعالى في العلو، يقول إلى غير ذلك من المتواترات، هذا أمر متواتر معلوم فطر الله تعالى على ذلك جميع الأمم، حتى إنك تجد أن هذا الأمر في فطر الناس جميعًا، تجد أن الناس مستقِّر عندهم أن ربهم تبارك وتعالى في العلو.

العرب منهم والعجم جميعًا مستقر هذا عندهم لا يشكون فيه، ثم جاء هؤلاء كلهم فقالوا: إنه لا يثبت لله العلو، فكابروا الفطرة، وكابروا القرآن والسنة وإجماع السلف.

ثم يقول: ثم عن السلف في ذلك يعني من الآثار من الأقوى ما لو جُمع لبلغ مئات أو ألوفًا، كذلك نعم يبلغ المئات ويبلغ الألوف، وإذا أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى كتب الاعتقاد المسندة التي تروي العقيدة، ومنها كتاب (الشريعة) للآجُرِّي، كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي، كتاب (الإبانة الكبرى) لابن بطَّةَ رحمهم الله.

انظر إلى الأحاديث الواردة فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انظر إلى الآثار الواردة عن الصحابة وعن التابعين، تجد أنها كلها تثبت الصفات، ما تجد فيها نفي للصفات وإنما كلها تتجه اتجاهًا واحدًا على إثبات الصفات.

إذًا نتوقف الآن، إن شاء الله نُتِمُّ بعد الصلاة على خير إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

قال -رحمه الله تعالى-: ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا.

ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع ونحوها.

بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جعل يقول: «ألا هل بلغت» فيقولون: نعم، فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: «اللهم اشهد» غير مرة وأمثال ذلك كثير.

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من هذه العبارات ونحوها دون ما يُفهمُ من الكتاب والسنة إما نصًّا وإما ظاهرًا فكيف يجوز على الله ثم على رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نصٌّ أو ظاهرٌ في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصًّا ولا ظاهرًا؟

حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يُبَيِّنون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مُكلَّف أو كل فاضل أن يعتقِدها، لئن كان ما يقوله هؤلاء المُتكلمون المُتكَلِّفون والاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرَّد عقولهم وأن يدفعوا بمُقتضى قياس عقولهم ما دلَّ عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضا في أصل الدين

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشرَ العباد لا تطلبون معرفةَ الله -عز وجل- وما يستحقُّه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريقِ سلَف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مُستحقًا له من الأسماء والصفات فصفوه به سواءً كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لا تجدونه مُستحقًا له في عقولكم فلا تصفوه بِهُ.

بسم الله

تكلم -رحمه الله تعالى- في هذا الموضع -بعد أن ذكر أهمية هذه المقدمة- أنه لا يوجد عند هؤلاء الذين خالفوا السلف أدنى أثر أو حديث يمكن أن يتشبثوا به فيقولوا إن لنا أصلًا نرجع إليه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فلئن كانت النصوص التي ذكرت على كثرتها تثبت العلو فعندنا دليلٌ دل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نفاه أو أن الصحابة أو التابعين نفوه، هذا لا يستطيعون أن يقولوه.

ولهذا يقول -رحمه الله تعالى-: ليس في الكتاب ولا في السنة ولا عن أحد من سلف الأمة الذين أدركوا زمن الأهواء -لأن زمن الأهواء جاء متأخرا- ففي فترة الخلافة الراشدة لم يكن هناك شيء من البدع.

إلا أنه خرج في آخر عهد عثمان -رضي الله عنه- بدايات رؤوس الخوارج إلى أن قتلوه -رضي الله عنه- ثم انضموا إلى جيش علي -رضي الله عنه- وهو منهم براء وخرجت فرقتان، فرقة تتشيع لعثمان وأخرى تتشيع لعلي، هؤلاء يذمون عليًّا ومن معه، وشيعة علي يذمون مخاصميهم كطلحة والزبير ومعاوية، وربما وصلوا إلى عثمان حتى بلغ بهم الحد أن وصلوا فيما بعد إلى أن نالوا من أبي بكر وعمر، والصحابة براء من الطائفتين معا لا من الناصبة ولا من الرافضة كلهم براء منهم.

ولعلي -رضي الله عنه- شرف قتال الرافضة وقتال الخوارج معا فإن قتال الخوارج واضح فهو قتلهم ودلت النصوص على قتله إياهم.

أما الرافضة فسلفهم هم الذين قالوا إن عليًّا هو ربنا وقد أبى -رضي الله عنه- أن يقتلهم قتلة سوية، فأحرقهم بالنار، وهم أنفسهم الآن الذين تسمعهم يقولون إن عليا هو ربنا وخالقنا ورازقنا ويدبرهم.

نفس أولئك السبئية تماما، فعلي -رضي الله عنه- براء من هؤلاء الذين يغلون فيه وعثمان -رضي الله عنه- براء من الناصبة الذين يذمون عليًّا، والصحابة براء من هاتين الطائفتين جميعا.

بعد ذلك اشتدت الفتن وخرج -كما سيأتينا إن شاء الله تعالى- الجعد بن درهم وهو شيخ الجهم بن صفوان زعيم الجهمية، وخرج فيما بعد المعتزلة ومجموعة من الفرق الضالة.

يقول الشيخ هنا: لا يوجد في زمن الصحابة قبل الأهواء ولا بعدما خرجت بدايات الأهواء في الخوارج وفي الروافض ولا فيما بعد لما أدركه التابعون ومن بعدهم من فرق الضلال لا يوجد عن السلف حرف واحد يخالف ما دلت عليه نصوص القرآن من إثبات العلو والصفات لله تعالى، لا نصا ولا ظاهرا.

تحدث عن الفرق بين النص والظاهر، ثم أعطى أمثلة.

لا يوجد أحد منهم يقول إن الله ليس في السماء أو أن الله ليس على العرش ولا أنه في كل مكان كما تزعم الجهمية وأن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، هذه كلها مقالات إما للنفاة أو للجهمية تحديداً هم الذين يقولون الله في كل مكان عياذا بالله.

أما القول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل، هذه مقولة الأشعرية نشأت لاحقًا، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع، هذا مقالة المتكلمين، يقولون: ليس لك أن تشير إلى الله بالأصبع لأنه يزعمون أن الله ليس في السماء.

فقال الشيخ: ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في مسلم في أعظم مجمع أنه قال: وأنتم تُسألون عني -في حجة الوداع- فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال هكذا -صلى الله عليه وسلم- يرفع أصبعه اللهم ثم ينكب الأصبع يعني يميلها عليهم اشهد، ثلاث مرات.

وفيهم من يبلغ به الأمر يقول: من أشار إلى العلو بأصبعه يكفر، هكذا يقولون، هذه إشارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح.

ومزيتها أنه في أعظم مجمع وُجد في الإسلام وهو حجة الوداع ويفعل هذا -صلوات الله وسلامه عليه- بمجمع هؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- ثم تقولون: من فعل هذا فإنه يكون كافر.

ولهذا ماذا قلنا؟ إن ابن القيم يقول:

وأخو الجهالة في خبارة جهلهِ ** والجهلُ قد يُنجي مِن الكُفرانِ

الكلمة هذه، لو قال أحد إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بها يكون قد خالف ما ينبغي اعتقاده لكَفَر.

لكن الجاهل يقول هذا لأنه لا يدري ما صحيح مسلم ولا ما صحيح البخاري، هؤلاء يا أخوة مثل ما ذكرت، كثير منهم لا يعرفون، لا نقول لا يعرفون الأحاديث نقول لا يعرفون النصوص، لا يعرفون الكتب نفس الكتب.

لهذا يقول الشيخ -رحمه الله تعالى-: بعضهم لا يعرفون البخاري إلا بالاسم، يسمع أن هناك كتابا اسمه صحيح البخاري.

ولهذا اقترحنا -إذا كان فيكم أحد من طلاب الدراسات العليا- اقترحنا موضوعاً قد يكون مشروعاً لطلاب العقيدة "الجهل بالنصوص لدى أهل الضلال عموما" سواء المتكلمون أو المتصوفة أو من المعاصرين من الليبراليين وأمثالهم.

جهل عجيب جدا بالنصوص، وجمعت من هذا شيئا كثيرا، كنت أنوي إخراجه ولكن أشغلني عنه ما هو أهم، فمثل هذا الموضوع الحقيقة، هناك جهالات تعجب منها، من جهلهم بالنصوص.

وإلا لو قال أحد في رسوله -صلى الله عليه وسلم- إن كان فعل هذا فإنه قد تصرف بما لا يليق لكن كلامه موجها للرسول -عليه السلام-، لكنه لا يدري، لا يعلم أن ثمة حديثا خاصا في هذا.

ولأجل ذلك -مثل ما ذكرنا- أنهم يجهلون مثل هذه الأمور.

يقول الشيخ بعد ما قرر هذه الحقيقة بأن هذا هو الموجود في النصوص إثباتا وأنه لا يوجد في النصوص ولا عن السلف الصالح ما يخالف هذا مما قاله السالبون، السالبون يعني النافون للصفات.

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة فمعنى ذلك أن الناس قد ضلوا بنفس نصوص القرآن والسنة لأن نصوص القرآن والسنة فيها ضد ما يقر هؤلاء.

فيقال: أنتم على أحد خيارين اثنين أحلاهما مر، إما أن تكونوا أنتم على الحق والذي في النصوص هو الضلال.

وإما أن تقول بل ما في النصوص والحق ونحن على الضلال، وهذا ما قاله ابن مسعود -رضي الله عنه- لمن كانوا يذكرون الذكر الجماعي كما ثبت عنه بسند صحيح في سنن الدارمي، أتاهم كانوا يهللوا مئة، يسبحون مئة، بصوت مرتفع واحد، صوت جماعي، فقال: إنكم على ملة هي أهدى من ملة محمد -صلى الله عليه وسلم- أو مفتتحو باب الضلالة.

يقول: اختاروا أحد أمرين، إما أنكم وجدتم دينا خيرا من دين محمد -صلى الله عليه وسلم- وإلا فقد فتحتم في الأمة باب ضلال، فقالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير فقال: وكم من مريد للخير لا يصيبه.

فالحاصل أن الأمر كما قال الشيخ، إن كان الحق فيما يقوله نفاة الصفات دون ما يُفهم من الكتاب والسنة فكيف يجوز على الله وعلى رسوله ثم على خير الأمة أن يتكلموا دائماً بما هو خلاف الحق الذي يجب اعتقاده؟ ولا يبوحون بتاتا -البوح هو الإظهار- لا يظهرون قط هذا الاعتقاد الذي عليه المتكلمون ولا يدلون عليه إلى أن وُجد فيما بعدُ الذين دخلوا في الإسلام من

المتأخرين من الأعاجم كمن دخل في الإسلام من الفرس أو الروم وأمثالهم، فهؤلاء حتى اللغة العربية لا يدركونها إلا بالتعلم، فكيف يكون هؤلاء الذين على هذا الحال من الجهل ومن الخلفية الشركية السابقة حتى لو دخلوا في الإسلام تبقى معه رواسب.

إذن هو عامي يُفترض أن يُدل وأن يُعلّم، أما أن يظن أن ما عنده هو الهدى فيُؤخذ منه ومن فروخ اليهود والفلاسفة ليُبيّنوا العقيدة الصحيحة للأمة، لئن كان ما يقولونه هو الاعتقاد الواجب لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم.

يقول: إذا كان الحق هو كذلك والذي في الكتاب والسنة ضد لما يقره هؤلاء، إذن فترك الناس بلا كتاب وبلا سنة أهدى وأنفع.

هذا التقدير يعني هذا على سبيل الإلزام يقول: بل قد كان وجود الكتاب والسنة على قولكم هذا ضررا محضا في أصل الدين، لأنكم تقولون لا تؤخذ منه الهداية وإنما تؤخذ الهداية من غيره.

يقول: فإن حقيقة الأمر على ما يقول هؤلاء أنكم لا تطلبون معرفة الله لا من الكتاب ولا من السنة لكن انظروا فما وجدتموه أنتم مما يستحقه الله من أسماء والصفات فاصفوا الله به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن موجودا.

وما لم تجدوا الله يستحقه من هذه الأسماء والصفات فلا تصفوه به، إذن ما الفائدة من وجود الكتاب والسنة؟

ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: -إلزاما لهم-

إن كان ما قد قلتُمُ حقا فقد ** ضل الورى بالوحي والقرآنِ

إذ فيهما ضد الذي قُلتُمْ وما ** ضِدّان في المعقول يجتمعانِ

الموجود في الكتاب والسنة ضد لما تقررونه أنتم معاشر متكلمين، فإن كان ما تقولون حقاً فمعنى كلامكم ولازمه أن الذي في الكتاب والسنة هو الضلال فإن قلتم كيف يقول هذا مسلم أن

الذي في الكتاب والسنة ضلال؟ نقول إذا اعترفوا أن الذي عندكم مما هو ضد الكتاب والسنة هو الضلال أحد أمرين مثل ما قال ابن مسعود.

وهذا كله كما قلنا على سبيل الإلزام لهم وتبيين أن ما هم عليه هو الباطل المخالف لما في النصوص.

ثم هم هنا فريقان أكثرهم يقولون ما لم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه وما نفاه قياس عقولكم -الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلافٍ على وجه الأرض- فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا فإنه الحقُّ الذي تعُبدتم به.

وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يُخالِف قياسكم هذا أو يُثبِتُ ما لم تُدرِكه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أني امتحنتكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهِدوا في تخريجه على شواذِّ اللغة ووحشيِّ الألفاظ وغرائِب الكلام وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

ذكر أنهم فريقان، الفريق الأول يقول: -وهو أكثرهم- ما لم يثبته العقل تنفيه، حتى لو كان في الكتاب السنة؟ قال نعم ولكن لا تنفي أصله وإنما تُميل المعنى إلى -بزعمهم- ما يليق بالله.

يقول: لأن الظاهر لا يليق بالله، ما الحل؟ أن تبحث عن الشواذ والنادر في لغة العرب الذي يكون مهجورا ولا يكاد يوجد إلا في بيت شعر نادر واحمل هذا اللفظ عليه إذا استطعت.

أما القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين ودل على هذا يقول: لا ينبغي أن تثبته على ظاهره، لماذا؟ لأنه بزعمه يخالف العقل.

آخرون منهم يقولون: لا نقول إنكم تنفون ولكن نقول المعنى هذا توقفوا فيه، يبقى الأمر الآن، إلى أي شيء نعود؟ قالوا: نعود إلى قياس العقل، أنت تعلم أن القياس له موارد، يكون فرعٌ يقاس على أصل لعلة تجمعهما.

الرب -سبحانه وتعالى- كيف يقاس -سبحانه وبحمده- على خلقه؟ وهذا أساس ضياع هذه الفرق الضالة كما سوف يأتينا، أنهم قاسوا الرب بعظمته وغناه على المخلوق بعجزه وافتقاره وصاروا يقولون: إنه لا يليق أن يوصف الله بهذا الوصف لأن هذا الوصف يلزم عليه في وصف المخلوق كذا وكذا من النقص قال: هذا اللازم على المخلوق، أما الله تبارك وتعالى فكل وصف اتصف به ومدح به نفسه فهو كمال، كمال لا يمكن أن يتطرق إليه النقص بأي وجه من الوجوه.

لكنكم لم تعرفوا الله حق معرفته ولم تقدروه حق قدره -سبحانه وتعالى- وإلا لما جعلتم الله تعالى على هذا الحد من القياس.

أما أن تقول: إن ما نفاه القياس العقلي...

وقبل أن يتحدث عن أمر القياس العقلي قال الذي أنتم فيه مختلفون الآن لو قلنا سنرجع إلى قياسكم أنتم معاشر المتكلمين هل أنتم في هذا القياس العقلي سواء؟ أم مضطربون متفاوتون مختلفون غاية الاختلاف؟

مضرب المثل في الاختلاف هم المتكلمون، حتى إنه ذكر السمعاني أبو المُظفّر -رحمه الله-أن المعتزلة كانوا -الغُلاة- في فترة سابقة كانوا يبلغون عشرين فرقة، تكفّر كل فرقة التسع عشرة الأخرى كاملة.

فإذا كان التكفير الآن بينكم -وأنتم تجمعكم أصول المعتزلة الخمسة- ومع ذلك لم تستطيعوا أن تكون على قول واحد في هذا الاعتقاد الفاسد اعتقاد المعتزلة، فإلى أي شيء يُرجع؟

بل ذكر أعجب من ذلك أن أبا عليّ الجُبّائي أتباعه يكفرون ابنه أبا هاشم وأتباع ابنه أبي هاشم يكفرون الأب أبا علي وأتباعه قطعا، ويكفرُ الشيوخ تلاميذهم والتلاميذ شيوخهم عندهم

التكفير منتشر جدا بسبب ماذا؟ بسبب الخلاف في القياس العقلي والقياس العقلي عندهم يقولون قاطع وإذا خالفت القاطع العقلي فخلافك للأمر العقلي القاطع كفر منك لأنه يبنى عليه أمر الاعتقاد بالله فيقول: هذا الأمر الذي تقول إنه قطع العقل به أنا أقول إن العقل ينفيه.

قال: تنفي القاطع العقلي لأن الذي قررته أنا بالمقاييس العقلية الكلامية قال نعم قال إذا فأنت كافر، قال بل أنت كافر بإثباتك إياه فيقول: هذا أنت بنفيك إياه كافر يقول بل أنت بإثباتك إياه أنت الكافر.

ونقل البغدادي مناظرة طويلة لمجموعة من المعتزلة جلسوا بعد العشاء ولم يتفرقوا إلا عند الفجر -عياذا بالله- كان عددهم ثمانية أو سبعة وذكر المناقشة الطويلة التي كانت بينهم فلما قرر الأول ما قرر وقال له الثاني أنت بذلك كافر وكلهم معتزلة ثم استمرت المناقشة عند الفجر كفر كل واحد منهم الآخر جميع الثمانية يكفر كل واحد منهم الآخر.

الآن إذا كان المرد إليكم أنتم وإلى قياسكم العقلي هل أنتم في القياس العقلي أصلا سواء؟ أنتم لستم سواءً.

شُبَهٌ تهافتُ كالزجاج تخالها ** حقا، وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ

لو ضربت زجاجة بأخرى لتكسر الزجاجة التي بيدك هذه للأخرى لانكسرت الزجاجتان.

هي مجرد شبهات..

الحقيقة أن الأمر مثل ما قال شيخ الإسلام يقول: واحد منهم يقرر في كتاب ما ينقضه في كتاب آخر، بل يقول في كتابٍ إن اعتقاد هذا كفر ثم يقرره في كتابٍ آخر وخذ مثال على ذلك مثلا الغزالي حين رد على الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة فإنه كفرهم في ثلاث مسائل عدم الإيمان بالمعاد ونفي علم الله تعالى بالجزئيات، في الأربعين وفي المشكاة قال بقول الفلاسفة فكأنه بذلك كفر نفسه، لهذا قلنا أنهم في آخر حياتهم وإذا رأوا ما كتبوا ورأوا التناقضات الكثيرة يرجع الواحد منهم في آخر حياته ثم يقول أنا أترك هذا الباب كاملا.

ومثل ما قال فيما نُقل عن الرازي: ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، لقد تأملت المناهج الفلسفية والمذاهب الكلامية فما وجدتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا.

كل هذا بسبب التداخلات وهذه الفوضى.

فيقول: إلى أي شيء يرجع الناس إذا قلتم إنه لا يُرجع الكتاب والسنة يُرجع إلى ماذا؟ إلى قياسكم؟ أنتم في قياسكم في غاية الاختلاف، فإن كان الحق الذي تعبّد الله تعالى به العباد ليس في الكتاب والسنة وإنما في قياسكم فمعنى ذلك أن الله تعالى يقول: إني أنزلت هذه النصوص لا لتعتقدوها ولكن لتجتهدوا في إخراجها عن معانيها في إرجاعها إلى شواذ اللغة ووحشي الألفاظ مع نفي دلالتها على شيء من الصفات.

هل هذا إلزام يلزمهم به الشيخ أو صرح به بعضهم؟ هذا ما سيأتيك.

نعم

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازمٌ لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتَدَى به في معرفة الله وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- معزولٌ عن التعليم والإخبار بصفات من أرسلَه، وأن الناس عند التنازُع لا يَردُّون ما تنازَعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء، كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين.

هذا الأمر هل هو لازم أو صرح بمعناه بعضهم؟ صرح بمعناه بعضهم كابن عقيل وابن رشد الحفيد، ابن رشد الحفيد أسوأ حالا من المتكلمين لأنه يقول بمقالات الفلاسفة والفلاسفة أسوء حالاً من مقالات المتكلمين.

ولهذا رد على الغزالي في كتاب التهافت وانتصر لمقولات الفلاسفة، وصرح بأن هذه الأمور مجرد -عياذا بالله- مجرد خيالات ليس لها حقيقة ولا واقع، يعني نفس طريقة الفلاسفة.

فهذا الكلام يقول: هو لازم لجماعتهم وصرح بمعناه بعضهم كما فعل ابن عقيل، ابن عقيل هذا من الحنابلة ومال إلى المعتزلة، لذا غضب عليه الحنابلة واستتابوه.

وممن اشتد عليه الشريف أبو جعفر -رحمه الله- من كبار الحنابلة، حتى لجأ إلى الخليفة، وذهب إلى ديوانه وأشهد على نفسه أنه راجع عن هذه المقالات التي خالف فيها أهل السنة وأنه إن عاد فإنه يستحق القتل ونحو ذلك.

بسبب تداخل هذه الكلمات وأنا لا أحب أن أنقل كلامًا، لأني ألاحظ أنه يوجد عدد من الطلاب صغار وأن كلامهم مريع الحقيقة، بمن فيهم ابن عقيل لكن لعله إن شاء الله يكون رجع عنه.

ولهم عبارات في غاية السوء والفظاعة تجدها، نقلها شيخ الإسلام في در التعارض.

أنقل عبارة الكيا الهراسي -عياذا بالله- يقول: القرآن فيه الحجاج وليس فيه الفلج -كلمة تكاد السماوات يتفطرن منها- ما معنى ليس فيه فلج؟ ليست حججا قوية، يعني فيه نقاش لكن نقاشٌ ليس فيه فلج وإسكات للخصم وقطع لحجته.

صرح به تصريحا الكيا الهراسي من المتكلمين متأخر.

وعبارات مريعة مثل هذه -الحقيقة- في غاية السوء والفظاعة تجدونها في عباراته، ذكر الشيخ هذا، نقل عنه في الدرء، وعبارات مثل ابن عقيل يقول: إن السبب في انتشار التشبيه هي نفس النصوص، النصوص المتسببة بهذا هي نفسها، ويقولون: هذا هو الأصلح للعامة، الأصلح أن يعتقدوا التشبيه، دعهم يعتقدوا التشبيه هذا الأصلح لهم، أما الخُلص والخواص هؤلاء هم يعرفون من المقاصد يعني ما قاله وإن كانوا على طريقة المعتزلة لكن أقرب إلى تقريرات الفلاسفة كما يقررها ابن رشد وأمثاله.

فمقالات في غاية الفظاعة، كل هذا ما أوصلهم إليه عياذا بالله هذه المقالات الكاسدة الفاسدة التي مضمونها كما قال الشيخ: أنه لا فائدة من الكتاب أو السُنة وأنه عند التنازع لا يرد الأمر إلى الله والرسول وإنما يرد إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، فكأن القرآن والسنة غير موجودَين وكأن الله لم يبعث رسوله لأنهم لا يأخذون الهدى من الكتاب والسنة.

حتى صرّح الرازي -أظن في المطالب- صرّح بأنه حتى اليوم الآخر لا يُثبت بالنصوص، يقول لا يدلّل عليه بالنصوص إنما يدلّل عليه بإجماع الرسُل يعني أن نصوص القرآن هذه، ذكر الجنة والنار.. هذه لا تدل ولكن نلجأ إلى الإجماع، لماذا؟ لأن نصوص القرآن لا تدل في المطالب العلمية، عندنا شيء اسمها المسائل العلمية والمسائل العملية.

المسائل العملية: مثل الصلاة والزكاة هذه عملية تُطبق.

المسائل العلمية هي الاعتقادية.

يقول: النصوص لا تدل.

إذا كانت النصوص في القرآن والسنة لا تدل على حتى على اليوم الآخر الذي ذكر الله تعالى فيه ونوّع وصرّف وبيّن ووضّح أنواع ما فيه من النعيم والعذاب وما سيحل بالأرض إذا تناثرت الكواكب وانشقت السماء.

كل هذا -يقول- لا يدل، كله لا يدل، لماذا؟

الآن يعزل النص القرآن يعني يكون دليلا في المسائل العلمية يعني في المسائل العقدية وإن تكاثرت النصوص.

هو صاحب الكلمة نفسها في كتابه في التفسير يقول: إن العلو دل عليه أكثر من ألف دليل لكن لا نقر به، لا يقر به لأنهم لا يرون هذه النصوص في الكتاب والسنة دالة، وإنما تؤخذ الدلالات منها.

ولهذا مذاهب المتكلمين كثير من الناس لا يعرف الفظاعة الموجودة فيها، هي مذاهب في غاية الفظاعة، فظيعة جدا.

ومع ذلك ليت مذهب السلف سلم منهم، يرون أنهم هم أهل السنة وأن القائل بمذهب السلف هم الحشوية وهم المجسمة، ويصرح بعضهم بالكفر ويقول نحن أهل السنة مع هذا الضلال البعيد الذي هم عليه يقولون بكل هذا الكلام بما يدلك على ما أوصلهم إليه الطغيان في قلب الحقائق وإظهارها على غير ما هي عليه.

ولهذا يقول: هذا مؤدى الكلام: أنه عند التنازع لا يرد الأمر إلى الكتاب والسنة فكأن القرآن والسنة لم ترِد وكأن الأمور على ما هي عليه في الجاهلية.

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شده ولا يرتفع الخلاف به إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه هؤلاء المتكلفين بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

فإن هؤلاء إذا دُعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته أعرضوا عن ذلك، وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علما وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

يقول: إذا رددنا الأمر إلى ما تقولون لا يزيد إلا شدة واضطرابا وحيرة، لكل فريق منكم طواغيت تريدون أن تتحاكموا إليهم فهذا له طاغوت وهذا له طاغوت، والطاغوت في كتاب الله يطلق ويراد به معنيان.

المعنى الأول وهو المشهور: المعبود من دون الله إذا كان راضيا، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الطاغوت هنا المعبود من دون الله.

النوع الثاني: الطاغوت هو المتحاكَم إليه دون شرع الله -عز وجل- وهو المراد هنا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠].

الطاغوت هنا الذي يستبدل بأحكامه أحكام الشرع هذا المراد ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فيقول: لو رددنا الأمر لكم فأنتم أصلا في قول مختلف لستم على قول واحد هذا يرجع إلى عمرو بن عبيد وهذا يرجع إلى واصل وهذا يرجع إلى الفارابي وهذا يرجع إلى الغزالي وهذا يرجع إلى الرازي، أصلاً أنتم ليس لكم قاعدة واحدة كما تقدم.

يقول: إنهم يقولون إنما نقصد الإحسان كما قال الله -عز وجل- عن هؤلاء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

هم يقولون نحن ما قصدنا إلى التوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية ويضعون قانونهم الفاسد الذي هو قانون التأويل الذي يقولون فيه إن المقصود به أنّا إذا قبلنا دلالات النقل قدحنا بذلك في نفس الدلالات النقلية لأن العقل هو الذي دل على النقل فيكون العقل مقدما فكيف نقدح في العقل والعقل مقدم على النقل.

فقلبها عليهم شيخ الإسلام وأتى بالقانون الإسلامي وهو أن العقل في الحقيقة مع النقل مثل البصر مع الشمس، فالشمس والإضاءة لو أنها سلبت من الأرض وصار الليل حندسًا ما رأيت.

فالعقل مثابة البصر والذي يهديه هو النور والإضاءة التي هي الشمس فكذلك العقل يهديه الوحي، وإلا فعقول الناس متفاوتة وأفهامهم متفاوتة فتجد أن هذا يقرر قولا يرى أن العقل دل

عليه وذلك يقول بل هو خرافة ويكون لكل طريق فيأتي الشرع بالحق المبين ويُعرف أن ما خالفه باطل.

سواء سمي عقلا أو عرفا أو أوضاعا اجتماعية أو أحكاما مخالفة للشرع كلها باطلة والدليل على بطلانها مخالفة الشرع فيكون الشرع هو الدليل وهو الهادي وبذلك تجتمع الأمة.

الأمة لا تجتمع إلا إذا كان لها مرجع ترجع إليه، أما إذا كان لهؤلاء مرجع ولهؤلاء مرجع ولهؤلاء مرجع تفاوتوا.

لهذا في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما المرجع؟ المرجع هو كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- فكانت الأمة واحدة ولأجل ذلك قال -صلى الله عليه وسلم- «تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

ومدح -صلى الله عليه وسلم- أصحابه والسائرين على هديهم وقال كما سيأتي «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» ثم بيّن أنّها الجماعة وأنّها ما كان عليه هو وأصحابه.

كل هذا يُبيّن أنّ الحق كما قال عمر -رضي الله عنه-: «فإنّ الحق قديم» الحق قديم، سابق، الذي كان عليه الصحابة والتابعون كان اعتقاداً حقا، فإذا جاء أحد باعتقاد يخالفهم عليه لا شك أنّه يكون اعتقاداً باطلاً.

نعم

ثم عامة هذه الشبهات التي يُسمُّونها دلائلَ إنما تقلَّدوا أكثرها عن طواغِيت من طواغِيت المشركين أو الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أُمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان.

أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ

فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أنما يقوله هؤلاء المتكلِّفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدلَّ عليه الكتاب والسنة لا نصًّا ولا ظاهرا، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دلَّ الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

لقد أبعد النجعة وهو إما ملغز وإما مدلِّس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً.

يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول -صلى الله عليه وسلم- يومًا من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيه فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا فتوقفوا أو انفوه.

قال عامة الشبهات هذه التي يقولون إنها دلائل من أين تقلدوها؟ من طواغيت غالبا تكون من طواغيت الكفار من الفلاسفة وأضرابهم سواء من الصابئة أو غيرهم من المشركين أو بعض من ورثهم من المنسوبين لهذه الأمة.

وقد أمروا أن يكفروا بهؤلاء الطواغيت قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥].

العجب العجاب أن الواحد منهم يكون قاضيا في بعض الأحيان، من قضاة المعتزلة أو الجهمية وغيرهم ويطبق الشرع بكل قوة وإذا جاءت الأحكام العملية لا يقبل فيها أي خلاف للظاهر ويقول إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

طيب لماذا هذا الفصام عندك؟ يعني أنت ستقبل ما قاله الله تعالى في الأمور العملية في البيوع والشفعة والإجارة وغيرها وتطبق وأنت قاضٍ وفي الصلاة وفي الوضوء؟

فإذا جاءت المطالب العظيمة العليّة تلقيتها من غير الكتاب والسنة وقد أُمِرت أن تكفر بما سوى الكتاب والسنة من هذه الضلالات، خاصة أنت الآن أتقول أفلاطون وسقراط رحمهم الله؟ يقول لا والعياذ بالله ما أقول رحمهم الله لماذا لا تترحم عليهم؟ أنت قد أخذت نصف دينك منهم، أنت تأخذ معرفتك بالله منهم.

إذا كانوا كفارا عندك، هذه المقايس الآن التي أخذتها من أين أخذتها، إنها من تقعيد فلاسفة اليونان أو من الصابئين المشركين وأمثالهم كما سيأتينا -إن شاء الله- في المثال عليه في الجعد وأمثاله.

فعندك هذا الفصام العجيب جدا يطبق الشرع في الأحكام العملية فإذا جاءت المقاصد العظمى المتعلقة بالاعتقاد لا لم ينصع للشرع وإنما أخذ ما خالفه.

وذكر قوله -عز وجل- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] في كل شيء اختلفوا فيه في أمر ربهم في أمر القيامة في أمر الرسل في أمر الأحكام الحلال الحرام كاملا يرجع إلى ما ذكره الله تعالى وذكره رسوله -صلى الله عليه وسلم- في كل ما اختُلف فيه.

ثم قال: لازم هذه المقالة أي المقالة التي عليها نفاة الصفات ألا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاعة ولا نورا ولا يكون هو المرد عند التنازع، لأنه بالاضطرار يُعلم أن ما يقوله هؤلاء المتكلمون يزعمون أنه الحق لم يأتِ في الكتاب ولا في السنة.

ثم نبه الشيخ إلى مسألة دقيقة للغاية وأنهم يقولون: أنا عندي دليل من الكتاب السنة من قال أني لا أستدل بالكتاب السنة؟ ما دليلك على نفي استواء الله -عز وجل-؟

قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] يعني ما الذي يستدلون به؟ بالدليل العام في تنزيه الله تعالى ومن قالك أن الله تعالى ينزه عن الاستواء الذي تمدح به؟

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يقول لهم تمدحا -سبحانه وتعالى- معرفا بنفسه من قال أن الله تعالى يتنزه عن هذا حتى تقول ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

إذن أنت تستدل بالعمومات، والاستدلال بالعمومات لضرب النصوص التفصيلية هذا منهج أهل الباطل ومنه دخل البلاء على الخوارج، فالخوارج مثلا إذا أرادوا أن يكفروا كفروا بعمومات فينطلقون إلى الآيات التي وردت في الكفار فينزلونها على المؤمنين.

ولأجل ذلك كفروا صاحب الكبيرة، فيقال صاحب الكبيرة دلت النصوص نصوص الشفاعة على أنه يخرج من النار والشفاعة لا تنال للكافرين.

لأجل ذلك ردوا نصوص الشفاعة كما ترى الآن الإباضية ترد نصوص الشفاعة، تقول نصوص الشفاعة في التائبين، التائب أصلاً يبدل الله سيئاته حسنات ويكون كمن لا ذنب له أصلاً التائب من الذنب كما لا ذنب له.

ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وأنتم تقولون إن الشفاعة لا تنال أهل الكبائر تستدل بماذا؟ تستدل بعمومات ومن يعص الله ورسوله طب هذه المعصية أي نوع؟

المعصية تعرف أنها تارة أن تكون معصية كبرى مثل عصيان إبليس وتارة تكون معصية صغرى رغم أنفك مثل عصيان آدم وعصى آدم ربه هل هذا العصيان مثل هذا العصيان؟ فكيف تستدل بالعمومات؟

إذن الاستدلال بالعمومات لضرب النصوص التفصيلية منهج الخوارج منهج المتكلمين وهو أضعف ما يكون في الاستدلال لأنه إذا كان عندي نص يثبت الاستواء كيف أستدل بالعموم على إسقاط هذا النص؟

ويقول قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] إذا لا يستوي على عرشه إذن لا يجيء لفصل القضاء يوم القيامة بين العباد إذن لا ينزل في ثلث الليل الأخير لماذا؟ ﴿لَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] لماذا؟ هل ﴿تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فيستدلون بالعمومات، لهذا يقول: من استدل بها لقد أبعد النجعة، النجعة هي طلب الكلأ ومواضع الغيث، فيبعد يبحث عن الغيث، يقول أنت الآن أبعدت النجعة عندك الآن نص صريح في أن الله استوى على العرش ترده بعموم قوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وكذا يقول لو كان الحق كما تقولون لكان القرآن مُلغِزاً يعني كأن القرآن الذي سماه الله تعالى بالشفاء والفرقان والهدى والنور والضياء كأنه ألغاز والألغاز لا تستعمل إلا لنوع من المباراة ونوع من المسابقات.

فتقول مثلا: حجّ منَ الناسُ وتكون صحيحة لغويا، كيف؟ من حرف جر كيف تصير الناس؟ لغز هذا، يصح أن الاسم المجرور يكون بالضم؟ وإذن ما معنى حج من الناس؟ حج منى التي يحجها الناسَ، الناسُ، والتقاء الساكنين يسقطان فحجّ منى الناس يعني حجّ الناس منى فتقول هذا خطأ لغويا وقال لا يصح لغويا.

هذا في الأدب وفي الأحاجي وفي المسامرات وفي الاستراحات لا في كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- الذي يُبين به الحق ويسميه الله تعالى بالهدى والشفاء والنور ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ هذه الألغاز ما تكون في كتاب الله أو إنسان يدلّس يعني تكون هذه الأمور مع شخص عند التدريس يعني يسعى إلى المخادعة.

فأما أن تكون في كتاب الله -عز وجل- وتكون كل هذه النصوص في إثبات العلو ليست مرادة ولكن لها معنى آخر كأن القرآن ألغاز وهذا ينزه القرآن عنه.

القرآن كتاب هدى وكتاب فرقان وكتاب شفاء، ما تكون هذه الأمور في التعريف بالله تعالى بهذه الطريقة التي يتبارى بها المتسامرون في الأدب أو غيره.

فالحاصل أن هذه المقالات لازمها رديء جداً ولهذا قال: لازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد لا، يقول لهم لو أن الله ما بعث محمد -صلى الله عليه وسلم- لو أنك كنت مع فلاسفة اليونان، المرد في معرفة الله إلى ماذا؟ للقرآن للسنة، يقول لا، المرد المقاييس العقلية.

إذن ليس هناك فرق بين فترة ما قبل القرآن والسنة وما بعدها، لأن المرد ليس إلى القرآن والسنة، وعلى هذا مرد الناس قبل الرسالة وبعدها واحد، فكأن الرسالة ليس لها أي تأثير، بل كأن الرسالة زادت عمى لأنك تقول مقاييس العقلية هذه ثابتة وتلقيناها عن أسيادنا من اليونان وغيرهم.

لكن جاءت هذه النصوص سببت هذا الإشكال وهذا الإرباك وصار هناك من يتمسك بها ممن يسمونهم بالحشوية والمجسمة وصاروا يشوشون علينا وإلا فالمقاييس العقلية هذه هي الثابتة وهي القطعية.

إذن معنى ذلك أن مقتضى كلامك والعياذ بالله أن القرآن زاد الناس عمى نعوذ بالله من هذه المقالات مقالات السوء.

ثم قال: يا سبحان الله كيف لم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم- يوما من الدهر ولا أحد من السلف: لا تعتقدوا ما دلت عليه هذه الأحاديث بل ارجعوا إلى مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا والذي يخالف ما قررتموه أنتم من هذه الظواهر لا تعتقدوا به وارجعوا إلى مقاييس عقولكم وما لم يتضح لكم فإما أن تتوقفوا فيه وإلا فانفوه، أما أن يكون الهدى مأخوذا من القرآن والسنة فلا، لأن المرد قبل القرآن وبعد القرآن واحد وهو مقاييسكم العقلية.

نعم

ثم إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون.. قال علم ما سيكون يعني في هذه المسألة هذا المقصود النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بأنها ستتفرق فأخبر الأمة بأنه سيكون هذا.

ثم قال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله، وروي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، فهلا قال: من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يُحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين، ثم أصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين.

فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد ابن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم، والنمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين المشركين كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس وفرعون ملك القبط الكفار والنجاشي ملك الحبشة النصارى فهم اسم جنس لا اسم علم.

كانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وإن كان الصابئي قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا أو مشركين.

فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارا مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منها وهم الذين بُعِث إبراهيم الخليل إليهم فيكون الجعد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فلسفته وأخذها الجهم أيضا -فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السمنية- بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات.

فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين إما من الصابئين وإما من المشركين.

ثم لما عُرِّبت الكتب الرومية في حدود المئة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضُلال ابتداءً من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم، ولما كان في حدود المئة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق وَالْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ وَبِشْرٍ الحَافِيِّ وَغَيْرِهِمْ فِي هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ.

هذا الكلام أراد به -رحمه الله تعالى- تبيين حقيقةٍ بينها -عليه الصلاة والسلام-، وهي أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، من فقه الصحابة أنهم لم يسألوا عن الثنتين سبعين، الهلكى كثر، سألوا عن الواحدة.

فقال: كما في لفظ «هي الجماعة» وأعظم جماعة جماعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الجماعة الأولى التي هي على الحق.

في لفظ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» والبقية أخبر أنهم في النار ثم قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا» وذكر أن الذي إن تمسكت الأمة به لا تضل هو كتاب الله وكذلك السنة.

فإذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- أخبر أن الأمة ستفترق وتضل إلا واحدة وأخبر أن الذي ينجي من الضلال هو الكتاب السنة.

فالأمر واضح إذن، من استمسك بالكتاب السنة وبما فيهما قولاً واعتقاداً وعملاً فهو الناجي، وإن أخذت بنيّات الطريق هذه فهم كثر، الاعتزال فرَق، الخوارج فرَق، الشيعة فرق، الجهمية فرق ثم تلونت لاحقا إلى أنواع من الباطنية وأضراب من بلايا نشأ بعضها حتى في القرون المتأخرة هذه فالضلال لا ينتهي.

ولهذا قال تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] بالجمع إلى النور لأن النور واحد أما الضلالات فهي كثيرة.

ولهذا قلنا: الصحابة -رضي الله عنهم- ما سألوا عن الاثنين والسبعين ماذا يعتقدون وماذا يقولون ما عجائبهم ما غرائبهم، كل هذا لا اعتبار له.

إنما الاعتبار بالنجاة فسألوا عن الناجية فقط وأخبر أن سبب النجاة هو كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: فهلا قال: من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال.

هو يقول: من تمسك بالقرآن فإنه لا يضل ومقتضى كلامكم أن التمسك بظاهر القرآن فيه الضلال والرجوع يكون إلى مقاييس عقولكم.

يقول: لماذا لم يدل النبي صلى الله عليه سلم الأمة على هذا؟

ثم قال: إن هذه المقالة بإنكار الصفات نبغ أصلها في عصر التابعين أوائلها لكن قوبلت بقوة عظيمة لأن عصر التابعين كان عصرا أقرب إلى عصر الصحابة -رضي الله عنهم-.

ولأجل ذلك قتل بنو أمية -وهذه من محاسنهم- فبنو أمية لهم محاسن ولهم مساوئ، ومحاسنهم أكثر من مساوئهم، ولهذا قال أهل العلم إن فترة بني أمية أفضل فترة بني العباس فلهم عيوب ولهم مزايا.

من مزاياهم لا يخرج زنديق في أنحاء الدولة الإسلامية إلا ويقتلونه، ما يتركونه أبداً، قتلوا الجعد، قتلوا الجهم، قتلوا معبد الجهني، قتلوا غيلان، لا يتركون زنديقا.

فلأجل ذلك لما نبغت هذه المقالة كان أصلها من الجعد بن درهم، الجعد بن درهم هذا كان شيخه وهب بن منبه -رحمه الله تعالى- وكان يدرك هذه الأسئلة التي كان يشكل بها في أسئلته وكان يتمنى على إثبات صفات الله، فقال له مرة: يا جعد لو أن الله لم يخبرنا في كتابه أن له يداً وأن له وجهاً وأن له عيناً ما قلنا ذلك، يعني نحن ما أثبتنا هذه الصفات إلا لأن الله تعالى أثبتها.

فقال: يا جعد والله إني لأراك على خشبتك، ستصلب وستقتل فكان كما قال ولهذا ذبح يوم عيد الأضحى.

ثم تلقى المقالة عنه الشقي الجهم بن صفوان كان الجهم تلميذا لكن صار أكثر تأثيرا من شيخه ولهذا ينسب إليه الجهمية وإلا فهناك فرقة اسمها الجعدية، كان الجهم تلميذا منها، لكن لما نبغ الجعد قتله بنو أمية، الجهم تتبعوه وقتلوه في آخر دولتهم.

فالجهم له خليط أخذ منه الاعتقاد والجعد كذلك وأخبرك المصنف -رحمه الله تعالى- بكون هؤلاء أخذوا من المشركين واليهود وضلال الصابئين.

أول من حُفظ عنه هذه المقالة هو الجعد بن درهم.

اللالكائي -رحمه الله تعالى- في شرح أصول الاعتقاد يقول: أجمع المسلمون على أن أول من قال القرآن مخلوق هو الجعد بن درهم.

لا أحد قال قبله هذه المقالة الخبيثة.

لما أخذها الجهم عنه نُسبت المقالة إليه فصاروا يسمون بالجهمية.

الجعد هذا ما خبره؟ قالوا إنه أخذ المقالة عن أبان بن سمعان، أبان هذا الذي يظهر أن اسمه هو بيان وصاحب فرقة تسمى البيانية وهي من فرق الغلاة الرافضة الباطنية ويعتقد أن الإلهية في علي -رضي الله عنه- وأنّ فيه جزءاً إلهيًا وجزءاً ناسوتيًا، فهو من غلاة الناس وأخذ عنه الجعد هذه المقالة.

هذا أخذ عن طالوت، وهو ابن اخت لبيد بن أعصم، وطالوت هذا خاله لبيد بن أعصم الساحر اليهودي الذي سحر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ولهذا يقول الشيخ إن مقالتهم ترجع إلى اليهود يعني من هذه الزاوية.

هذا السند يسمى سند مقالة التعطيل ذكره ابن كثير وقبله ذكره الحقيقة ابن عساكر في التاريخ.

أمر آخر يتعلق بالجعد، الجعد هذا كان في بلدة تسمى حرّان وهي تابعة الآن للعراق نشأ في بيئة يوجد فيها مجموعة من الصابئة والفلاسفة من بقايا من كانوا على دين النمرود الذي بُعِث إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- إليه.

ثم قال الشيخ: والكنعانيين، أيضا القدامى الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم، ما سماه، لأنه الرازي للأسف، ألف كتابًا مخيفًا مريعًا كيف يؤلفه شخص؟ سماه السر المكتوم في مخاطبة النجوم، وهو شرك محض.

لكن يقال: لعله رجع عنه إن شاء الله، خطير جدا لأنه يرى مخاطبة النجوم والطلب من النجوم وسؤال النجوم يعني تعبّد للنجوم عياذا بالله وهو من بقايا سحر هؤلاء.

ولهذا الشيخ -لاحظ- ما ذكر أسماءهم، لا الجويني ولا الرازي ولا غيرهم، يريد ألا تتسبب تسميتهم في أن يغضب الأشاعرة مثلا ومع ذلك غضبوا على هذه العقيدة.

ثم ذكر أن نمرود اسم جنس نمرود والنجاشي اسم جنس يعني ليس اسمه نمرود وإنما من يتولى مثل كلمة الملك، الملك اسم جنس، ثم يقال الملك فلان فلان، وكذا الخليفة.

يقول: الصابئة كانوا إذ ذاك -إلا قليلا منهم- على الشرك ثم ذكر أن علماء الصابئة هم الفلاسفة وذكر أن الصابئ تارة يكون مشركا وتارة يكون مؤمنا وذكر آية سورة البقرة والمائدة التي سبق ذكرها.

يقول هو نشأ في بيئة هذا وضعها، كثير منهم أو أكثرهم كانوا كفارا مشركين وكذلك اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا مشركين فأولئك الصابئون كانوا كفارا ويعبدون الهياكل من يتجاسر على أن يأخذ عن هؤلاء؟

أناس يعبدون الهياكل يعني يعبدون الكواكب آخرون من اليهود آخرون من النصارى آخرون من المجوس.

ثم منهم هؤلاء الفلاسفة الذين لا يعرفون الله تعالى طرفة عين، ثم يرجع إلى مقاييسهم ثم يقال: هذه هي القواطع العقلية وما دل عليه القرآن والسنة هي أدلة ظنية، وتُرَد نصوص القرآن والسنة إلى مثل هذه التي يسمونها بالقواطع العقلية عياذا بالله.

فمراجعهم آسنة، كالماء الفاسد المليء بالنجاسات كيف يأتي الإنسان ليعب منه ليشرب وينظف منه.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات..

بعد أن ذكر المسألة ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب أنه ليس له إلا صفات سلبية المراد بالصفات السلبية السلب هو النفي يعني لا يثبتون لله -عز وجل- إلا النفي، فلا يثبتون لله تعالى صفة ثبوتية.

عندنا صفة ثبوتية، أقول: أثبت لله العلم يقول لا يثبتون لله تعالى صفات ثبوتية أبداً.

وإنما يثبتون الصفات الإضافية يعني مثلاً يقولون أن الله تعالى خالق ليس معناه أنه اتصف بالخلق بل معناه أن له مخلوقات فهو -سبحانه وتعالى- لا يصفونه بالخلق إلا من باب الإضافة يقول له مخلوقات لكن هل يتصف بالخلق؟ يقولون لا فلا يثبتون شيئًا ثبوتيًا.

نقول لا نثبت له العلم لكن نقول ليس بجاهل لاحظ أنهم لا يريدون أن يثبتوا العلم إثباتا يقول للهً صفة العلم لكن نقول ليس بجاهل فيحولون الثبوتية إلى سلبية.

الإضافية كما قلنا يعني إنهم يقولون إنه هو خالق العباد -سبحانه وتعالى- لكن لا يتصف بالخلق سبحانه وإنما له مخلوقات يخلقها يعني تكون منفصلة عنه أو أن تكون مركبة يعني إضافية سلبية أي خالق وليس بعاجز عن الخلق وهو خالق له مخلوق فيجعلونها سلبية إضافية فلسفة فارغة مرادهم في النهاية نفي وجود صفة ثبوتية لله -عز وجل- نسأل الله العافية والسلامة.

ثم ذكر أن أبا نصر الفارابي وهذا من أشهر الفلاسفة وأخبثهم، يسمونه المعلم الثاني بعد المعلم الذي سموه المعلم الأول أرسطو، وهو الذي قرب الفلسفة هو وابن سينا عليهما من الله ما يستحقان أدخلا الفلسفة وأضرا غاية الإضرار.

كثير من الناس لا يعرف مقالات هؤلاء ويظن أن ابن سينا عالم من العلماء، كونه له كتاب في الطب وغيره هذا مسألة أخرى لكن الكلام على المسائل المرتبطة بالعلم الشرعي سيأتي الكلام إن شاء الله.

معنا بعض الأسئلة، الأسئلة هذه للنساء ونجيب على بعض الأسئلة نقطع قليلا من الرتابة، كما سمعنا فلاسفة ومتكلمين يسدون النفس والله الأخوات لهن سؤالان.

السؤال الأول: نقول للأخوات ما وجه التناقض عند المتكلمين في مسألة معراج النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه؟ هذا السؤال الأول.

السؤال الثاني: ما المزية التي تميز بها بنو أمية على بني العباس؟ فيما مر بنا طبعا، المقصود ما مر بنا هذه بعض الأسئلة للأخوات، نعود -إن شاء الله- للمتن الآن.

يقول: هل الفلسفة هي علم الكلام؟ أولاً تسمية علم الكلام ليست بصواب نص الشافعي وغيره من العلماء المسلمين على أن المتكلمين لا يسمون علماء أصلا هم يسمون أنفسهم بعلم الكلام لأنه ليس بعلم.

هل يجدر بطالب العلم أن يحذر من قراءة كتب الفلسفة؟ قطعا الفلسفة ليست الكلام يعني المعتزلة يردون على الفلاسفة ودخلوا في الفلسفة ليردوا عليها فتأثروا بها ودخلت عليهم إشكالات في نفس الكلام وفي نفس المعتقدات فدخل عليهم شيء كثير من إشكالات الفلاسفة لعلها تتضح يعني -إن شاء الله تعالى- شيء منها الآن.

يقول: تروج كتب الفلسفة بين يزعمون أنهم أهل ثقافة وفكر وعلم ..

هذه الفلسفة الحديثة أخس وأخبث من الفلسفة السابقة.

الفلسفة الحديثة على أشرس وأسوأ ما يكون للأسف نشأت منها هذه المذاهب المعاصرة وهي مبنية أصلا على أساس إلحادي بالكلية وأهلكت أهلها الذين نشأت فيهم في أوروبا وفي غيرها فالمتلقف لها ستصطلي أمته بالنار من هذه الفلسفة كما اصطلت بالنار لفلسفة المتقدمين، كلها شر.

كثير من الناس يقولون ما الذي في الفلسفة؟ الفلسفة ما فيها إيمان لا بالله ولا بكتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر نهائيا.

يعني حتى عن جميع الأصول ارجع لصفحتين فقط تجدها مختصرة في شرح الطحاوية الفلاسفة لا يقرون بوجود رب حتى يسمون نفسهم فلاسفة منهم بعض يقولون بقدم العالم أصلا لا يقر برب.

حتى من يسمون أنفسهم بالفلاسفة الإلهيين لا يقرون أن الرب -سبحانه وتعالى- أرسل كتبا ولا أن هناك وحيا ولا أن هناك ملائكة ولا أن هناك جنة ولا نارا ولا يوما آخر ولا شيء نهائيا، ظلمات بعضها بعض، وهذا اعتقاد الفارابي وابن سينا واعتقاد ابن رشد هذه عقائدهم،

فكثير من الناس لا يعرف، حتى بعضهم قد يظن أنهم من علماء المسلمين للأسف لكنهم من أسوأ الناس اعتقادا قاتلهم الله.

يقول: كيف نتعامل مع الأشاعرة الذين يقررون مسائلهم هذه والمتصوفة خاصة في بلادنا كثير هؤلاء؟ من المهم جداً بيان الحق وبأسلوب سليم بأسلوب رفيق، جربناهم كثير منهم يجهلون، كثير من هؤلاء عندهم مجرد قشرة، عدد غير قليل خاصة في الشباب المقبلين والذين عندهم ديانة في الغالب أنهم ليس فيهم ذاك الذي يكون عند ذوي السن المتقدمة أهل التعصب وغيره، لأجل ذلك ينبغي أن يترفق في توصيل الحق إليهم وأن يصاغ صياغة سليمة وأن يُبين بطريقة جيدة لعل الله تعالى أن يهدي من شاء منهم.

يتحدث عن الفرق بين الفلاسفة والمتكلمين..

مثل ما ذكرنا لك: الفلسفة غير الكلام، الكلام يزعمون أنهم يثبتون العقائد الدينية بالأصول العقلية فهم يزعمون أنهم يريدون خيرا يقولون نقرر ما جاء في دين نبينا -صلى الله عليه وسلم- بما يسمونه بالعقول.

ولأجل ذلك يقولون: ما خالف العقول نرده لأن ذلك يقدح، فيحاولون بزعمهم أن يزينوا العقائد.

الفلسفة لا، الفلسفة كيان آخر أتاك من زنادقة اليونان وغيرهم ولهذا يرد المتكلمون على الفلاسفة مثل ما ذكرت، لا يقرون بيوم آخر ولا غيره.

أما المتكلمون فيعترفون باليوم الآخر وبالوحي والرسالة.

ثم تكلم عن أبي نصر الفارابي وأنه دخل حران وأخذ تمام الفلسفة عندهم ومن صابئتهم وهكذا الجهم ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية، وذكر أيضا البخاري أنه ناظر طائفة من الهنود يسمون السُمنية يجحدون أي شيء غير حسي كأنهم زنادقة في الغرب الآن، يعني

يجحدون الأشياء غير المحسوسة يعبرون عنها بما وراء الطبيعة وضللوه وبقي عياذاً بالله أربعين يوماً لا يصلي بعد مناظرات السمنية يعني من أتفه الناس شبهاً.

يقول الشيخ: فهذه أسانيد الجهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة، يعني إذا نظرت في مجموع ما قرره الجعد شيخه ثم الجهم الذي تلقى المقالة ونشرها تجد أنهم آخذون عن اليهود عن الصابئين عن المشركين عن أهل الفلسفة فتعود أسانيدهم إلى هؤلاء فمن يجرؤ أن يقبل هذا الكلام ويقدمه على كتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

بعد ذلك ترجمت الكتب الرومية واليونانية أيضا في زمن المأمون فزاد البلاء جداً وحمل المأمون الناس على مقالة المعتزلة في كلام الله تعالى ثم أتى بعده أخوه المعتصم ثم بعده الواثق وألزموا الناس بمقالات المعتزلة التي قلنا إنها ترجمت ترجمة شديدة، وحرص المأمون حرصاً بالغاً على هذه الكتب حتى أضرت غاية الإضرار بالمسلمين ثم صار لها التأثير العملي لأنه ألزم الناس بمقاله المعتزلة والعياذ بالله المبنية على هذا.

ثم تحدث الشيخ عن بشر بن غياث المريسي، بشر المريسي المزية في أمره أنه كان في زمن الشافعي ورد عليه علماء الأمة الكبار وضللوه وبينوا زيغه وأنه على ضلال وحذروا من طائفته المريسية وكلامهم في تضليلهم كثير جدا.

الآن ما الفرق بين المريسية وبين المتأخرين من المتكلمين من الكلابية والأشعرية؟ ستجد الرابط الآن -إن شاء الله تعالى- لأنه لقائلٍ أن يقول: هذه التأويلات الموجودة مثلا في كتب المعتزلة أبي الحسين البصري وعبد الجبار والزمخشري وفي كتب الأشعرية كالبيضاوي والجويني والرازي ما منبعها؟ يعني لا بد أن يكون لها مصدر، من أين أخذوا هذه التأويلات ما

دمنا نعلم أنهم لم يأخذوا عن الصحابة والتابعين لا بد أن لها مرجعا رجعوا إليه، ستجد المرجع الآن وهذا من أنفس ما في الكتاب.

الحقيقة هذه المسألة نفيسة جدا لأنك ستعرف الرابط الذي تجد بين كتب المتأخرين من المتكلمين وبين من كانوا في زمن أئمة السنة وردوا عليه.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر ابن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي عليّ الجبائي وعبد الجبار ابن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي التي ذكرها في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا، ولهم كلام حسن في أشياء فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري.

صنف كتابا سماه رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر بكلام يقتضي أن المريسية أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته.

ثم رد عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة بطريقهم وضعف حجة من خالفهم.

ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسية تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لاحظ هذه الفائدة وهي ربط التأويلات الموجودة عند المتأخرين من المتكلمين من معتزلة وأشعرية أو ماتريدية وغيرهم بأصلها.

يقول: هذه التأويلات الموجودة الآن في كتاب ابن فورك والرازي والجبائي من المعتزلة، وابن فورك والرازي من الأشعرية وكذلك عبد الجبار من المعتزلة وكذلك أبو الحسين البصري وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي أيضا يعد من المعتزلة قبل الرجوع لأنه -إن شاء الله- رجع، وأبو حامد الغزالي هذا أيضا من الأشعرية.

يقول: هذه التأويلات الموجودة في كتبه هي بعينها التي ذكرها بشر المريسي نفسها والذي يدلك على هذا أن عثمان بن سعيد -رحمه الله تعالى- يعني كتابه لله الحمد -كتاب المريسي- غير موجود له كتاب سماه التوحيد وآخر سماه كفر المشبهة، -والمشبهة عنده وعند أمثاله هم المثبتون للصفات- غير موجودة ولله الحمد.

يقول: كيف وصلنا إلى تأويلات بشر هذه لأن عثمان بن سعيد -رحمه الله تعالى- صنف كتاباً سماه رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افتراه على الله من التوحيد.

ورده -رحمه الله تعالى- كان يحكي فيه تأويلات هؤلاء بأعيانهم تأويلات بشر المريسي فإذا حكاها رد عليه يقول: إذا تأملت تأويلات بشر المريسي وجدت أنه أقعد وأعرف بهذه التأويلات من المتأخرين.

يقول -رحمه الله تعالى-: فعرفنا بذلك أن أصل مقالات المتأخرين هذه في التأويل تعود إلى بشر المريسي.

تبقى الفائدة الآن ما هي؟ الفائدة الآن ماذا كان موقف السلف من المريسي؟ كان موقف السلف من المريسي على ما رأيت التكفير أو التضليل ثم إذا وجد القول الساري عند المتأخرين هو قول بشر المريسي عرف حقيقة ضلال هؤلاء المتأخرين لأن أصل مقالة هؤلاء المتأخرين قد اشتد عليها السلف غاية الشدة لأنها من بشر المريسي وبه يُعلم أن القول الساري في الحقيقة في المتأخرين هو مذهب المريسية الذين كفرهم السلف.

لهذا قال الشيخ: إذا رأى الإنسان هذا الأمر وعلم أن هذه مقالات المريسية وأن هذا هو القول الساري في المتأخرين تبين الهدى لمن يريد الله هدايته.

لكن إذا عرفت أن التأويلات الموجودة في كلام الرازي في كلام البيضاوي هي نفس تأويلات المريسي وأن موقف السلف من تلك التأويلات كان شديدا حتى كفروا المريسي أو ضللوه عرفت حقيقة هذه التأويلات الموجودة عند المتأخرين لمن أراد الله في هدايته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وبعد..

قال -رحمه الله تعالى-:

والفتوى لا تحتمِلُ البسطَ في هذا البابِ، وإنما نشيرُ إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقلُ يسير فينظر، وكلام السَّلفِ في هذا الباب موجود في كتبٍ كثيرة لا يمكن أن نذكرَ هنا إلا قليلًا منه مثل: كتاب «السنن» للَّالكَائي، و«الإبانَة» لابن بطةَ، و«السُّنة» لأبي ذرٍّ الهرَوي، و«الأصول» لأبي عمر الطَّلمنكي، وكلام أبي عمر بن عبد البر، و«الأسماءُ والصفاتُ» للبيهقي، وقبل ذلك «السُّنة» للطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي عبد الله بن مَنْدَه، ولأبي أحمد العسَّال الأصبهاني، وقبل ذلك «السُّنة» للخلَّال، و«التوحيد» لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج، و«الردُّ على الجهميةِ» لجماعةٍ، وقبل ذلك «السُّنة» لعبد الله بن أحمد، و«السُّنة» لأبي بكرٍ بن الأثرم، و«السُّنة» لحنبل، وللمروزي ولأبي داود السجستاني ولابن أبي شيبة، و«السُّنة» لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب «الردُّ على الجهمية» لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري، وكتاب «خلْقُ أفعال العبادِ» لأبي عبد الله البخاري، وكتاب «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيدٍ الدَّارمي، وكلام عبد العزيز المكي صاحب «الحيْدَة» في الردِّ على الجهمية، وكلام نُعيم بن حمَّاد الخُزاعي، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهَوْيه، ويحيى بن يحيى النَّيسابوري، وأمثالهم، وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة.

بسم الله، أراد -رحمه الله تعالى- أن ينبِّهك إلى أن أهل العلم -رحمهم الله- صنَّفوا هذه المصنَّفات الواسعةَ جدًّا والتي يحوي بعضُها أكثرَ من ألفي سندٍ، وبدأ بالكتاب الجليل للَّالَكائي وسماه «السُّنن» اختصارًا، شرح صور اعتقاد أهل السنة، وكذلك كالإبانة لابن بطَّة ومَن قبلهم، ثم تدرَّج حتى ذكر ما صنفه الأئمةُ.

ومن ضمن ما صُنِّف قال «الردُّ على الجهمية» لجماعةٍ، كتاب الرد على الجهمية، والمراد بالجهمية: الذين يَنتسبون إلى الجَهْم بن صَفْوان، لكن ينبغي أن تعرف أن التَّجهُّم ثلاث درجات.

الدرجة الأولى: الجهمية الغلاةُ، وهم الذين يُنكرون جميعَ الأسماء وجميعَ الصفات، وهم أصحاب الجهم بن صفوان.

الدرجة الثانية: الجهمية المُعتزلة، فمع أن المُعتزلةَ خُصومٌ للجهم بن صفوان في أبوابٍ مثل: الإيمان ومثل القدر إلا أنهم وافقوه في موضوع الصفات؛ فهم بهذا جهمية، وهم الذين يُثبتون الأسماءَ وينفُون الصفات، وتناقضوا تناقضًا عظيمًا حين يثبتون اسمًا مجردًا عن صفة.

الثالثة: فروع الجهمية، وهم الذين تأثروا بالجهمية في بعض الأبواب ولم يوافقوهم في كل الأبواب مبدأهم الكُلَّابية أتباع عبد الله بن سعيد بن القطان وهو ابن كُلَّاب، وعنه أَخَذَ، إذا قلنا عنه أخذ ليس معنى أنه تلقى لكنه تأثر بالأشعري أبو الحسن، وكذلك نفس اعتقاد أبي منصور الماتريدي، يسمونه بفروع الجهمية وهم الذين يثبتون بعض الصفات.

السلف يطلقون اسم الجهمي على من نَفى الصفات كلَّها أو بعضَها، سواء نفى الصفات على طريقة الجهم أو نفى بعض الصفات؛ ولهذا يسمون من ينفي الصفات بالجهمي مع أنه قد يكون خصمًا للجهم كما قلت، فالمعتزلة خصوم للجهم في أبواب لكنهم وافقوه في باب الصفات فنفوا الصفات كما نفاها.

بهذا رَدَّ على الجهمية، واذا قلنا هذا رد على الجهمية، رد على الجهمية بدرجاتهم؛ لأن من نفى الصفات أو بعضها يدخل في اسم الجهمية، ولأجل ذلك قال: الرد على الجهمية لجماعة، فمِن الذين صنفوا في الرد على الجهمية: الإمام أحمد، وهناك كتاب كبير ضخم جدًّا للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب «الجرح والتعديل» وصاحب التفسير، ضخم للغاية، وعنه ينقل اللالكائي كثيراً من أسانيده لكنه مفقود، وهناك الرد على الجهمية للبخاري، الرد على الجهمية لابن منده، الرد على الجهمية للدارمي، ولابن قتيبة، وللجعفي، فهؤلاء ردوا على الجهمية، وهم نفاةُ الصفات.

وذكر أيضًا المصنفات التي سميت باسم السنة: السنة لعبد الله بن أحمد، وللأثرم، ولحنبل، وهكذا الكتاب الجليل كتاب الشريعة (وإن لم يذكره الشيخ -رحمه الله-)

للآجُرِّي، هو كتاب نفيس للغاية، فهذه المصنفات كثيرة للغاية، به تعرف الرد على شبهةٍ باردة جدًّا للمتأخرين، بعض المنتسبين مثل الأشاعرة يقولون: انظر إلى كثرة مصنفات الأشاعرة وأنهم خدموا في الفقهِ وفي أصول الفقه -على ما عندهم بالأصول من إشكالات كثيرة في شروح الحديث وفي غيرها من الكتب- قالوا: هؤلاء هم الذين نفعوا الأمة بالعلم وبغيره، كأن الضابط كثرة المصنفات، وقال: أتدري أن أبا علي الجُبائي وحدَه له مائة كتابٍ، وهو من شياطين المعتزلة، ومن ضمن هذه الكتب تفسير كامل للقرآن، هل المعوِّل على كثرة التصانيف أو على ما في المصنفات من الحق؟ فيقول لك الآن هؤلاء صنفوا في الفقه، إذا صنفوا في الفقه هم أو غيرهم استفاد مما صنفوه في الفقه أو في اللغة.

على سبيل المثال تفسير الزمخشري على ما فيه من الاعتزاليات الخطيرة جدًّا التي لا يدركها كثير من الناس، وقال شيخ الإسلام: إنه يدخل اعتزالياته بطريقة لا يتفطن منها كثير، وهذا مُلاحظ، يدخل اعتزالياته بطريقة فيها شيء من الخفاء، حتى إنك تجد ربما طالبَ العلم ينقلها ما شعر بما يريد الزمخشري فيها، من منعك إذا كنت طالب علم تميز تستفيد من كتب هؤلاء أو غيرهم، وهل المعوَّل على كثرة المصنفات؟ كثرة المصنفات ليست هي التي عليها المعوَّل، المعوَّل: على ما سمعت من يربط اعتقاده بالسلف، ارجع للمصنفات التي ذكر الشيخ هنا مثل كتب اللالكائي والآجُري وابن بطة، انظر الى الاعتقاد الذي نقلوه عن الصحابة وعن التابعين وقبل ذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كنت تقصد كثرة المصنفات فالذين صنفوا على طريقة السلف مصنفات كثيرة الغاية، لكن ليس الضابط كثرة المصنفات.

ولهذا ابن القيم -رحمه الله تعالى- لما ذَكر مجموعة من مصنفات أهل السنة؛ بعضها لأول مرة تسمع أنه مفقود، قال -رحمه الله تعالى- لما ذكر عددًا من هذه المصنفات:

واللائي في ضمن التصانيف التي ***** شُهرت فلم تحتج إلى حسبان

فكثيرة جدًّا فمن يكُ راغبًا ***** فيها يجد فيها هدَى الحيوانِ

أصحابُها هم حافِظو الاسلام لا ***** أصحاب جهمٍ حافظو الكُفران

وهم النُّجوم لكل عبدٍ سائر ***** يبغي الإله وجنةَ الحيوان
وسواهم -والله- قطاع الط***** ريق أئمةٌ تدعو إلى النِّيران

فإن كنت -بهذه العقيدة السَّاذَجة- تقول: الدليل على أن هؤلاء على الحق: كثرة مصنفاتهم، فهناك من صنف أكثر فيقول لك: الجُبائي وحدَه صنف مائتي مصنف بل على العكس: إذا زادت المصنفات وكانت تحتوي باطلًا أضرت كثيرًا وانتشرت.

ولهذا لما وردَ كتاب الغزالي «إحياء علوم الدين» لعلماء المغرب المالكيةِ أمروا بحرقه في وقته، قالوا: لما فيه من الضَّلالات، ولما فيه من الأحاديث الموضوعة. وقتَ «المازري» وغيره، فأمروا بحرقه، فإن كان المعوَّل في نظرك على اشتهار الكتاب أو على اشتهار المؤلف أو على كثرة ما صنفوا، فمن أن الضابطَ عندك ليس في معرفة الحق من الكتاب والسنة وما عليه السلف، وإنما في كثرة المصنفات.

فالحاصل: أن هذه المصنفات كثيرة جدًّا؛ بعضها موجود، وبعضها مخطوط، وبعضها مفقود، وهي كثيرة، المصنفات لهؤلاء الأئمة -رحمهم الله تعالى- لكن -سبحان الله- انظر الفرق تجد اسم أحمد بن حنبل، تجد اسم البخاري، تجد اسم أبي داود صاحب السنن، تجد اسم هؤلاء الأئمة رحمة الله تعالى عليهم وتحمد الله أنك على نفس هذه العقيدة التي عليها هؤلاء الأئمة، أما أقول لك أن هذه عقيدة البيضاوي أو الرازي أو فلان أو فلان أتدري إلى أن هذه مسألة نحتاج تبينها وكنت سأذكرها فيما بعد يعني عندك الآن على سبيل المثال: نأخذ أشهر فرقة كلامية، وهم فرقة الأشاعرة، الآن الأشاعرة هل لهم مدرسة واحدة؟ الأشاعرة ليسوا مدرسة واحدة، هم ثلاث مدارس يرد بعضهم على بعض.

فالأشعرية الأوائل: أصحاب أبي الحسن الأشعري هم أفضل أصحاب هذه المدارس، وهم الأشعرية الكُلَّابية؛ لأن أبا الحسن أخذ بقول ابن كُلَّاب، وقول ابن كُلَّاب على ما فيه وعلى ردِّ السَّلف عليه أفضل من كلام المتأخرين بكثير.

بعد ذلك جاء التيار الاعتزالي الأشعري وقادَه أبو المعالي الجويني واقترب جدًّا بالمذهب الأشعري من مقالة المعتزلة.

ولهذا عندك «الطَّرقِي» مع أنه أشعري يقول عن الجويني وأصحابه: إنهم معتزلة وليسوا أشاعرة، ثم جاء الداء العظيم الهائل الذي أضر المذهب ونخَر فيه إلى العظم على ما فيه من الضعف أصلًا واهتراء العلم في الأساس وإدخال الفلسفة على المذهب الأشعري على يد البيضاوي وعلى يد الرازي، ولهذا "شوف عندك أم البراهين" ماذا يقول السنوسي؟ يقول: على المبتدئ من طلاب العلم الأشاعرة أن يحذروا كتب البيضاوي والرازي؛ لأنهما أدخلا الفلسفة على المذهب الأشعري.

ولهذا الحقيقة أن الأشعرية ليست تيارًا واحدًا واستقرت -للأسف- على المذهب الذي خلط بين الفلسفة وبين المذهب الأشعري، ولأجل ذلك خُذ «المواقف» للإيجي وخذ «الإبانة» للأشعري وقارن بين الكتابين وضع جدولًا: ماذا يقول الأشعري في الإبانة وماذا يقول الإيجي. وماذا يقول المتأخرون حتى كما يقرره الرازي وغيره، فرق كبير جدًّا بين ما يقرره أبو الحسن وهو صاحب المذهب والذي ينتسبون إليه، أبو الحسن -خُذ فقط منه واحدةً "في الإبانة"- يقول: إن من يقولُ إن "استوى" بمعنى "استولى" هم الجهمية والحرُورية يعني (الخوارج المتأخرون والمعتزلة) "اُسْبُرْ" كتب التفسير الأشعري الأخيرة، أعطني كتاب تفسير واحدٍ لا يقول إن استوى بمعنى استولى حتى تعرف الفرق الكبير بين الأشعرية الأوائل وبين الأشعرية المتأخرين، فبقوا بالانتساب فقط لأبي الحسن.

ولأجل ذلك الجويني مثلًا في بعض المقالات يقول: قال المعتزلة، وقال أصحابنا يعني الأشاعرة والصواب قول المعتزلة، بهذا الشكل، فكان يقرر تقريرات المعتزلة ولأجل ذلك اعترض عليه مجموعة من الأشاعرة، أما لما أدخلت الأشعرية الحقيقة أن مذهب أبي الحسن الأشعري ضد للاعتزال، فضلًا عن الفلسفة وأشد عداوة للفلسفة، أبي الحسن بريء من الفلسفة، عدوٌّ كبير للفلسفة رأى أنها ضلالة، انظر كيف خلط المتأخرون

قولَ أبي الحسن الذي ينتسبون إليه في قول الفلاسفة، فصار بهذا، تجد في كلام شيخ الإسلام يقول: الأشعرية الكُلابية، الأشعرية المعتزلة، الأشعرية الفلسفية أو المتفلسفة، يقصد أنهم ثلاثة أنواع، وذلك أن هذه المذاهب لما كانت غير محرَّرة إذا أتى عَلَمٌ كبير من الأعلام المؤثرين انحرَف بالمذهب وجْهةً تخالف الذي عليها المتقدمين، وهذا موجود في رسائل جامعية جيدة عنوانها "التحولات داخل المذهب" أو التطور، أكثر من رسالة، إما تحولات تكون محمودة مثل أن يتحول بعضهم ويخفف على الرافضة، خفف مثلا من غلوٍّ في سبِّ الصحابة، بقطع النظر فقيه أو غير فقيه لكنه خفف وكتب كتاباتٍ وقال: ما نحن عليه خطأ وباطل والشركيات الموجودة غلط وما يقع عند القبور هذا يسمى تحولًا، هناك تطور في المذهب: يأتي شخص مؤثرٌ مثل ما فعل الخوميني، الخوميني الآن ما يسمى بـ "ولاية الفقيه" يعدُّ تحورًا كبيرًا جدًّا في المذهب الشيعي؛ لأن الشيعة -المذهب عندهم- قبل الخوميني وقبل مجموعة مِمَّنْ قبله هو الذي أتى بفكرة ما يسمى بـ "ولاية الفقيه"، وكانوا يقولون: ننتظر الإمام، وإذا انتظرنا الإمام لا نحجُّ إلا خلف الإمام، لا نصلي إلا خلف الإمام، لا ندفع الزكاة إلا للإمام، لا ندفع الخمُس -وهو الصعب عليهم- إلا للإمام، فأتى بفكرةِ أن الفقيه يتولى ويكون نائبًا عما يسمونه بالإمام الغائب، خُرافة، لا شك أنه خرافةٌ، انظر كيف حرَّف المذهب هذا الحرفَ الشديد وانتشر المذهب الشيعي بهذه النظرة، وهي مخالفة للتشييع السابق، هذا معنى التحولات، لماذا؟

لأنها مذاهب غير محرَّرة، سواء مذاهب التصوف، مذاهب المتكلمين، مذاهب التشيُّع، مذاهب الخوارج، تتطور، سبحان الله، أما المذهب الذي يستقر هو المذهب الذي قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا دائمًا يسخرون من السلفين بأنهم يقولون: قال الله، وقال رسول الله، ماذا أقول؟! أقول ماذا؟! والحمد لله أني أقول: قال الله، وقال رسول الله، وأنت تقول: قال الجويني، قال العَلَّاف، قال النَّظَّام.

ولأجل ذلك الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في مناظرته "لابن أبي دُؤاد" كما ذكر حَنْبل؛ حتى يتضح المنهج، قال الإمام أحمد لابن أبي دؤاد لما ناظره: هذا الذي أنت الآن تمتحنُ عليه الناس: أعندك فيه دليلٌ من كلام الله أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فقال ابن أبي دؤاد (لاحظ المنزع) قال: أنت لا تقول إلا بما في الكتاب والسنة؟! قال الإمام أحمد: وهل يقوم الإسلام إلا بالكتاب والسنة؟!

نتحدث نحن في ماذا؟ ما نتحدث في بيعٍ ولا في شراء ولا في تاريخ!، لا نتحدث في هذا، نتحدث في دينٍ، فما عندنا إلا الكتاب والسنة!. قال: أنت لا تقول إلا بما في الكتاب والسنة؟! قال: نعم، كيف أقول بماذا إذًا؟ هي مسألة عقدية لا نأخذها إلا من الكتاب والسنة.

لأجل ذلك أيها الإخوة هذه التحولات الموجودة في هذه المذاهب الآن تختلف اختلافًا كبيرًا، ولهذا تستطيع أن تردَّ على المتأخرين بالمتقدمين، يعني: ما علاقة المذهب الأشعري بالتصوف؟

ليس له علاقة مطلقًا، تريد أن تعرف الفرق انظر كتب الجويني كيف يسخر من الصوفية، يسخر من الشباب الذين يضربون البريَّة بلا زادٍ، ما هذا؟ هذه المقالات الفارغة تلميذه الغزالي صار يقول ما قالته الصوفية فأُدخِلت عن طريق الغزالي والقُشيري قبله، أُدخِلت مسائل التصور على المذاهب الأشعرية، الأشعرية مذهبٌ كلاميٌّ ليس له علاقة بالتصوف، ولهذا تجد متكلمًا لا يقول بترهات الصوفية، فأدخلت لأن هذه المذهب قابلة دائمًا للتحور، يأتي عالمٌ كبير مؤثِّر فيحرِف المذهب، ولأجل ذلك صارت فيه هذه التطورات.

أما اعتقاد أهل السنة فكما ترى -ولله الحمد- ونبه عليه مثل أبو مغفَّر السمعاني وابن قتيبة يقول -لله الحمد- أنت لو نظرت الى كتب المتقدمين والمتأخرين من أهل السنة تجد أنهم على نمطٍ واحد، فهل لو أُعطِيت «السنة» للإمام أحمد أو «السنة» للمُزَنِي تجد صعوبةً في شرحه؟ ليس هناك صعوبة، نفس عقيدتك لكن لو قلت للأشعرية: اشرحوا

كتاب «الإبانة»، لا يستطيع أن يشرح؛ لأن عقيدته غير عقيدتهم، أما أنت مستعدٌّ تشرح كتب الإمام أحمد، كتب البخاري؛ لأن عقيدتك هي عقيدتهم.

فالحاصل أن هذه الكتب التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- وهذه المقالات مهمة لطالب العلم، يقول أهل العلم رحمهم الله: صنفوا فيما ذكرنا، يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

واللائي في ضمن التصانيف التي *** شُهرت ولم تحتجْ إلى حسبان

يعني ما هي حاجة أني أذكرها؛ لأنها مشهورة

فكثيرة جدًّا فمن يَكُ راغبًا فيها *** يجد فيها هُدى الحيرانِ

فالمصنفات كثيرة -ولله الحمد- لأجل ذلك أشار -رحمه الله تعالى-شيخنا إلى هذه المصنفات لِعظم ما فيها، ومن أهمها الحقيقة كتب الاعتقاد المسند التي تروي الاعتقاد بالسند، ينبغي أن يكون لطالب العلم ولو مصنف واحد، منها كتاب الأجري مثلًا الشريعة أو كتاب اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة، يكون لو واحدًا من الكتب هذه؛ لأن فيها عقيدة السلف الصالح مروية بالأسانيد وتُروى مثلاً يرتبونها ترتيبًا.

ومن أكثرهم ترتيبًا: اللالكائي -رحمه الله-، فيقول لك: سياق ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير آيات الرؤية، ثم يقول: سياقُ ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديثَ في الرؤية أحاديث مطلقة غير مقيدة بالتفسير مثل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، يقول لا، مثل حديث: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم..»، سياق ما ورد عن الصحابة، سياق ما ورد عن التابعين، سياق ما ورد عن أئمة الإسلام، تجد مالكًا والشافعي والبخاري: "اللَّهُمَّ احْشُرْني معَهُم واجْعَلْنِي علَى هذهِ العقيدةِ"، تنظر هذه الأعداد العظيمة من أئمة المسلمين يقرون هذه العقيدة بالسند الصحيح هذا الذِي لا يجدونَه، هؤلاء المتكلمين أو المتصورين أو غيرهم فلأجل ذلك مفيد جدًّا لطالب العلم أن توجد عنده هذه المصنفات أو بعضها التي تروي العقيدة بالسند.

وعندي قناعةٌ تامة أنها من أكبر أسبابِ جمع المسلمين اليوم، كيف أن تذهب تجد أشعريًّا، تجد تيجانيًّا، فتقول: أنا الآن سأترك مشايخي وأنت اترك مشايخك، وسأتفق أنا وإياك لأني لَسْتُ رافضيًّا ولَسْتَ رافضيًّا، الصحابة عندنا عدول جميعًا إن أوقفتك أنت على اعتقاد الصحابة في هذه الكتب بالسند الصحيح تقبل؟ الغالب أن يقول: أقبل، فأقول: تعالَ الآن عندنا اعتقاد الصحابة في الرؤية نطبق هذه أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا تفسيرها عن الصحابة رضي الله عنهم، عن التابعين، عن أئمة الاسلام، أنت ما مذهبك؟ يقول: أنا شافعي، انظر الكلام الشافعي -رحمه الله- يروي بالسند الصحيح عن الشافعي أنه يقول -رحمه الله تعالى- في الرؤية: "إن الله تعالى حين ذكر الكافرينَ وأنه حجبهم في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ حجبَهم في السخط دلَّ على أن أوليائه يرونه في الرضا".

هذا الإمام الشافعي وأنا أقر بإمامته وأنت تقر بإمامته قبله أئمة الإسلام مالك، قبله نافع، قبله ابن عمر، والصحابة، هذه الكتب قابلة جدًّا إذا صلحت النية لجمع المسلمين لأن فيها اعتقاد الصحابة، كثير من المسلمين لا يظنون أن هناك مصنفاتٍ تروي العقيدة عن الصحابة، وجربت هذا الحقيقة أنا في بعض مناقشاتي لبعضهم، "أستغرب" يقول: فيه عقيدة الصحابة موجودة؛ عند أبي بكر، عمر، عثمان، علي، ليس بالضرورة كل واحد من هؤلاء لكن تجد أسانيد وتتأكد من صحتها ثم عن التابعين، أتباع التابعين، أئمة الإسلام، وتجدهم على هذه الطريقة.

ما الباب الذي بعد الرؤية؟ باب النزول للَّالكائي، وأورد الأحاديث الدالة على النزول ونحو ذلك، هذه الكتب مزيتها أنها تنقل العقيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً، ثم عن الصحابة ثم عن التابعين، ويطيلون -رحمهم الله تعالى - في بعض المسائل مثل مسائل القدر يطولون فيها جدًّا لوجود القدرية في وقتهم وموجود حتى القدرية الآن يطولون في بعض المسائل ومن أكثر من أطال الآجري -رحمة الله تعالى عليه- في موضوع الصحابة وآل البيت، واعتقاد أهل السنة فيهم.

فتجد هذه الروايات في اللَّالكائي أكثرَ من ألفي سند، نفس الشيء في الآجُرِّي أكثر من ألفي سند في هذه العقيدة، فتقول: إن كنت صادقًا هذا اعتقاد الصحابة وهذا اعتقاد التابعين، فإن كنت تقول: أنتم ما عندكم إلا ابن تيمية وابن عبد الوهاب، عُدَّ ابن تيمية وابن عبد الوهاب غيرَ موجودين على وجه الأرض، ماذا تقول في هذا الاعتقاد الذي يرويه الصحابة والتابعون بالسند الصحيح أمامك؟ فإذا قلت: هذا اعتقادُ ابن حنبل، هذا اعتقاد ابن تيمية، هذا اعتقاد ابن عبد الوهاب، فأقول: هم تبعٌ ووالله لولا أنهم تبعٌ لمن كان قبلهم من أئمةِ الهدى لما رأيناهم من أئمة الهدى أصلًا.

هذا الوضع الصحيح، هنا يفهم الناس، لكن أنت تقول، وهو يقول: كذا، أنت واهِمٌ، تقول أنت كذا، ما يفهمون؛ لهذا ينبغي الاهتمام بهذه الكتب، وجربناها الحقيقة شرحنا الآجري كاملة ولله الحمد الحقيقة أنها عجب في "بَرْد اليقين" يعني يبرد قلب المؤمن إذا رأى هذه الروايات التي هي عن الصحابة، عن التابعين، عن أئمة الإسلام وَلِلَّهِ الْمِنَّة وَالْفَضل وَأَنَّها هي عَقِيدَتهُ، أما أن تقول هذا الإمام هذا عندي إمام رأس كبير، يقول لك: أنا عندي إمام مثل ما إن عندك أنت إمام رأس كبير، لكن الذين لا نختلف فيه هم الصحابة والتابعون، هذا الأسلوب ما ينفع مع الرافضة فقط، بقية من ينتمون للقبلة في ظني أنه ينفع معهم هذا الأسلوب؛ لأن كثير من الناس لا يدري أنه مثل هذا النوع من الكتب ينبغي الاهتمام به الحقيقة، والعناية بأن تشرح هذه الكتب، يعني طالب العلم المقتدر ينبغي أن يشرح مثل هذه الكتب، فيجد الناس هذه العقيدة مُسندةً عن الصحابة وعن التابعين فيكون ذلك بإذن الله أقرب طريق لاجتماع الناس في اعتقادهم.

لدينا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أن المتكلمين لهم شبهاتٌ موجودة لكن لا يمكن ذكرُها في الفتوى، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير.

هذا أمر بالغ الأهمية، شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-يقول: الفتوى ليست مقامًا للمناقشات للشبه؛ لأنها ستطول جدًّا، لكن هذه الشبه هل الجواب عليها يسير؟ نعم -ولله

الحمد- يسير للغاية، ينبغي أن يُعلَم أنه لا توجد شبهة _ولله المنة والفضل_ يصعب ردها مطلقًا ولا يجوز اعتقاد هذا، لكن هنا الناس من يستطيع أن يردها ومن الناس من يقول: حسبي أني أرتب مسائل العلم، لكن موضوع رد الشبهات ونحوها هذا باب آخر، فقد يكون طالب العلم ضليعًا عارفًا بمسائل العلم لكن الردَّ بابٌ آخر، ولذلك الذين تولوا الرد من أهل العلم محدودون، لكن الذين تولوا الشرح والتبيين كثرة، فمن أعظم من رد: شيخ الإسلام --رحمه الله- تعالى-، وقبله "الدَّارِمي" كما أشار إليه هنا هم، فهذه الشبه أمرها يسير -ولله الحمد- سواء شبه ملاحدة، شبه منصرين، شبه رافضة، شبه متصوفة، شبه متكلمين، لا شك أنها يسيرة، لكن قد يقول طالب العلم: أنا أعجز عن أن أرد على هذه الشبهة لكن عجزي أنا عن رد هذه الشبهة لا يعني أن الشبهة لا يُرد عليها قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وإلا فالشبهة من حيث هي كَاسْمِهَا مجرد؛ ولذا من الآثار اللطيفة جدًّا أن القاسم ابن محمد -رحمه الله- كما قال أبو الزناد يقول: كان يضحك من شُبه أهل البدع، وضحك الفتى، الفتى إذا ضحك ما سكتَ، يستمر يضحك هم مثل ضحك العاقل، يعني إنه يضحك ضحكًا شديدًا مع أنه من أكثر الناس سمتًا -رحمه الله-، ربته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عمته لكن يقول إذا سمعها ضحك لماذا يضحك؟ لأنها يسيرة.

ولهذا قال الحسن بن علي رضي الله عنه: إن شيعةً من شيعة علي يقولون إن عليًّا رضي الله عنه لم يمت، ضحك الحسن رضي الله عنه؛ لأن بعض الشبهات تستوجب الضحك، ماذا قال؟ لو كان كذلك لما زوجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه!، إذا كان حيًّا كيف تتزوج نساءه من بعده؟! وكيف نأخذ ماله ونقسمه في الإرث؟! هذا يدل على سخافة عقولهم، فبعض الشبهات يضحك الحقيقة، فالمقصود أن بعض الشبهات يسير لكن لكل مقام مقال.

لذا تولى الشيخ -رحمه الله- الرد على شبهات الرافضة في كتاب "منهاج السنة"، تولى الرد على شبهات المتكلمين في "دار التعارف" في "التسعينية"، ورد على "المطالب" للرازي وأمثاله، وتوسع جدًّا في الردود، لكن مقام مثل مقام الفتوى لا يحتمل الردود.

وإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذًا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل أن يأخذ سبل هؤلاء المغضوب عليهم والضالِّين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يُوصف الله بما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما وصفه به السابقون الأولون لا يُتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يُوصف الله إلا بما وصفَ به نفسَه أو بما وصفه به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسَه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ونعلم أن ما وصف الله من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يُعرَفُ مقصودُ المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم، وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

ذكر -رحمه الله تعالى-هذا الفصل وهو الفصل الوحيد في الكتاب أن القول الشامل في هذا الباب باب الأسماء والصفات أن يُوصف الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفَه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما وصفه به السابقون الأولون، يعني من الصحابة؛ لأنهم لا يصفونه إلا بما دلَّت عليه النصوص، لا يُتجاوز القرآن والحديث، لا يحلُّ أن يتجاوز القرآن أو يتجاوز السنة، هل يوجد عاقل يعترض على هذا؟ أنا أصف الله بما وصف به نفسه، أنت تريد أن أصف الله بما لم يصف به نفسه؟ أو أنفي عن الله ما أثبتَ لنفسه.

وأحفظ هذا الحديث المهم للغاية، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ذُكر له أحد أصحابه رضي الله عنهم كان إذا صلى يقرأ سورة "قل هو الله أحد" ومعها سورة، يعني يقرأ

سورتين في ركعة، جاء أن هذا وقع من إمام مسجد قباء، وجاء أنه إمام في سرية أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم، كلا الصحابيين عمل هذا، فقالوا لهم: كأن هذه السورة لا تجزئك؛ إما أن تقرأ هذه السورة وحدها أو تقرأ السورة الأخرى فأبى قال: لا أصلي بكم هذه الصلاة، يعني إن أبيتم تركت الإمامة بكم، فكرهوا أن يزيحوه فلما رجعوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: سلُوه لأي شيء إن صنع ذلك، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحبها، فقال صلى الله عليه وسلم: وحبك إياها أدخلك الجنة.

الشاهد أنه قال: صفة الرحمن، ما الذي في سورة قل هو الله أحد؟ نفي وإثبات، إذاً معنى ذلك أننا نثبت ما أثبت الله، وننفي ما نفى الله، ماذا سمى الصحابي وأقره عليه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: صفةُ الرحمن، فصفة الرحمن هي: إثبات ما أثبت الله ونفيُ ما نفى الله، فأقرَّه صلى الله عليه وسلم على ذلك.

فلهذا يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-أنت الآن إذا نازعتني في إثباتية السواء، وقلت إنك مشبِّه، ومجسِّم، وكافر، وتخرج من الملة، كل هذا لأني ماذا فعلت؟ لأني أثبت ما أثبت الله عز وجل.

فيقول في النونية -رحمه الله تعالى-في شأن من أثبتوا هذه الصفات: ما ذنب مَن نطق بهذه النصوص وأثبت ما أثبت الله؟ ما الذنب إلا للنصوص لديكم؛ إذْ جسمت أو شبهت، صنفانِ، أنتم تقولون،

ما ذنب من قد قال ما نطقت به من غير تحريفٍ ولا عُدوان

هو مذنب الذي يقول إن الله تعالى يوصف بالذي وصف به نفسه تمامًا، كما أن الذي يقول: إن الصلاة واجبة والفواحش محرَّمة لا يُثَرَّبُ عليه، فكذلك من يقول أنا أُثبتُ ما أثبتَ الله وأنفي ما نفى الله، ماذا تريد؟ تريد أن أنفي ما أثبتَ الله؟ هنا يقع الإلحاد الذي قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنى فَادْعُوه بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ما الإلحاد؟ هو: الميل، وكيف يكون الميل؟ بأن تميل عن الصراط المستقيم، ما الصراط

المستقيم؟ أثبتَ الله وأثبتنا، نفى الله ونفينا، هل يستطيع أحد أن يعترض على هذا؟ أنا أنفي ما نفى الله وأُثبت ما أثبت الله.

فمن الإلحاد الذي هو الميل: أن تأتي إلى ما أثبت الله فتنفيَه، أو تأتي إلى ما نفى الله فتثبته، هنا يكون الإلحاد، يعني عكست الطريق، وهذا وقع للطرفين للنفاةِ الذين نفوا ما أثبت الله وللمُمثِّلة الذين أثبتوا ما نفى الله.

فالممثلة الذين يقولون إن صفات الله -عياذًا بالله- مثل صفات المخلوقين خالفوا قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ والذين نفوا السمع والبصر خالفوا بقية الآية: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فإذا جاء السُّني قال: أُثبت ما أَثبت الله وأنفي ما نفى الله، أُثبت أن الله سميع وبصير وأنفي عنه المماثلة.

ولهذا -سبحان الله- هذه الآيات وآيات في القرآن فيها ردود على الفرق قبل أن تأتي، وهذا من عظمة القرآن، يعني ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على الممثلة قبل أن يأتوا ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على النفاة قبل أن يأتوا.

ولهذا الإمام أحمد لما ورد خطاب المأمون وجُمع العلماء وقرأه أهل بغداد، وكان في خطاب المأمون من ضمن الخطاب خطاب في غاية القذارة وسوء الكلام على أهل العلم -رحمهم الله- والله المستعان، فكان في كلامه أن قال: إن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال أحمد: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فقال والي بغداد: ما أردت إلى هذا؟ قال أحمد: هذا كلام الله.

ولهذا -سبحان الله- لاحظ كتب الاعتزال، كتب الأشعرية، تجد هذه الآية مبتورةً فيها، لو تبحث في الفهرس تجد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أول ما مرت "ستين أو سبعين مرة"، بقيتها ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أين هي؟

ولهذا الإمام أحمد أتم الآية وغضب والي بغداد قال: ماذا تريد؟ قال له: يحتج بأول الآية ويتركُ بقيتها.

فالقول الشامل في هذا الباب: أن نصف الله بما وصف به نفسه، وأن نصفه بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما وصفه به السابقون؛ لأن السابقين الأولين لا يمكن أن يصفوا الله إلا بما في النصوص.

وذكر قول أحمد: لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يُتجاوز القرآن والحديث.

حسنًا أنتم ماذا لديكم؟ قال لك: أنا عندي صفات عقلية، عقلية من أين "جبتها" منها؟ قال دلَّ عليها العقل، طيب الصفات الموجودة الآن في القرآن مثل: الغضب والرضى والاستواء وغيرها من الصفات الأخرى الموجودة في السنة، مثل المجيء في القرآن والنزول، يقول لك: لا هذه دلَّ العقل على خلافها.

الآن استخدمت العقل؛ لتثبت ما لم يثبت الله، واستخدمت العقل لتنفي ما أثبت الله، فأنت الآن بهذه الطريقة تستخدم الهوى؛ لتُثبت ما تريد وتنفي ما تريد، وهذا من الإلحاد، الإلحاد معناه: الميل، الإلحاد لا يأتي في ذهنك أن الإلحاد معناه الإلحاد الموجود عند الزنادقة -فلاسفة الغرب والشرق-، الإلحاد عند أهل العلم يراد به: الميل، يعني الميل عن الحق.

ولهذا يقول بعضهم البعض: هذا من الإلحاد في ردودهم الإلحاد يعني من الميل، وتارة يكون الميل جزئيًّا ولا يكون كليًّا، وتارة يكون كليا فيكون كفرًا: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، إذًا من الإلحاد في الأسماء والصفات أن تثبت ما نفى الله أو تنفي ما أثبت الله، تمامًا كما أنك إذا قلت إن الفواحش مباحة والصلاة غير واجبة فإنك في هذه الحالة ألحدتَ (مِلتَ)؛ لأنك جعلت ما أوجب الله غير واجب وجعلت ما حرم الله غير محرم.

وبذلك تكون المسألة واضحة ويمكن أن يلتقي المسلمون عليها بسهولة، لكن كيف يتعامل مع نصوص الأسماء والصفات من غير تحريف، يعني ما تأتي وتغيِّر المعنى الجليل الواضح الظاهر إلى ما يخالف ما فسَّر به الصحابه والتابعون وتقول: إنه تأويل، لا هذا

ليس بتأويل هذا اسمه تحريف؛ لأنه ليس عند السِّعدان أنك تأخذ تفسير البيضاوي والرازي وتقابل بها تفسير ابن عباس وابن مسعود إن كنت تتقي الله -عز وجل،- فإذا كنت سأجد تفسير ابن عباس هذا الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ فقهْهُ فِي الدِّينِ وعلِّمهُ التَّأويلَ»، وتقابله بتفسير البيضاوي أو الرازي أو بالحسين البصري أو الزمخشري أو غيره لم تتقِ الله -عز وجل- أين هذا من هذا؟

نفس الشيء فيما يتعلق بتفسير التابعين، يقول مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات أوقفه عند كل آية وأسأله، هذا العلم فتلقَّى التابعون عن الصحابة رضي الله عنهم.

ولهذا دائمًا أهل الحق: السَّلف الصالح، السلف الصالح، وهكذا، هم دائمًا يريدون عودة الأمة إلى السلف الصالح رضي الله عنهم من غير تحريف ولا تعطيل، التعطيل معناه: الإخلاء أنك تخلي الموضع تقول: عطل الموقع، التعطيل يعني: تعطل هذه النصوص الواضحة ذات المعنى تقول معناها: غير معروف، غفور الرحيم: غير معروف؟ والله إنك تُباهتُ وتعاندُ؛ لأنك بللت الأرض ساجدًا تبكي تقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، وتقول غير معروف؟ ماذا تدعو بهذا الدعاء أنت الآن تقول: اللهم اغفر لي وتقول المغفرة والرحمة غير معروفة، تدعو بماذا؟ تدعو بما لا تعلم، وتستعيذ بالله من سخطه وغضبه، ثم يقول ما معنى السخط والغضب؟ يقول: ما معلوم، تدعو الله بما لا تعلم معناه؟ لكن مباهتة ومعاندة وإلا المعاني واضحة كما سيأتينا في قول مالك -رحمه الله- الاستواء معلوم وواضح، أما الكيفية فهي مجهولة ربُّ العالم ليس كمثلِه شيء.

من غير تحريف ولا تعطيل، إذًا عندنا في التحريف والتعطيل عند المقارنة بينهما المعطل عنده خطوة واحدة يقول: هذا المعنى غير معروف، المعنى هذا الظاهر غير معروف وهو غير مرادٍ أيضًا.

أما أهل التحريف: فعندهم خطوة ثانية يتخذ نفس فعل أهل التعطيل، لكن يضيف إضافةً فيعطل المعنى الصحيح ويأتي بمعنى من كيسِه، ويقول: معنى الاستواء: الاستيلاء.

أما ذاك الأول يقول: الاستواء غير معروف المعنى، المغفرة غير معروفة المعنى، الرحمة غير معروفة المعنى، وهو كما قلت بلَّ الأرض يبكي يقول اللهم اغفر لي وارحمني ويقول لك غير معروف المعنى.

فلو كان غير معروف المعنى لكان قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] لا يوجد عندك رجاءً، ألست ترجوه؟ يقول: بلى والله أرجو، ترجو والغفور الرحيم غير معروف معناه؟

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ألست تخاف؟ يقول بلى والله أخاف، لا يمكن أن تخاف حتى تفهم المعنى، دعك من المعاندة الفارغة؛ لأنك لو لم تعرف المعنى لم يؤثر ذلك فيك خوفًا ورجاءً، لكن هي المعاندة -سبحان الله- المعاندة العجيبة؛ بحيث يقول واحد منهم: إن المعنى غير معلوم، غير معلوم؟ سيأتينا إن شاء الله كلام عليه لاحقًا لكن نُتمُّ هذه.

ومن غير تكييف: لا تضع لصفةِ الله تعالى كيفيةً، تحكي كيفية الصفة، تقول: يد الله كيفيتها كذا، لا شك أن هذا من الجرأة على الله، ولا تمثيل -التمثيل هو التسوية بين الشيئين- لا تجعل لصفات الله مِثلًا؛ لأن هذا نص القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وبذلك تسلم من طريق أهل التعطيل ومن طريق أهل التشبيه.

ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حقٌّ يعني حق معناه واضح جلي، خذ -سبحان الله- هذه الآية بإجماع معتزلتها ورافضتها وسنَّتها، ما حكم قطاع الطريق إذا تابوا قبل القدرة عليهم؟ في كتب الجميع أنهم إذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنهم يُعفى عنهم، والدليل: آية من آيات الصفات، ما هي؟ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] ماذا قال بعدها؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤]، يعني خلاص عرف المسلمون الحكم من الاسمين:

غفور رحيم، فكيف عرفوا هذا الحكم الفقهي مع أن الله لم يقل إذا تابوا فاعفوا عنهم؟ لا، لما ذكر اسمين معروفي المعنى: غفور ورحيم عرفنا الحكم.

وهذا لاحظه في أكثر من آية، بعض آيات الأحكام ذكر الله حكمَها باسمٍ من أسمائه مثل هذه الآية، أكثر من آية الحقيقة، فصار من يقطع الطريق إذا تاب قبل أن يُقدر عليه وأتى المسلمين وهذا من حكمة الشرع العظيمة حتى ينقطع شره إذا علم أنه لن يُعفى عن أبدًا استمر.

ولهذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن قاطع طريق حضر مجلس أبي هريرة رضي الله عنه وكان من قطاع الطريق المعروفين، حضر في حلقة أبي هريرة فترة الفجرِ، فلما بانَ النهار وإذا هذا قاطع الطريق موجود، قام الناس إليه يقبضوا عليه، فقال: ليس لكم ذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال أبو هريرة: صدق، هذا أتى إليكم ولم تقدروا عليه، هو أتى وسلم نفسه فإنه يغفر عنه، كيف عرف الحكم وهذا الحكم بالإجماع؟ بآية فيها ذكر اسمين من أسماء الله.

فدل على أن اسم الغفور واسم الرحيم لها معنى يُفهم، أما لو لم يكن لها معنى يُفهم لما ترتب عليها هذا الحكم الفقهي.

يقول القائل: طيب، الله -عز وجل- قال: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفور رحيم غير معروفة المعنى، يبقى الحكم هذا معلَّق، لا ندري ما معناه ماذا نفعل به؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ إلى الآن لم يأتِ حكمها، أتى حكمها بذكر اسمين من أسمائه تبارك وتعالى.

فعلى كل حال المعاندة والمباهتة والقول بأنه غير معروف المعنى هذا كله لا شك أنه من الباطل، أو أن تُبدله بمعنى تجتلِبُه مما ذكر -رحمه الله تعالى- ممن سماه -رحمه الله- بالطواغيت هؤلاء الذين يلجأون إليهم ويترك تفاسير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، لا شك أن هذا من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وأعطيك مثالًا يسيرًا جدًّا تعرف أن الصفات على ظاهرها، النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم نزل مطر فحسر صلى الله عليه وسلم عن رداءه -الرداء هو يعني كانوا يلبسون إزارًا يشد أسفل في الجسم والرداء مثل ما يفعل المحرم الرداء يغطَّى به- فحسَر صلى الله عليه وسلم عن ردائه فأصابه المطر، قالوا: لمَ تفعلُ ذلك يا رسول الله؟ قال: «حديثُ عهدٍ بربِّه» صحيح مسلم.

ما معناه؟ أتى من العلوِّ، لو كانت النصوص على غير ظاهرها لكان هذا -معاذ الله- تضليلاً للأمة، يقول: «حديث عهدٍ بربه» يعني أتى من العلوِّ، من أين أتى المطر؟ قال: «حديث عهد بربه» قريب من العلو.

فلو أن هذه النصوص ليست على ظاهرها لكان كما ذكرنا كذلك معنى ذلك أن النصوص تضلل الناس -معاذ الله- من ذلك.

إذًا ليس فيها -ولله الحمد لله- ألغاز ولا أحاجي، واللغز: هو الذي يتبارى الناس في حله والأحجوة قريبة منها، الأحجية والأحجوة: لغز يتبارى الناس في حله واللغز مثل ما ذكر مالك وحج منًى الناس، ثم يذهب هذا ويشرِّق ويغرِّب ويقول لك: لا، هي منى، بس سقط ذا، هذه ما تصير في تعريف الله عز وجل لعباده، لكن تكون مجالس أدبية في مسابقات في أمور تجلب للناس السعادة والسمر هذا وضع آخر، أما في تعريف الله ليس فيها لغز ولا فيها أحاجي، بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم به؛ وذلك لوضوحه، ماذا سمّى الله القرآن؟ سمّاه بالبيان والنور والهدى والمُنير والتبيان والشفاء ونحو ذلك من الأسماء التي تدل على أن مراد الله واضح في نفس النصوص لمن عرف اللغة، من كان قطعًا يعرف اللغة سواء من كان من أهلها الأصليين أو تعلمها، لا سيما إذا كان المتكلم صلوات الله وسلامه عليه أعلم الخلق بما يقول، فليس هناك أي خوف من تطرُّق الخلل إلى علمه حاشاه صلى الله عليه وسلم، وهو مع ذلك أفصح الخلق؛ لأن بعض الناس عنده علم لكن ما عنده قدرة على إيصال المعلومة ليس عنده فصاحة هو أفصح الخلق صلوات الله وسلامه عليه، ومع ذلك لن قد يوجد أعلم الخلق وأفصح

الخلق لكن ليس لديه همة ولا نصيحة، وهو أنصح الخلق صلى الله عليه وسلم في البيان والتعريف.

وأين الدليل؟ في القرآن، أين الدليل في القرآن على هذه الصفات الثلاث؟ في نوح ماذا قال الله؟ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢] فهو أعلم منهم وهو أكثر نصحًا، والرسالة هذه التي يبلغها ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ إذًا هي علم لم يضعها في اشكال ذلك يقول أعلم الخلق وأفصح الخلق وأنصح الخلق.

تتركون هذا وتذهبون إلى بنيات الطريق وإلى عبد الجبار، وإلى الزمخشري، وإلى الرازي، وإلى البيضاوي، وتتركون بيان محمد صلى الله عليه وسلم وبيانَ الصحابة - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- تتركون من قال:

«وإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَتْ عَافِيَتُها في أولِها، وسيُصيبُ آخِرَها بَلاَءٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها وتَجِيءُ الفِتنةُ فيقولُ المؤمنُ هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ فيقولُ المؤمنُ هَذِه هَذِهِ..».

هذا الذي يكون في آخر الزمان؛ ولهذا لتنظر سبحان الله العظيم في الغربة العظيمة الحالكة الآن في كثرة من يقع منه الشرك ممن يقول لا إله إلا الله، تعرف حقيقة الغربة العظيمة التي يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام غريب وسيعود غريبًا، أن هؤلاء يقولون: لا إله إلا الله، التي أتت لتقصِم الشرك ثم هم يفعلون الشرك.

فمثل هذا يحتاج إلى همّة من قبل أهل العلم وعزيمة وقيام بما ذكر أهل العلم أن يسعوا إلى أن يكونوا على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرص على أن يتعلموا العلم، وعلى أن يكونوا أنصحَ لأمتهم، وأن يكونوا -قدرَ المستطاع- باذلين الجهد كتابيًّا أو شرحًا، أو إذا احتيج إلى مناظرة أو نحوه؛ حتى ينتشر الحق ويعرف.

ولهذا -سبحان الله- لو تنظر في من كان لهم مواقف غيرت وجه الأمة تغييرًا عظيمًا لوجدت أناسًا يعني -سبحان الله- الوضع قبلهم والوضع بعدهم غاية في التغير.

فالإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليه، اقرأ الكتب الموجودة في وقته هو؛ حتى تعرف حقيقة الوضع، سواء من كتب أهل الجزيرة مثل الشيخ "عثمان بن قائد" وغيره، "عثمان بن قائد" -رحمه الله وغفر الله له- يعدُّ في شيوخ نجدٍ -فيما يظهر لي والله أعلم- قبل الشيخ ، وكان أفضل واحدٍ في العقيدة، ما أعلم أحدًا أفضل عقيدة منه، له كتاب موجز الصغير اسمه، كتاب مشهور أو لعله غير مشهور، كتاب في "حثِّ الخلفِ على اعتقاد السلفِ"، هذا الكتاب مع أنه من أحسن الكتب، في الأسطر الأولى يقول بوجوب النظر "اللي عليه المعتزلة" يدلك على عدم وضوح الصورة العقدية بالوضع الذي عليه، تجد في مقالات عدد من المعاصرين اللي قبل الشيخ بسنوات يسيرة بعضها بالخمسين سنة وبعضها أبعد من الشيوخ الكبار تجويز الذبح للجنِّ إذا خيف منهم يذبح لهم اتقاءً لشرهم.

لما جاء الشيخ -رحمه الله- قال: هذه مقالات المعتزلة لا موضوع النظر، ولا موضوع الصفات التي عليها القوم هؤلاء من الأشعرية وأمثالهم، ولا مسألة الذبح لغير الله، ولا القبور ولا نحوه، فتغير الوجه تغيرًا كبيرًا.

ولذلك أقول لك: لا تُنظر فقط في كتب الشيخ، انظر الكتب التي قبل الشيخ، شوف كيف يقول القشاشي (القشاشي قبل الشيخ بخمسين سنة) كيف كان يذكر طريقة المريد في نجد، كيف يبايع شيخ الطريقة الصوفية في نجد، هذا شيء عجيب الآن في نجد شيخ الطريقة موجود، كان في بلدة حرمة الطريقة القادرية، بنفس ما عليه القادرية في العراق وفي الشام وعند القادرية الجيلانية و"متصرفٌ في الأكوان" والعياذ بالله من العبارات القبيحة، فغيَّر -رحمة الله تعالى عليه- بدعوته، ولعل الله أكرمه بنية صالحة، فتغيرت معالم كبيرة ثم امتد التغيير -ولله الحمد- إلى بلدان أخرى.

ولذلك الإنسان يحرص على أن ينفع الله -عز وجل- بهذا النفع، ويغرس في أمته ما استطاع، ويجعل الله -عز وجل- له إذا أصلح الله له النية وبذل ما استطاع وكان متعقِّلًا تاركًا عنه الصراعات والدخول في مشاكل مع هؤلاء الولاة، هؤلاء الناس حالهم عجيب

عند منهج سليم ثم يذهب ليناطح هؤلاء الولاة، هذا غلط أنت الآن بهذه الطريقة تستفزُّهم عليك، أنت عندك ما فيه هداية الناس في التوحيد، هداية الناس في تعليمهم حتى الوضوء والصلاة فيه جهل عظيم جدًّا بها، ثم تذهب لتناطح هؤلاء، هؤلاء لهم باب في النصح محدَّد، حدَّده لك الشرع وأنت عالم عامَّة، العامة بحاجة إليك، الملايين من العامة بحاجة إليك، هؤلاء تنصحهم بالطريقة الشرعية وبالأسلوب الشرعي، تتركون عنكم مناطحات لهؤلاء الحكام لأنهم لن يتركوكم، يبيدونكم إبادة، هم يفسدون دعوتكم.

والغالب أنهم إذا رأوا مَن لا يُعد خطرًا عليهم أنهم يتركونهم -هذا حقيقة، واقع في كثير من البلدان في العموم الأغلب- حتى يشعروا أن هذا يمثِّل شيئًا من الخطر على حكمهم وعلى كراسيهم.

أنتم ما لكم وما لهذه المسألة؟ انصحوا للعامة وللراعي معًا بالأسلوب الذي يحدده الشرع ولا تُقحموا الدعوة في هذه المتاهات فتسدُّوا الباب على أنفسكم وعلى غيركم؛ بحيث إنه يُمنع أهل الحق من دروسهم ومن نحوه، وكم جنى -الحقيقة- التصرف هذا؟ كم جنت على الدعوة وعلى أهلها بسبب هذه التصرفات المتهورة.

فيُلحظ أمرُ النصح والصدق وقولُ الحق وعدم قول الباطل، لا يعني ذلك أنك تقول الباطل، ما هذه الدعوة؟ كيف دعوة تقول فيها الباطل؟!، ما استفدت، لكن تقول الحق وتبينه بالأسلوب والحكمة الشرعية.

تجد هذا الشخص يعيش خمسين أو ستين سنة؛ بعضهم كان شيخنا ابن باز -رحمه الله تعالى-جعله في مثل بعض البلدان الإفريقية وفي غيرها، وجلس فترة حتى شابَ وصار رجلًا كبيرًا، حتى أحدهم -رحمة الله تعالى عليه- تجاوز المئة، وكان يُدفُّ على الكرسي ويقيم محاضرات بعد المئة، مات عمره المئة وواحد -رحمة الله تعالى عليه-، غيروا بلدانهم بمعنى الكلمة، نشروا التوحيد، وحذروا من الشرك، وصار الناس حتى الذي يكون عنده موقف منه يبدأ يتهيَّب من أمر القبور والذبح لها، حتى مع موقفه المعادي له، يقول له: أم أن نذبح القبور وندعو غير الله هذا يعد مكسبًا، أنت الآن تدعوه لنفسك حتى

يقبل رأسك ويقبل يديك، ما لك وما له، المهم أن يصلح اعتقاده حتى لو عدك عدوًّا هذا مكسب فيما بعد هو يعرف ويتعقل أو حتى لو لم يتعقل كونه يترك الشرك هذا مكسبٌ، حتى لو يدعو عليك ليل نهار، ليس لك مقصد شخصي، وإنما لك مقصد في نشر التوحيد والسنة.

بذلك يكون الإنسان المتأقل ينفع الله تعالى به أعظم النفع، فمن هنا تكون مثل هذه المسائل حتى مسائل الصفات ونحوها التي شرحناها الآن تحتاج إلى شيء من التَّسهيل والتيسير، ووضع مثل هذه العقيدة الحقيقة عظيمة جدًّا، والمقدمة هذه وحدها تكفي، مقدمة الكتاب كافيةٌ في نفسِها؛ لما فيها من المعاني التي رأيت؛ لأن من يقول لك إن النبي صلى الله عليه وسلم ليس أنصح الخلق ولا أعلم الخلق، قل ما شئت في هذا، هل القرآن ألغاز؟ هل القرآن أحاجي؟ يقول -والله معاذ الله- ما أقول أحاجي، لكن أساليب العرب ما أساليب العرب، طيب أنت أعرف من ابن عباس؟، كيف ابن عباس يفسرها على ظاهرها؟ أتظن أن المتكلمين أعرف من ابن عباس؟! تحت أي شيء من الحكمة واللباقة والرفق والتؤدة وأنك تعرف الدعوة في البلدان التي يكثر فيها التصوف يكثر فيها المتكلمون تحتاج لشيء من التأني والترفق وعدم المصادمة، لكن لا تقل إلا الحق وإياك أن تقول الباطل.

لكن كما قيل تقول: هذا مِجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت له قيء الزنابير -مدحًا وذمًّا- وما جاوز وصَّاهُما والحق قد يعتريه سوء تعبير،

وإن أردت، قلت العسل هذا قيئ: تقيؤ الزنبور هذا، وإن شئت تتلفظ بأن من تشاء مجاجَ النحل تمجه مجًّا، ونفس العبارة هي نفسها.

والحق قد يعتريه سوء تعبير، أحتاج لشيء من الحنكة والتؤدة والرفق والصبر في مثل هذه الأمور، والإنسان يستحضر أنه لا يدعو لنفسه، لهذا كلمة لطيفة للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في فوائد كتاب التوحيد (مسائل كتاب التوحيد) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال: فيه التنبيه إلى الإخلاص

أن من الناس من يدعو إلى نفسه، حين تدعو لنفسك بعض المرات إذا كان قصدك الجماهير وقصدك مدح الناس تدعو إلى الله، أنت تظن أنك تدعو إلى الله وأنت تدعو إلى نفسك في الحقيقة.

بدليل أن رجلًا فاضلاً يبرز وهو على نفس عقيدتك ويحبه الناس ويذهب معظم التلاميذ اللي عندك، ما يبقى عندك الا أربعة أو خمسة فتصاب بالاشمئزاز، لماذا؟ ألست وإياه سواء؟ هذا ينبغي أن يجلِب لك الفرحة وزادهم الله ليتجهوا إليه، وهو حِمل أحمله أنا وإياه؛ فدرسه درسي ودرسي درسه، لكن إذا كنت تدعو إلى نفسك لا تشعر به.

ولهذا ذكر ابن النحاس الشامي -رحمه الله تعالى- في كتاب لطيف جدًّا ونافع -رحمه الله تعالى-عليه يقول: من دلائل الإخلاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دليل: "إن كنت تريد بإنكار المنكر وجه الله؛ فإنه إذا غُيِّر على غير يديك فرحت، أما إن كنت إذا غُير على غير يديك انقبضت، فأنت لا تقصد المنكر، وإنما تريد أن يزال المنكر على يدك أنت فينسب إليك فأنت غير مخلصٍ".

والله في دقائق يا إخوة نسأل الله أن يصلح لنا ولكم القلوب، في دقائق ينبه عليها العلماء كابن القيم وغيره مثل هذه المسائل، يقول: وربما قال هذا الذي دخل على السلطان وغيَّر المنكر صحيح أنه غير المنكر، لكن لو كنت أنا لقلت مقامًا غيره، ولقلت. يقول: هو لا يقول هذا الكلام إلا لأنه غير المنكر على غير يديه وهو مغتابٌ أن المنكر غيِّر على غير يديه، فهو في الحقيقة لا يريد تغيير المنكر لكن يريد أن يُنسب تغيير المنكر إليه، فهو غير مخلص، أما إذا كان مخلصًا وقيل: سعى فلان في المنكر وغيره عند الوالي، اللهم ارفع درجته واجزِ له خيرًا، الحمد لله أنه غُير المنكر على يده أو على غير يده.

وهكذا نفس الشيء إذا ارتفع أخٌ لك في العلم وأقبل الناس عليه إن كنت صادقًا فرحت؛ لأن عقيدتَك عقيدته وهدفك هدفه، أما اذا كنت تريد جمعَ الناس إليك لا؛ تسعَى تتسمع له في الليل وفي النهار تشقى لهذه الكلمة ثم ترد عليه وتترك عباد الشيطان، وتترك الرافضة، والملاحدة، والمخرفين، وتجلس لهذا الشخص كل ما خطب جمعة مسكت

عليه، كلما ألقى درسًا مسكت عليه وعقيدتك هي عقيدته بالضبط، وهذه الكلمة التي قالها لو ترجع لبعض مقالاتك أنت ربما أنت قلتها، لكنك تريد التصيُّد عليه، فهذه من الشيطان يا أخي .

أختم بهذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-شيخ السلفية في وقته وبعد وقته -رحمه الله- قعَّد قاعدة في الردود جميلة جدًّا أرسلها إلى اثنين من تلاميذه، قال: إذا أخطأ أحد فلا تردوا عليه، إذًا ماذا نفعل؟ قال: إذهبوا إليه، فانصحوه فإن قبِل وإلا فردُّوا عليه، من يطبق هذا الآن؟ كان يطبقه الشيخ الإمام ابن باز -رحمه الله تعالى- كان يستدعي الشخص إلى بيته ويلاطفه، ويضيفه، ويقول: أنت قلت كذا وكذا، وهذا الكلام لا يليق ولا ينبغي، فإذا قال: صحيح يا شيخ أنا، قال: اكتُب بالتراجع عن هذا أنت من نفسك، كأنه حريق أشعله ثم أطفأه فتنتهي.

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب لامَهم قال: لا تردوا مباشرةً، اذهبوا إلى الشخص وانصحوه فإن قبِل فالحمد لله، ما الحاجة للردِّ، أما اذا لم يقبل فإنه يستحق الرد عليه.

فمثل هذه المقامات، نسأل الله أن يصلح النية والعمل، وأن يحمِّدنا وإياكم العاقبة.

الأخ يقول: ما توجيهكم لطالبِ العلم المبتدئ في الطلب؟

طالب العلم المبتدئ كاسمه يبدأ بالكتب المبتدئة يعني لا يُقحم نفسه في الكتب الموسعة والكتب الطويلة، وإنما يأخذ الكتب الميسرة؛ كالأصول الثلاثة، والقواعد الأربعة ويبدأ ويتدرج كذلك في بقية الأبواب.

نفسُ الشيء سؤالٌ عن طالب العلم المبتدئ يقولون: اذكر هنا بعض الكتب المهمة التي تنصحون بها لابن تيمية -رحمه الله-.

أنصحك بكل كتبِ ابن تيمية، لا يمكنني أن أقول لك إن هذه الكتب لابن تيمية تُنصح بها إلا في شيء واحد: اعرف موقعك من الكتاب يعني هل أنت متناسب وضعك مع هذا الكتاب من الكتب؟

الـردود؛ فمـثلاً "درء التعـارض"، مـا أقـول لـك لا تـذهب إلـى درء التعـارض، درء التعـارض هـذا أسـاس مـن أسـس الـردِّ على المتكلمين، لكـن هـل أنـت في مستوى هـذا الكتاب، هذا الموضوع، لكن "الواسطية" وأمثالها كتب عظيمة.

يقول "مختصر التحرير" لابن النجار من الناحية العقَدِية: الكتب هـذه في كتـب أصـول الفقـه وفي غيرهـا، وفي كتـب التفسـير، وفي شـروح الحـديث ينبغـي أن يكـون المقـدِم عليهـا عارفًا بعقيـدة المصـنِّف، فـإذا عرفهـا في هـذه الحـال فإنهـا لا إشـكال في أن يقرأهـا، لكـن أن يكون غيرَ عارفٍ ويُقحم نفسَه، يعني لو قلـت لـك مثلاً عَـن الشـيخ القسـطلاني يقـول: "إن النبي صلى الله عليه وسلم حياته كمماتِه، وهـو يعـرف وهـو في قـبره مـا يتعلـق بأمتِـه بنيـاتهم وعزائمهم وخواطرهم"، صدِّق هذا الكلام؛ لأنه موجود في كتب الشـروح؟!، النبـي صـلى الله عليه وسلم يعرف نياتهم وعزائمهم وخواطرهم وفكرهم. غلوٌّ هـذا، عيـاذًا بـالله، فنقـول لك لا إذا كنت لا تعرف ما في هذه الكتب من الإشكال لا تُقدم عليها، لكن إذا كنت تعـرف وأسست العقيدة لا يضرك مـا فيهـا بعـد أن تأصَّـلت تقـرأ في كتـاب للمعتزلـي والزمخشـري وغيره إذا كنت متمكنًا، أما إذا كنت غير متمكن فلا تقحم نفسك في هذه حتى تتمكن.

يقول: قول النبي صلى الله عليه وسلم فإذا عرفوا الله المعرفة التي يوجبها المتكلمـون يجعلونهـا أول واجـب غيـر صـحيح، مـا العلاقـة؟ إذا عرفـوا الله تعـالى المعرفـة الشـرعية بدليل؟ ما الدليل؟ اللفظ الآخر، فادعهم إلى أن يوحدوا الله، التوحيد، هذا هو المقصود.

يقول ابن مسعود رضي الله عنـه: أَنكـر علـى أهـل الـذكر الجمـاعي أو أنكـر علـى العـدِّ بالحصى، كلاهما أنكر على الأمرين؛ لأنهم كانوا يجمعون الحصى هذه، وفي نفس الوقـت كانوا يذكرون ذكرًا جماعيًّا.

يقول: أنا في قسم أصول الفقه غالب علماء المتكلمين كيف يمكن التعامـل مـع كتبهم ونقولاتهم، فعلاً هذا كثير الحقيقـة في كتـب الأصـول، المهـم أن تضـبط المسـائل العقديـة، كتب الأصول الحقيقة فيها شيء كثير يعني معظم الكتب لا تخلو، سـواء مـن كتـب الـرازي

أو كتب الجويني أو "المستصفى" للغزالي فيها إشكالات كثيرة من المهم أن تعرف الجانب العقدي فيها.

هل لطالب العلم الانشغال بالرد على من يسيء للعلم والعلماء؟ لا شك أن مسائل العلم والعلماء يستحق صاحبها الرد، لكن كلما كان الرد من أكابرنا وشيوخنا الكبار كان أبلغ في إطفاء الفتنة.

يقول: كيف يدعو للتوحيد في بلدٍ معظم أهلها صوفية؟ كيف يبدأ في دعوتهم؟ يبدأ بدعوتهم بنفس ما يبدأ به النبي صلى الله عليه وسلم، لكن مثل ما ذكرنا يعني يحتاج إلى شيء من التأنِّي والترفُّق، وبعض البلدان الإفريقية تغير وجهها من نحو خمس وعشرين سنة تغيرًا كاملاً، الجيل الجديد هذا من الشباب وقبله الحقيقة نسوا التيجانية نسيانًا بفضل الله ومنته.

كان عندهم دورات علمية تُعقد على مدار حوالي خمس وعشرين أو سبع وعشرين سنة، ولله الحمد والشكر تغيروا بهدوء وبرفقٍ، وبعد عن مصادمة السلاطين حتى من طريقتهم وفقههم والله إذا أتوا اتجهوا إلى الحكام قالوا نحن مجموعة من طلاب العلم من هذه البلاد أتينا من المملكة ما عندنا إلا شرح هذه الكتب، وليس عندنا أي أغراض أخرى نضع هذه الدروس، سُخِّرت لهم هذه الحكومة تسخيرًا، حتى إن أحدهم مرة أراد أن يذهب إلى بلدة بعيدة كانت في الصحراء أرسلوه بطيارة الجيش؛ لأنهم إذا شعروا أنك ما منك خطر، ما عندهم إشكال، إذا شعروا أنك تأتي تحرِّض الشباب، وتجمع الشباب وتحثُّهم على القتل وعلى الاغتيالات، قطعًا قطعًا لن يتركوك، فلما عرفوا أنهم بهذا المستوى صاروا يرحبون بهم غاية الترحيب حتى أعطوهم فترة في الإذاعة يلقون فيها وليس عندهم أي إشكال، فتحتاج إلى شيء من الحنكة والحكمة بعد توفيق الله -عز وجل- لكن لا تقل إلا الحق، لا تقل الباطل، لا تقل الشرك ليس بشرك أو التوحيد، لا بد أن تقول هذا لكن بأسلوب هادئ وبعبارات لطيفة تُوصِل الحق.

ليسِ لدي سؤال لكن أحبك في الله، أحبك الله الذي أحببتني له، والله تعالى أعلم، وصلى الله عليه وسلم على رسوله.

يقول: مسألة الدورات هذه في تطوير الذات والاعتماد على كتب الفلاسفة التي تحوي شركيات ونظريات في عقيدة الفكر العقدي الوافد وانتشار علم الأبراج وتنبيه النساء إلى مثل هذا، لا شك هذه الحقيقة كثير من الأمور الآتية من البلدان الشرقية مثل الموجود عند أهل الهند، موضوع رياضة اليوغا، موضوع ما عند البوذيين من بعض الطرائق التي يقولون إنها فيها جانب رياضي أو جانب تنمية الذات، أو نحو ذلك.

كثير من المسلمين الذين يدخلون في هذا، الحقيقة أنهم لا يعرفون خطرها العقدي، يقول لك: أنا لا يهمني، أنا أتحرك حركة معينة أو أفعل فعلًا معينًا، هذا الفعل هو عندهم يمثل عقيدة، أنا بالنسبة لي لا أعتقدها، هذا الفعل في نفسه طقسٌ من الطقوس عندهم، أيصلح أن يأتي أحد يقول والله المسلمين عندهم السجود فيسجد ويقول: أنا لا يهمني السجود؟ نقول: أخذت شيئًا من المسلمين؛ السجود.

نفس الوضع بالنسبة للطقوس، الحقيقة، والحركات قضية تطوير الذات وغيرها كثير ممن يتولاها هم ليسوا من طلبة العلم، ولهذا يدخل عليهم دواخل كثيرة فيها إشكالات عقديه ليست سهلة، لأجل ذلك لا بد أن تلاحظ مثل هذه الأمور: تطوير الذات والعبارات التي أتت، هذه مجملةٌ لكن الحقيقة أن أعظم تطوير هو: أن يُعرَّف الناس بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف؛ في إقدامه، وكرمه صلى الله عليه وسلم، وحِلمه، وقوله بالحق، وصبره، وبذلِهِ صلوات الله وسلم عليه، أعظم من يمكن، نحن المسلمين الذين ينبغي أن نصدِّر هذا للعالم ما أنتظر بوذيًّا أو هندوسيًّا يعبد البقر، أو هذا يعبد بوذا يُصدِّر لي أنا، يا صاحب التوحيد مثل هذه الأمور، كيف الأمور مقلوبة بهذه الطريقة؟ المفترض أن الأمر يعكس فاذا قيل هي فيها فوائد لكن هذه الفوائد نحن نأخذ النافع ونترك الضار،

أخذتم الضار وأنتم لا تشعرون، جملة من التصرفات التي يتصرفونها أصلاً تصرفات عبارة عن طقوس وثنية وأنت موحِّد ما تدري بالمدلول الذي تعنيه مثل هذه المسائل.

فالحقيقة أن الدخول في هذه الأمور بالغ الخطورة، وأنها نازلة من النوازل، فإذا أريد شيء منها فلا بد أن يعرف الوضع الشرعي لها وأن تعرض عرضًا تامًّا تفصيليًّا على من يعرفون ما في هذه الدورات من الإشكالات ومن غيرها.

أستطيع أن أجعلك تمشي على الجمر، ما هذا الكلام؟ من هو الذي يمشي على الجمر؟ اللي يمشي على الجمر من هو؟ سبحان الله، حركات سحريةٌ، طوِّر نفسك بحيث أنك تشعر بالقوة وفي وسطك أسد، أخرج الأسد، وأخرج الأسد ثم يُضرَب على وجهه، عبارات فارغة الحقيقة أشياء من أوصلوا للناس: أنت جعلت نفسك تعتقد أنك عندك قدرة على الوطء على الجمر، وثم يروح يحرق نفسه ويحرق رجليه.

فالكلام الفارغ هذا الحقيقة أنه لا شك في مخالفته الشرعية أولاً ابتداءً، ثم في ضرره، ثم ترى منهم تصرفات الحقيقة مجموعة من التصرفات، مرةً يأتون بدون ثياب، ومرة على الملابس الداخلية فقط التصرفات يعني أشبه من تصرفات يعني: أناس أقل أحوالهم بعيدون عن العقل والرزانة وما ينبغي أن يكون، فالمفترض هذه المسائل إذا وفدت على المسلمين أن تُؤخذ مأخذها السليم، ويُعرف ما فيها من حق، ويُعرف ما فيها من باطل إذا أريد، ثم مثل ما ذكرت لك أنت تريد تطوير ذاتك اقرأ في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي هديِ السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

تريد أن لا تحتقر أحدًا أبدًا عليك بقول ابن عدي بن الخيار: إذا رأيت أحدًا أصغر مني قلت: أنا سبقته في الذنوب، وإذا رأيت أكبر مني قلت: هذا سبقني في العبادة، خلاص لن تحتقر أحدًا، تريد تطوير ذاتك أكثر من هذا هذه الطريقة تجعلك ما تنظر إلى الناس نظر الشزر، إذا كان أكبر منك أو أصغر منك، وأشياء كثيرة من عبارات السلف التي فيها البركة رضي الله عنهم، وفيها الخير.

فلذلك تلحظ -للأسف الشديد- قال سقراط، قال أفلاطون، يعني ما تجد في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وفي كلام السلف الصالح البديل، تجد البديل لكنك تظن أنه يوجد نوع من الظهور لك، إذ قد تعرف كلام سقراط وتعرف كلام سارتر أو غيره من ملاحدة الشرق أو الغرب، يكفيك مجرد أنك تجعله بمثابةِ الحكيم، تبرز قوله في الأمة، تنشر مقالاته، هذا في ذاته إشكالٌ، في الناس عامةٌ، في الناس صغارٌ، في الناس يعني بنيَّات صغيرات سفيهاتٌ لا يعلمن، والشباب صغار مفترض أن الأمور لا تكون يعني بهذا، ويعرف المسلمون أنهم سيقابلونه عند الله عز وجل.

نخشى أن نأطل مع الأخوة سؤالين: اذكر اسم كتابٍ من كتبِ الاعتقاد المسنَدة. إخوانا جايين من العراق من بدي جاي من العراق من سفرٍ طويل لعلنا نبدأ بالشيخ: الصابئة المذكورون في القرآن عقيدتهم حق أو باطل، الدليل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [الحج: ١٧]، سبحانك اللهم وبحمدك.

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد.

فسنواصل اليوم -إن شاء الله تعالى- من حيث وقفنا في درس يوم السبت، إن تيسَّر مجيء فضيلة الشيخ -شفاه الله وعافاه- فبها ونعمت، وإن لم يتيسر فلعلَّنا أن نواصل في الكتاب حتى نتمَّه، وهذا يتضح -إن شاء الله- لاحقًا بإذن الله.

فنواصل من حيث وقفنا، ثم نقول كما ذكرت في بداية الدرس: يصعب أن تُقرأ إذا وصلنا إليها إن شاء الله حددتُ موضعًا معينًا في الكتاب ننتقل إليه، ثم نختم الكتاب بإذن الله على خير.

نعم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

قال رحمه الله تعالى: وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء؛ لا في نفسه المقدسةِ المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما يُتيقن أن الله سبحانه له ذاتٌ حقيقية، وله أفعالٌ حقيقية، فكذلك له صفاتٌ حقيقية، وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزهٌ عنه حقيقة.

فإنه سبحانه مستحقٌّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث؛ لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقةَ العدمِ، ولافتقارِ المحدَث إلى محدِث ولوجوب وجوده بنفسه -سبحانه وتعالى-.

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل؛ فلا يُمثِّلون صفاتِ الله بصفات خلقه كما لا يُمثِّلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسَه أو وصفه به رسولُه صلى الله عليه وسلم، فيعطلون أسماءَه الحسنى وصفاتِه العلا، ويُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ويُلحِدون في أسماء الله وآياته.

تكلَّم -رحمه الله تعالى- عن حقيقة اعتقاد أهل السنة، الذي اتفقوا عليه لا يُخالف في هذا أحد بدءًا من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى قيام الساعة.

أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، وهذه آية قرآنية، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ثم حدد فقال: لا في نفسه -سبحانه وبحمده- المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فليس كذات الله تعالى ذات، وليس لله تعالى مثيلٌ في أسمائه، وليس له مثيلٌ في صفاتِه -سبحانه وتعالى- ولا في أفعاله.

انظر هذا الاسم العظيم (الرزاق) هذا الاسم لا يحيط بمعناه إلا الله -سبحانه وتعالى-.

الآن جميعنا هنا مرزوقون رزقًا واحدًا لو انقطع عنا لمتنا في الحال، وهو التنفس، التنفس رزقٌ من رزق الله -عز وجل-.

تريد أن تعرفَ عظمة هذا الرزق؟ انظر إلى الذين يفتقدونه في المستشفيات، وانظر إلى ما يمكن أن تبذل من جميع مالك لو أن خللًا أتى في تنفسك، فهذا الرزق؛ بإيصال رزقِ كل مخلوق إليه من اسمه الرزَّاق سبحانه، صيغة المبالغة.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾. من دواب وطيور وجن وإنس وملائكة كلها قد قام الرب -عز وجل- عليها، ويوصل إليها رزقها -سبحانه وتعالى- ويعلم مستقرها ومستودعها، لا يمكن أن يأتي في نفس موحِّد أن لهذا الرب مثيلًا في أسمائه أو صفاته.

ولأجل ذلك لما ذكر الله تعالى علمه قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

فصفاته تبارك وتعالى وأسماؤه -عز وجل- على أكمل وأعظم ما يكون من الكمال، والمخلوق له من الوصف بحسبه، ولأجل ذلك صفةُ العلم التي ذكرناها الآن.

قال الله -عز وجل- في صفة العلم للمخلوق: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فلله علمٌ يليق بعظمته وللمخلوق علمٌ يليق بنقصِه، وليس علم المخلوق كعلم الخالق، وقِس على هذا جميع الصفات.

ولأجل ذلك لاحِظ في الآيات القرآنية شيئًا؛ التي قلنا إن الله سماها بالهدى والشفاء والنور والفرقان.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾، ثم بيّن أن هذا الحي ليس كالأحياء، فقال: ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أما كل حيٍّ فإنه ميتٌ ولا بد: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

وهكذا كثير من صفاته -سبحانه وتعالى- ففي الحديث المذكور علَّقه البخاري ووصلَه غيره: «أن الله ينادِي -في القيامة - بصوتٍ يسمعُه من بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ...». يسمعه من بعُد كما يسمعه القريب؛ لأن صفاته لا تقاس -سبحانه وتعالى- ولأن صفاته تليق بجلاله وعظمته وإلا فالمخلوق صوته يُسمع من قُرب، وكلما أبعد الناس عن الصوت كلما خفَّ حتى ينقطع، فيكون فيه الآن -مُتأخِّرٌ- من لا يسمع الصوت نهائيًّا، أما في القيامة فينادي تعالى بصوتٍ يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب، وهكذا صفات كثيرة وأسماء كثيرة يُبين النص فيها أن الله ليس كمثلِه شيء -سبحانه وتعالى-.

ولهذا في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكَر درجاتِ الجنَّة، وهي مخلوقة، درجات الجنة مخلوقة.

قال: لأحد الصحابة عنده «...أما إنَّها ليست بعتبةِ أمِّك...» يعني: لا يعني أن الموجود في الجنة من درجاتِ الجنة كدرجة البيت التي لأمك، لماذا؟ لأن ما في الآخرة

وما في الغيب لا يُقاس على الشهادة، وهذه مخلوقة وهذه مخلوقة، فما بالك بالخالق - سبحانه وتعالى- الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

ولهذا يقول شيخ الإسلام في الرسالة المدنية: أكثر أصحابنا على كُفر المشبهة، الشخص الذي يقول إن صفات الله كصفات المخلوق لا شك أنه كاذبٌ فيما يقول.

لأنه قد أنزل من مقام الرب -سبحانه وتعالى- في صفاته ورفع من مقام المخلوق الضعيف الذي قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

فالمخلوق محاطٌ بالضعف في أوله وآخره، ضعف في كل ما فيه فهو ضعيفٌ مخلوقٌ، ولئن قوي قوة مادية محدودة فإنها بحسبها.

ولهذا لما اغترَّت عاد بقوتهم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

فالحاصل أن صفات الخالق -سبحانه وتعالى- لا يجيء في ذهن موحد بتاتًا أنها تماثل صفات المخلوق؛ عز اسمه وتعالى عن ذلك، وهكذا أفعاله سبحانه وبحمده.

ثم قال: فكما يتيقن أن لله ذاتًا حقيقية وأن له أفعالًا حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، لأن أفعال الخالق مثل: إنزال المطر وإنبات العشب وإيصال الرزق إلى الناس هذه يتفق عليها الجميع حتى الكفار ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ إلى آخره.

جاء الإشكال عندهم في الصفات وقالوا: الصفات لا تُثبتُ لله؛ لأنها تؤدي إلى تشبيه الخالق للمخلوق. المخلوق أليس له ذات؟ كل مخلوق له ذات يقولون: بلى. هل ذات

الخالق كذات المخلوق؟ يقولون: لا، ذات الخالق تليق به، فكذلك الصفات؛ صفات الخالق تليق به وأفعال الخالق تليق به -سبحانه وتعالى-.

لذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله، ثم نبَّه إلى أمر هو الذي خفي على أهل الكلام: "كل ما أوجبَ نقصًا أو حدوثًا فالله منزهٌ عنه".

إشكالهم ماهو؟ ومن أين أتاهم؟ قالوا: إن إشكالهم أنهم قاسوا الخالق على المخلوق، فقالوا: المخلوق بهذا الوصف ضعيفٌ، فالغضب في المخلوق ضعفٌ.

فالله -سبحانه وتعالى- لا يُصاب بالغضب، لاحظ العبارة، لأن الغضب في المخلوق ضعفٌ أي قياس هذا؟ أي قياس؟ تقيس الخالق سبحانه في عظمته وغناه بالمخلوق في ضعفه وفنائه وافتقاره.

فتقول: إن الغضب في حق المخلوق ضعف، هو ضعف في حق المخلوق فما علاقة الرب -سبحانه وتعالى- في صفته العظيمة هذه بغضب المخلوق؟ غضب المخلوق يتناسب مع ضعفه، وغضب الخالق يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

مثل ما ذكرنا في العلم تمامًا علم الله ليس كعلم المخلوق، ولا ننفي عن الله العلم؛ لأن علم المخلوق قليل كما قال تعالى، وكذلك غضب المخلوق يليق به، وغضب الخالق يليق به، فإن قلت: يلزم على الغضب نقصٌ فهو بحق المخلوق، أما غضب الخالق فلا تقسِ الخالقَ على المخلوق أصلًا وهكذا سائر الصفات.

لهذا قال: "وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا" الحدوث هو الشيء الذي ينشأ جديدًا، فإن الله منزهٌ عنه -سبحانه وتعالى- لامتناع العدم عليه. الرب -عز وجل- غير مسبوق بعدم أما المخلوق فهو حيٌّ مسبوقٌ بعدم، ومتبوعٌ بموت.

لذا قال تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾، ولهذا الاسم الذي لله تعالى: هو الأول.

فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلكَ شيءٌ» فهو غير مسبوق -سبحانه وتعالى- بعدم، كالمخلوق إنما المخلوق هو المسبوق.

لأجل ذلك فكل صفة من صفاته تعالى تليق بعظمته، فإن قيل: إن ذلك يوجب نقصًا. قيل: هذا يوجب نقصًا في صفة المخلوق فلا تقس الخالق على المخلوق، والله -عز وجل- منزهٌ عن ذلك؛ لأنه مستحقٌ للكمال الذي لا غاية فوقه.

ولهذا تأمل أسماء الرب -عز وجل- استُعمِل معها صيغة أفعل التفضيل، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، الحسنى اسم تفضيل، ولم يقل الحسنة، والوصف ماذا قال الله فيه؟ ولله المثل، ما قال العالي الأعلى -سبحانه وتعالى-.

لأجل ذلك يُقال صفات الله -عز وجل- العلا؛ لأنها في أعظم ما يكون من الكمال، وكذلك الأسماء؛ فله تبارك وتعالى من الأسماء الحسنى، وله من الصفات العُلَا عزَّ اسمه، فلا كمالَ بتاتًا إلا، على الحقيقة، إلا هو الخالق سبحانه، وما سواه فإنهم مخلوقون، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، فكلهم عبيدٌ، مُفتقِرون إليه -سبحانه وتعالى-.

ويمتنع عليه الحدوث، الحدوث، الشيء الحادث هو المسبوق -كما قلنا- بالعدم؛ لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم.

إذا قيل: إن هذا قد حدث فمعنى ذلك أنه كان معدومًا قبل ذلك، ولافتقار المحدَث إلى محدِث، المحدَث هو الذي جدَّ، هذا الذي جدَّ قد أوجده، إذا كان في الصناعات الحديثة يقول له صانعٌ وصنعه مثل الصناعات مثل الجوالات هذه، قبل سنوات ليست بعيدة ما كان شيءٌ يسمى الجوال.

إذا فهو حادثٌ له محدثٌ له صانعٌ، والرب -سبحانه وتعالى- هو الخالق -عز اسمه- وكل ما سواه فإنه قد أوجده -تبارك وتعالى-.

ولوجوب وجوده بنفسه، وجوب الوجود؛ لأنه غنيٌّ عما سواه -سبحانه وتعالى- أما من سواه فإنه لا يوجد بنفسه بل يوجِده الرب -سبحانه وتعالى-.

لأجل ذلك مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل. عندنا طائفتان، اللتان قلنا إن آية القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قد ردَّت عليهما، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطلة.

فمذهب السلف فيه إثبات ما أثبت الله ونفيُ ما نفى الله، ما الذي نفى الله؟ نفى الله المماثلة فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ كذلك في بقية الأسماء والصفات، فليس كمثله شيء -سبحانه وتعالى- في مجيئه يوم القيامة، وليس كمثله شيء في نزوله تعالى إلى السماء الدنيا، وليس كمثله شيء في فصل القضاء بين العباد.

وهذه مثل ما ذكرنا قبل قليل، مما يدل على أن صفات الله لا تُقاس، الله تعالى في القيامة يُحاسب الخلائق في كمْ؟ في لحظة، يحاسبك أنت وأنت وأنت والملايين من البشر والجن والمليارات في لحظة، تقول كيف؟ لا تُقاس صفاته -سبحانه وتعالى- هذا دليلٌ على أن لا تقاس صفاتُه.

لأن أي أحد يحاسب أحدًا من المخلوقين ينشغل بحسابه، ثم يبدأ في حساب الآخر، أما الرب سبحانه فيحاسب الجميع دفعة واحدة.

لما قيل لابن عباس: كيف يحاسبهم مرة واحدة؟! ماذا قال؟ كما يرزقهم مرة واحدة.

ماذا قلنا في النفس هذا؟ هل إن النفَس الذي أعطاني الله -عز وجل- هل امتنع -سبحانه وتعالى- عن أن يوصل إليك النَّفس أنت وعن المليارات هذه؟ ما امتنع.

فكما يوصل الأنفاس إلى المخلوقين جميعًا يحاسبهم جميعًا، لماذا؟ لأن صفاته لا تقاس -سبحانه وتعالى- فصفات الله لا تقاس، جاء البلاء على المتكلمين من القياس،

يلزم التشبيه، يلزم التشبيه في من؟ التشبيه في المخلوق الذي يقاس بمخلوق، أما الخالق فصفاته -سبحانه وتعالى- لا تقاس، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سبحانه وبحمده؛ إذ صفاته ليست كصفات المخلوقين.

ولهذه الحقيقة لن يعظم الله أحد بتاتًا حتى يثبت له الصفات؛ لأن الصفات هذه صفات كمال وينفي عنها المماثلة فإن أثبتها وشبهها بصفات المخلوقين فقد أنقص من مقام الله وإن نفى عن الله صفات الكمال بدعوى أنه يترتب على إثباتها تشبيهٌ فقد قاسَ الله على المخلوق فتوهَّم انتقال

النقص من المخلوق إلى الخالق، وهذا بسبب قياسه الفاسد.

إذًا فمذهب السلف بين التعطيل والتمثيل؛ لأن الحق هُدىً بين ضلالتين، فتجد الفِرق الضالَّة في موضوع القَدر إما نُفاةٌ للقدَر؛ كالمعتزلة والقدرية الأوائل أو الجبرية.

فيجيء مذهب السلف -ولله الحمد- وسطًا، وهكذا مذهب السلف وسط في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الرَّافضة.

وهو وسطٌ في الصفات بين المعطِّلة وبين المشبهة.

لهذا قال: فهو مذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ولا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

فيترتب على ذلك تعطيل أسمائه وصفاته، ويترتب على ذلك أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، لأن الذي يُعطل أبدًا أن يحرف الكلم عن مواضعه؛ إذ إنه إذا عطَّل فلا بد أن يؤول ويحرِّف المعاني السليمة للأسماء والصفات، ويُلحِدون في أسماء الله وآياته كما ذكرنا.

ونذكّر كما قلنا الصحابي الجليل الذي كان يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مع سورة أخرى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: سلوه لأي شيء ذلك؟ قال إنها صفة الرحمن وإني أحبها إنها صفة الرحمن: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ليس فيها إلا النفي والإثبات.

فمذهب أهل السنة هو إثبات ما أثبت الله ونفي ما نفى الله ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾ إثبات: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نفي هذا معنى كونه يجمعون.

فننفي ما نفى الله ونُثبت ما أثبت الله كيف يكون الإلحاد؟ أن تأتي إلى ما نفى الله فتثبته هكذا الإلحاد، هكذا الميل؛ تميل بالنصوص وبصفات الله تعالى عن المنهج والصراط المستقيم، أن تنفي ما أثبت الله أو تُثبت ما نفى الله، أما إذا أثبتَّ ما أثبتَ الله ونفيت ما نفى الله فذلك هو الصراط المستقيم.

وكل واحدٍ من فريقي التعطيل والتمثيل، وهو جامع بين التعطيل والتمثيل، أما المعطِّلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهوماتِ، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثَّلوا أولًا وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله -سبحانه وتعالى-.

هذه فائدة -الحقيقة- من نفائس شيخ الإسلام -رحمة الله تعالى عليه- الآن المعطِّل في طرف والممثِّل في طرف، العجيب أن المعطل ممثلٌ والممثل معطلٌ.

وهذه الحقيقة -أيها الأخوة لمن كانوا من طلاب الدراسات العليا يعني- يمكن أن يأخذ الرسالة في العقيدة أو موضوعها يجد عجائب، عجائب التناقضات في الفِرق، يعني عندنا على سبيل المثال المرجئة قولهم مخالفٌ لقول الخوارج في الإيمان؛ لكنهم يجتمعون في ماذا؟ يجتمعون في أن الإيمان شيءٌ واحدٌ يرتفع كله، ويبقى كله، مع أن هؤلاء خوارج، وهؤلاء مرجئة، وهؤلاء على طرف وهؤلاء على طرف، وهكذا في

موضوع القدَر النفاة والجبرية جميعهم يتفقون على أن الهداية معناها واحد، وأن الهداية ليست معنى واحدًا، والهداية كما تعلم في كتاب الله على نوعين:

هداية الدلالة والإرشاد؛ وهذه تكون للرسل عليهم الصلاة والسلام ولأتباعهم على بصيرة، وكذلك الله يهدي -سبحانه وتعالى- كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يعني دللناهم.

النوع الثاني: الهداية التي بمعنى قبول القلب للحق، وهي التي قال الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ والنوع الأول: ما قال الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ لاحظت على قول القدرية وعلى قول المرجئة الآيتان ماذا؟ متناقضتان؛ لأن الآية الأولى تثبت والثانية تنفي، على قول أهل السنة لا يستقيم فهم القرآن إلا على قول أهل السنة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ بالنوع الثاني، وهداية القلوب وقبولها للحق ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ هذه الهداية الخاصة بالله.

أما هداية الدلالة والإرشاد ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ ماذا يفعلون؟ ﴿يَهْدُونَ﴾، وأنت -يا طالب العلم- إذا استقمت على الحق وعلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم وعلى منهج أهل السنة فإنك تهدي يصح أن يُقال لك هادٍ؛ يعني تدل.

لأجل ذلك إذا جاءت الآيات هذه عند المعتزلة أو عند خصومهم من الجبرية ماذا يفعل بالآية التي تثبت وتنفي؟ التي تثبت لها مورد والتي تنفي لها مورد، وأن تكون الهداية واحدة، ماذا يكون معنى هذه الآية ومعنى هذه الآية؟.

وخذ من هذه التناقضات -الحقيقة- الشيء الكثير أن تكون الفرقة العادة الفرقة الضالة التي تكون على طرف والأخرى التي تكون على طرف لا تلتقيان، هؤلاء يُبالغون وهؤلاء يُبالغون، طيب كيف يلتقون؟ كيف يلتقون في نقطة؟ لأن هؤلاء قولهم غير محرَّر وهؤلاء قولهم غير محرر، ولو كان قول هؤلاء محررًا لاستمر على خطه لا يميل حتى يلتقي بخصمه.

وأعطيتك هذين المثالين ولها أمثلة أخرى.

لأجل ذلك ذكر هنا أن كل معطلٍ فهو ممثلٌ كيف المعطل الذي ينفي صفات الكمال الحقيقية يكون ممثلًا؟ قال: المعطل لم يفهم من أسماء الله وصفاته إلا اللائق بالمخلوق، ماذا فعل إذًا؟ مثَّل صفات الخالق بصفات المخلوق هذا المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية نفى؛ لهذا قال هم شرعوا في نفي تلك المفهومات؛ فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولًا وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاته، وتعطيلٌ لما يستحقه هو -سبحانه وتعالى- من الأسماء والصفات، أنت الآن عطلت. الذي ينبغي أن تعلم أن هو اللائق بالله، مثل ما ذكرنا لك في صفة الرزق والعلم هذا اللائق بالله -سبحانه وتعالى- فمثلت ثم عطلت، إذًا الممثل كيف يكون معطلًا؟ لأنه عطل المعاني الحقيقية التي ينبغي أن تُثبت لله -سبحانه وتعالى-.

قلنا لك الحديث الذي فيه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للصحابي لما ذكر درجة الجنة قال: «أمَا إنَّها ليْستْ كدرجةِ أمِّك» مع أن هذه مخلوقة درج الجنة مخلوق، والدرج في الدنيا مخلوق؛ لكن لا تمثل الغيب بالشهادة لا تقسِ الغيب على الشهادة وهي مخلوقة.

فما بالك بالخالق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، ثم سيعطيك مثالًا يدلك على ماذا؟ على ما قلنا ذلك:

وأرواحنا في وحشة من جسومنا.

شوف المثال هذا ما يقوله إلا إنسان قلبه متنجسٌ وروحه مسجونةٌ في جسده، كيف يقول أحد هذا القول في رب العالمين؟

سيأتيك هذا القول يقيس الرب على العرش، فهذا مثل ما ذكرنا أنهم في نهاية المطاف يقعون في الحيرة؛ لأنه حين يقول الإنسان مثل هذا الكلام الذي ستسمعه الآن هذا يدل على أنه مثّل الرب في كماله وعظمته بالمخلوق في عجزه ونقصه.

نعم

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزَم؛ إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يُثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابعٌ لهذا المفهوم.

أَمَّا استواءٌ يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيءٌ من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها.

نقول هذا المثال الأول الذي يدل على ما ذكرنا من أنكم تقيسون الرب -سبحانه وتعالى- على المخلوق، فيقولون: إذا كان الله -عز وجل- فوق العرش يلزم، يلزم على من؟ على الله أن تُلزم الله -عز وجل-.

لغبائك وجهلك وقلة علمك بالله لم تعلم أن الله تعالى لم يستوِ على العرش إلا بعد خلق السماوات والأرض: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو لم يستوِ على العرش من الصفات الفعلية، هو لم يستوِ على العرش أصلًا إلا بعد خلق السماوات والأرض، فهو غنيٌّ عن العرش وعما سواه -سبحانه وتعالى-.

فقال: لو كان الله فوق العرش لزِم؛ إما أن يكون أكبرَ من العرش، أو أصغرَ من العرش، أو مساويًا، وكل ذلك محالٌ.

لاحظت كيف يقيس الخالق على المخلوق؟ الله -سبحانه وتعالى- غنيٌّ عن العرش واستواؤه تعالى ليس كاستواء المخلوق على المخلوق؛ بحيث يكون استواء محتاج إلى ما يستوي إليه، فالله يقيم العرش والسماوات والأرض والجن والإنس والمخلوقات كلها، هو الذي يقيمها -سبحانه وتعالى-.

فلم تفهم من استوائه تعالى عن العرش إلا استواء المخلوق على المخلوق.

فلأجل ذلك: أكبر أصغر أو يُساوي، وذلك محال، هكذا طُرق من لم يقدروا الله -تبارك وتعالى- حق قدره.

قال فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأيِّ جسمٍ على أيِّ جسم كان، وهذا اللازم الذي يلزم به أهل السنة تابعٌ لهذا المفهوم.

إنك الآن قِستَ استِواء الله تعالى على استواء المخلوق المحتاج إلى ما يستوي عليه، أما استواءٌ يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزم منه شيءٌ من هذه اللوازم الباطلة؛ فاستواء الله لا يلزم منه، وهذه مسألة مثل ما نقول أصل الداء الذي وقعوا فيه، قياسهم الخالق في عظمته بالمخلوق في عجزه وافتقاره.

فصاروا يقيسون هذا القياس الدالَّ على جهلهم بالله تعالى؛ لذلك الشيخ يقول: لا يلزم شيءٌ من اللوازم الباطلة، هذا الأمر ضابطٌ لك جميع الصفات: "كل لازمٍ يفيد النقص في نظرهم فهو نقصٌ لا يلزم على صفة الرب -سبحانه وتعالى- وإنما يلزم على صفة المخلوق". سبحانه وبحمده.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر: « أن الله يضعُ في القيامة السماواتِ على إصبعٍ والأَرضين على إصبع والجبالَ والشجرَ على إصبعٍ والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

مخلوقات كلها، يضع -سبحانه وتعالى- هذه المخلوقات على ما سمعت، الحديث هذا في الصحيحين. فما دامت جميع المخلوقات بهذا الحال فكيف يجيء في ذهن عاقل هذه العبارة الجهولة؟ يلزم من وصف الله تعالى هذا اللازم وهو نقصٌ فلا يليق بالله، ما المخلوقات أصلًا حتى تكون شيئًا عند عظمة الله -سبحانه وتعالى-؟

وبالحديث أن الأرض «كخردلة» في أن الأرض في كف الله تعالى كخردلة في كف أحدكم، الخردلة هذه التي لا تكاد تُرى، قطعة صغيرة في يدك. يقول: «الأرض سبحانه في يد الرب -سبحانه وتعالى- كالخردلة في يد أحدكم».

وصار هذا مثل قول الممثل إذا كان للعالم صانعٌ فإما أن يكون جوهرًا أو عرضًا، وكلاهما محال إذ لا يُعقل موجود إلا هذان، أو كقوله إذا كان مستويًا على العرش فهو مماثلٌ لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثّل وكليهما عطّل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

هذا يُقال الممثل الآن، يُقال أنت أيها المعطل قلت هذا الكلام وظننت أنك أتيت بالحجة الدامغة التي لا حجة بعدها، اسمع ماذا يقول زميلك الممثل يقول إذا كان للعالم صانعٌ قد صنعه ووجده فإما أن يكون الصانع هذا جوهرًا؛ الجوهر والعَرَض هذه مما ذم السلف المتكلمين على إدخالهم إياها في صفات الله، ويريدون بالجوهر: حقيقة الشيء وذاته، والعرض: هو الذي لا يبقى؛ مثل الألوان، اللون يقول لا يبقى ونحوها. وإما أن يكون هكذا الرب أو هكذا، وكلاهما محال؛ إذ لا يعقل موجود إلا هذان، نقول: الموجودات إما جواهر وإما أعراض.

ويقول إذا كان مستويًا على العرش؛ هذا يقوله الممثل فهو مماثلٌ لاستواء الإنسان على السرير لماذا؟ أو الفلك أو السفينة يقول: لا نعلم الاستواء إلا هكذا، أرأيت كيف

أنك تقيس الخالق على المخلوق؟ أنت لا تعلم استواءً إلا هكذا في المخلوقين، فهذا استواء المخلوقين.

قال فإن كليهما (يعني المعطل والممثل مثَّل)، وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه، لكن امتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، وهو المعطل نفى أي معنى للاستواء حتى لو المعنى اللائق بالله، وامتاز الثاني وهو الممثل بإثبات استواءٍ من خصائص المخلوقين.

والقول الفاصل وما عليه الأمة الوسط: من أن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوفٌ بأنه بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيءٍ قدير، وأنه سميعٌ بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يُثبت للعلم والقدرة خصائصُ الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يُثبت لفوقيته خصائصُ فوقيةِ المخلوق على المخلوق وملزوماتها.

هذه الأمور كلها تدور حول دعواهم أن هذا دلَّ عليه العقل وأن هذا مقتضى العقل وموجبات العقول، وهذا دالٌّ على ما عندهم من الجهل بالله -عز وجل-.

إذ لا يقول الكلام السابق هذا مَن عظَّم الله -عز وجل- لكن تأمل -يا طالب العلم- موضعين في كتاب الله -عز وجل- تدرك المآل الحقيقي لما يدعيه أهل الباطل من كونهم قد دلّهم عقلهم على مخالفة النصوص.

الأول: قوله تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ فأقروا بأنهم ما كانوا يريدونه من الشبه يريدون به الردَّ على النصوص بعقولهم أن ذلك من الباطل.: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ يعني: إذا تأملت الآن شبهات كفار قريش، مجموعة من شبهات قريش يرون أنها عقلية: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ يعني عقلًا، بعدما أكون ترابًا رميمًا أُبعث من جديد: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

يعني هذا من استبعاد عقلي، وهكذا استبعادهم لأكثر من أمر بطريق العقول في زعمهم، في النار يُقرون بأنهم لو كانوا يسمعون أو يعقلون ما كانوا في ضمن أصحاب السعير: ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ يعني أنهم أبعدُ شيءٍ عن العقل.

الموضع الثاني: قول الله -عز وجل- ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾؛ أي لو أن الله أهلكهم قبل بعثة رسول لقالوا يوم القيامة هلا أرسلت إلينا رسولًا يدعونا إلى طاعتك فنتبعَ حجتك قبل أن نذلَّ بتعذيبك إيانا، فهم لو عُذّبوا قبل إرسال الرسل لاحتجوا وكان لحجتهم وجهٌ.

ولذا قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾؛ فالذي يقطع الحجة ما هو؟ الرسل هم الذين يقطعون الحجة، وهو الذي لو أنهم عُذّبوا بدونه لكان لهم حجة: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾، لأن الرسول هو الذي يقطع الحجة، لذا ذهبت توهماتهم وظنونهم بأن العقل دلَّ على هذا، وهذا مقتضى العقول، وهذه قواطع العقول، كل هذا يذهب تبقى الحجة فيما هو آتٍ من عند الله -عز وجل- ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

ثم قال رحمه الله: القولُ الفاصلُ، يعني في هذا الباب، هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به، يليق بجلاله في عظمته؛ فهو سبحانه غير محتاجٍ العرش حتى تلزم بهذه اللوازم وهو استواءٌ يختص بالله -عز وجل-.

فكما أنه موصوفٌ تعالى بأنه بكل شيءٍ عليمٍ وعلى كل شيءٍ قديرٍ وأنه سميع بصير، ولا يجوز أن يُثبت لعلم الله وقدرة الله -عز وجل- ما يعبرون عنه بصفات الأعراض يعني التي تذهب، التي تكون في علم المخلوق وقدرته.

فكذلك هو تعالى فوق العرش، ولا يُثبتُ لفوقيته تعالى الخصائصُ التي تكون لفوقية المخلوق، ولا يُلزَم الرب بالملزومات التي تُقال على المخلوق.

واعلم أن ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجِب مخالفة الطريقة السلفية أصلًا؛

لكنَّ هذا الموضعَ لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحقِّ، فمن كان في قلبه شبهةٌ وأحب حلها فذلك سهلٌ يسيرٌ.

تقول: ينبغي أن تعلم أن ليس في طريقة السلف بتاتًا مخالفةً، هل قال للعقلِ؟ لا، العقل الصحيح؛ أمَّا عقولٌ هابطة ضعيفة، أنت الآن ماذا تسمع مثل الغرب حين لا تعرف مسألة نتفق عليها؟ نحن والمتكلمون والجميع دائمًا مواضع الإثبات؛ المواضع التي يجتمع عليها الجميع تكون واضحة.

عندنا مثلًا من عظمة دين الله -عز وجل- هذه الأحكام المتعلِّقة بالمرأة منذ أن تكون طفلة، يعلِّق الشرع بذمة والدها رعاية هذه الطفلة، وألاَّ يفضل أبناءه عليها حتى تشبَّ مُرباةً على الأدب والحِشمة، ثم يدفعها في زواج سليم كريم طاهر عفيف يجمع عليه الناس ويعلنه ويُضرب عليه بالدف من قبل النساء؛ حتى تذهب فتكون زوجة طاهرة.

أرأيت هذه الكرامة العظيمة للمرأة! هي في الغرب غاية ابتداء المرأة.

هذا امتهان للمرأة تُحجبون جمالها وتعزلونها وتُربونها تربيةً خاصةً ولا تُطلقون لها حريتها في أن تُعاشر من تشاء، هذا دينٌ متخلفٌ!، عندك متخلفٌ! لأن عقلك منكوسٌ، فلما نُكِسَت فِطَرُكم صرْتُمْ تَنْظُرُونْ إِلَى الْكَمَالِ نَظَرَةً منكوسة، فصار الطُّهر والعفاف، بحيث تُؤخَذ هذه البُنيّة الصغيرة وتُربّى

حتى تُدفع إلى زوج كريم، صار قمةَ التخلف عنده، لأنه ماديٌّ غير متصل بأي وحي، فلسفات عقيمة قديمة متخلفة غاية التخلف من مخلفات الحرب العالمية الأولى ثم الثانية ثم السائمة ولا يدرون الآن أي فلسفة يتجهون إليها.

فينظر إلى طُهر الإسلام على أنه وقاحة، على أنه ضد حقوق الإنسان، نعم في ذهنك نفس الوضع الآن فيما يتعلق بهؤلاء. العقل الصريح السليم البعيد عن الخَلل لا يشكُّ في أن اعتقادَ أهل السنة هو الاعتقاد العظيم اللائق بالله -عز وجل-؛ بأن يُثبَتَ لله ما مدح به نفسه وأثنى به على نفسه وعرّف عباده به فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

اقرأ سورة الرَّعد الصفحة الأولى منها، انظر أين أتت صفة الاستواء، ما قبلها وما بعدها، كله مدحٌ من أول السورة، كله مدحٌ في الرب -سبحانه وتعالى-، ومن ضمن ذلك: استواؤه على العرش سبحانه، فيقر المتكلمون بما قبل الاستواء وما بعده في سورة الرعد كاملًا، ويقول كله صفات كمال. إذا جاءت صفة الاستواء قالوا لا هذه ليست صفات كمال، ما الذي جعلها ليست صفات كمال والرب يتمدح بما قبلها وما بعدها؟

كلها صفات كمال لائقة بالله -عز وجل- لكن عقلك أنت منكوسٌ، مثل ما قلنا في المثال مع الرجل الغربي الذي ينظر إلى الطُّهر والعفاف على أنه تخلفٌ وضد حقوق الإنسان.

إذًا ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح، وهذا أيضًا قيدٌ تأتيني بحديث موضوع فيما لا يليق بالله هذا مردودٌ على قائله، حديث الثلجيِّ وأشكاله من الجهمية الذي كان يكذِب الحديث في الصفات؛ ليعيب بها أهل السنة، هو الذي كذبه -قاتله الله- محمد بن شجاع الثلجي معروفٌ كذابٌ من الكذابين.

فيقول لك هذا ورد عند الثلجي، الثلجيُّ لا يساوي عند المحدثين شيئًا، كذاب، فيقول: رواه رواه لا يساوي شيئًا، الأحاديث الموضوعة الباطلة بعض الأحيان يضعها

زنديق، فلا تُلزمني أنا بالأحاديث الموضوعة؛ ولكن هات لي نقلًا صحيحًا وعقلًا صريحًا؛ عقل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، عقول الصحابة رضي الله عنهم أعقل مَن خلق الله بعد الأنبياء.

لا تذهب إلي عمرو بن عُبيد وواصل ستأتينا مسألة، أُعطيك مثالًا يسيرًا ولو أن هذا يخفف عليكم شوي، عندهم شيءٌ يسمونه الأحوال، المتكلمون عندهم الحال أحوال أبي هاشم قالوا ثلاثٌ لا حقيقة لها طفرة النظام وكسب الأشعري وأحوال أبي هاشم الجُبائي وما الحال؟ تعرفون ما هو؟ الحال لا هو بموجود ولا هو بمعدوم، ولا هو بمعلوم ولا هو بمجهول.

طب إذا كان غير معلوم كيف عرفته؟ هو غير معلوم وغير مجهول يقول في نفس الوقت: لا هو بمعدوم ولا هو بموجود، طب هذا الكلام يمكن يقول إنسان يسخر قال في الصفات: هي صفات الله -سبحانه وتعالى-.

ثم يقول عقل أبي هاشم الجبائي: هذا ما له مثيل، هذا أضعف الناس عقلًا، حين يقول إنه اكتشف شيئًا هو الأحوال تأثر به مثل الباقلاني وغيره من الأشاعرة.

لا هو بمعدوم ولا هو بموجود، ولا هو بمعلوم يُعلم ويُعرف ولا هو بمجهول، ومع ذلك اكتشفه الجبائي مع أنه مجهول ومع أنه معدوم وسماه بالأحوال وأدخله في الصفات، وسموها الأحوال.

ولهذا قالوا ثلاثٌ لا حقيقة لها، أحوال أبي هاشم كأن إنسانًا غير عاقل.

فهؤلاء أبعدُ الناس عن العقل، فلا تأتي تُقارن عقل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرين والأنصار بهؤلاء الحثالة، هؤلاء الذين زكّى الله تعالى علمهم وعقولهم

ودينهم من الصحابة رضي الله عنهم، لا يقترب منهم أحد من هؤلاء الذين تأثروا بمن ذكرنا من مخلفات الفلسفة والصابئة وأضرابهم.

لأجل ذلك ذكر -رحمه الله تعالى- أنه ليس هناك -ولله الحمد- ما يمكن أن يُقدح به في مذهب السلف، طيب في الشبهات، يقول: لله الحمد من كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهلٌ يسيرٌ منه عليه، على مثل شيخ الإسلام.

يقول: سهلٌ ويسيرٌ لأنه -رحمه الله تعالى- تفرّغ للردود على شُبهاتهم فألف كتابه العظيم، له مرجع لكل الناس الآن في الرد على الشيعة: منهاج السنة لابن تيمية.

من أعظم ما يكون في الردود وهو أشد عليهم -سبحان الله العظيم- لا يكرهون أكثر من اثنين: عمر بن الخطاب وابن تيمية، بغضاء شديدة جدًّا لهما، ولا تجد العاميَّ منهم الذي لا يعرف شيئًا كله من ابن تيمية ولم يقرأ كتابًا لابن تيمية، هدم في هذا الكتاب كل مقالات الرافضة "في نقض المنطق" المناطقة الذين يرون أنهم بلغوا الكمال في المنطق وأن المنطق..، هدمه عليهم -رحمه الله تعالى-في الرد على المنطقيين.

فيما يتعلق بالأشعرية رد عليهم في أكثر من كتاب، وعلى المعتزلة في مثل درء التعارض مثل التسعينية وغيرها، فالشبهة من حيث هي الرد عليها يسير بإذن الله تعالى لمن آتاه الله تعالى بسطةً بالعلم، وقد يوجد الحقيقة من يكون عنده قدرة في الرد على شبهات المتكلمين، وإن لم يكن ضليعًا في الرد على شبهات الرافضة.

وقد يوجَد من لديه قوةٌ في الرد على شبهات المتكلمين والرافضة، لكن ليس عنده قدرة على الرد على شبهات الملحدين المعاصرين، والمسلمون يدٌ واحدةٌ يتعاونون على البر والتقوى؛ فإذا تنوعت الشبهات فالعلماء متنوعون أيضًا.

فهذا عنده دراية بالردود على الفلسفة الحديثة، وذاك عنده دراية بالردود على المتكلمين القدامى، وذاك عنده تخصص بالرد على الرافضة وأضرابهم، ويندر -الحقيقة-

يقلُّ أن يوجد من يكون مثل شيخ الإسلام وأمثاله ممن يردون ردودًا على جميع الطوائف، وإن كان يوجد من أهل العلم من يكون كذا.

والذي يدلُّك على أن الشبهات هذه يسيرٌ أمرُها: رجوع عدد من المبتدعة على يد عدد من علماء السنة، فعندك مثلًا الشافعي -رحمه الله تعالى-لما قدِم بغداد كان صاحبه أبو ثور والكرابيسي من المتكلمين فقال أبو ثور: خالد بن يزيد صار من فقهاء الشافعية ومن أصحاب الشافعي، قدم رجلٌ من أهل الحديث، تعالى نسخر به، أرادوا يسألونه أسئلة ويضحكون عليه، يقول فلم يزل يقول قال الله قال رسول الله حتى أظلم عليه البيت وتركنا بدعتنا.

وهكذا رجوع كثير من المنصفين لما قرأوا كتب الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وخاصة كتاب "التوحيد" و"كشف الشبهات"، كشف الشبهات مناقشة لمن عنده شبهات في الشرك.

كتاب التوحيد الذي يطلع عليه يعرف معني كون محمد بن عبد الوهاب من المحدثين، وبضاعة المحدثين نادرة خاصة في وقته -رحمه الله تعالى- الرجل عنده إلمام بهذه الآثار والأحاديث والنصوص فيعجبون، حتى أن بعض خصوم الشيخ أثنى عليه في كتاب التوحيد؛ لأنه نادر المثيل وتراجع عددٌ من خصوم الشيخ بقراءتهم كتبه بعد موته بسنين -رحمه الله تعالى- وتراجع أناس في وقته -رحمه الله-.

هناك عددٌ ممن تراجعوا عن مقالاتهم بالمناقشة ولا سيما الشيخ أحمد بن عيسى -رحمة الله تعالى عليه- هذا شيخ الشيخ أبي بكر خُوقِير عالم مكة الكبير قبل نحو مئة سنة وأكثر شوي، رجع ورجع عدد من المكيين على يد الشيخ أحمد بن عيسى ومنهم الشيخ عبد القادر التلمساني -رحمه الله تعالى- تراجع بعد مناقشة مدة نصف شهر مع الشيخ أحمد بن عيسى.

الشيخ عبد الله بن حِميد -رحمه الله تعالى- من أعجب الناس في المناظرةِ، وله مناظرات دقيقة جدًّا -رحمه الله تعالى-تراجع على إثرها بعضُ أهل البدع، ومنهم أحد الرافضة في "قُم" وكان حج وناظر الشيخ في المسجد الحرام مدة ثلاثة أيام بعدها ترك بدعته أمام الحُجاج، كانت المناظرة ثلاثة أيام تنتهي ثم يأتون من الغد حتى تراجع في اليوم الثالث.

أما المشهور بتراجع كثير من الناس على يديه فهو شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله تعالى عليه- ومن أشهر من تراجع على يديه: ابن القيم -رحمه الله تعالى- أين ذكر ابن القيم تراجعه؟

يا قوم والله العظيم نصيحة *** من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله (نفس منهج المتكلمين والمتصوفة)

جربت هذا كله ووقعت في *** تلك الشباك وكنت ذا طيران

حتى أتاح لي الإله بفضله *** من ليس تجزيه يدي ولساني

حبرٌ أتى من أرض حرانَ فيا *** أهلا بمن جاء من حران

فالله يجزيه الذي هو أهله *** من جنة المأوى مع الرضوان

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم *** حتى أراني مطلع الإيمان

ابن القيم ضخم جدًّا جدًّا، من أكبر علماء الأمة، رجع عليه شيخ الإسلام، وهكذا عدد من الذين كانوا على منهج المتصوفة وعلى منهج المتكلمين رجعوا على يده -رحمه الله-

.

لهذا يقول الشبهة حلوة يسير سهلة بإذن الله تعالى؛ لأن الشبهة مجرد أمر يعرض عروضًا فيزول بإذن الله تعالى بقواطع الأدلة؛ ولهذا ماذا سمى ابن القيم كتابه "الصواعق" سماه بالصواعق، الصواعق مثال على الجهمية والمعطلة؛ لأن النصوص هذه مثل الصواعق في وضوحها وقوتها وبيانها للحجة.

فمن حيث الشبهة ليس هناك شبهة يُقال ليس لها حل معاذ الله، لهذا قال: حلها يسير لكن ليس هذا هو موضع الجواب عنها، لأنها فتيا، الفتوى الحموية فتيا محدودة، أما مناقشة الشبهات والرد فله موضعٌ آخر في مثل الكتب التي ذكرنا، وله -رحمه الله تعالى- مثل ما ذكرنا هذه الكتب: "درء التعارض" و"التسعينية"، "منهاج السنة" حتى النصارى كتابه "الجواب الصحيح" في جوابه على النصارى كتابٌ من أعظم وأنفس الكتب.

وهكذا مجموعة من كتبه -رحمه الله تعالى- في الردود على عدد من المتصوفة وغيرهم في كتاب "الاستقامة" في الردِّ على مناقشة القشيري، في كتابه الرسالة في التصوّف وأمثاله، فله مصنفات في عدة أبواب ردَّ فيها على أهل البدع -رحمه الله تعالى-.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلفِ الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمرٍ مَريج؛ فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يُحيلها وأنه مضطرٌّ فيها إلى التأويل ومن يحيل أن لله علمًا وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول إن العقل أحال ذلك فاضطَر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشْر الأجساد والأكل والشرب الحقيقيَّ في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطرٌّ إلى التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ويكفيك دليلًا على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدةٌ مستمرةٌ فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله

عن الإمام مالك بن أنس؛ حيث قال: أَوَ كُلَّمَا جَاءَ رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لِجَدلِ هؤلاءِ.

ذكر -رحمه الله تعالى- هذه المسألة الآن: يقول أنتم الآن تقولون يحيله العقل هل أنتم في العقل على ميزان واحد وعلى منهج واحد بحيث نناظر نحن أصحاب النصوص نناظر جهة واحدة نتحدث معها، أم أنتم إذا رجعنا إليكم وإذا بكم فيما بينكم مختلفون في نفس العقل؟ قال: ثم المخالفون الكتاب والسنة من المتأولين في أمرٍ مريج مختلِطٍ.

من ينكر الرؤيا؛ رؤية الله -عز وجل- في القيامة يقول العقل يحيلها يقول إن عقلي يقول إن رؤية الله مستحيلة، وأنا مضطر إلى تأويلها؛ لأن العقل يحيلها، من يحيل أن لله علمًا وقدرة يقول أنا أيضًا مضطرٌّ إلى ردِّ ذلك عقلًا، نفس الشيء من يقول في كلام الله -عز وجل- مقالته الخبيثة ويزعم أنه مخلوق يقول: العقل دلني على ذلك.

حتى الفلاسفة الذين ينكرون أن الأجسادَ تُحشر وأن في الجنة أكلًا وشربًا حقيقيًّا يقول: العقل دلني على ذلك وأنا مضطر لتأويله، والذي يقول الله ليس فوق العرش يقول عقلي دلني على ذلك لأن إثبات أن الله فوق العرش هذا أمرٌ مُحالٌ.

طيب أنتم يا من تقولون بهذا في الصفات تقرُّون الفلاسفة في أن حشر أجساد يحيله العقل؟ قال لا العقل يدل عليه.

طيب الفيلسوف هو يقول أنا عندي دلائلي العقلية تدل على امتناع أن تُحشر الأجساد وأن يكون هناك جنة ونار، يقول لا، كذب عقله باطلٌ، طيب هو يقول لكم أيضًا عقلكم باطلٌ، فالآن نرجع إلى عقلك يا معتزلي أو أنت يا جهمي أو أنت يا فيلسوف أو أنت يا أشعري أو أنت يا كلابي أو من نرجع إليه؟، ليس هذا فحسب داخل الفرقة الواحدة، داخل الفرقة الواحدة نجد أنكم تختلفون اختلافًا عظيمًا فيما بينكم وأنتم فرقة واحدة اسمها

واحد، فاتجاه مثل ما ذكرنا اتجاهات الأشعرية ثلاثة، اتجاه الأشعرية الكلابية مخالف لاتجاه الأشعرية المعتزلية، اتجاه الاشعرية المعتزلية مخالف لاتجاه الأشعرية المتفلسفة.

هذا يقول العقل يحيل هذا ويبدأ على ذلك يقول لا يحيله الأقل، لهذا يقول الشيخ يكفيك دليلًا على فساد قولهم أنه ليس هنا قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، منهم من يزعم أن العقل جوّز هذا أو أوجبه، وذاك يدّعي أن العقل أحاله، إذا قيل هذا أحاله العقل فمعناه أنه ممتنعٌ، وإذا قيل أوجبه العقل فإنه واجب، وإذا قيل إنه جائزٌ فإنه ممكن، أجيب لكم في القول الواحد هذا يقول ممتنع وهذا يقول جائز وهذا يقول واجب.

طيب أنا اتبعك أنت أو هذا أو هذا، كل واحد منكم له طريقة، ذكرنا لك الخلاف الذي بين أبي هاشم الجبائي وابن أبي علي والذي وقع فيه من المعتزلة من تكفيرٍ بعضهم بعضًا كله لأجل ما يسمونه بالقواطع العقلية.

لذا قال ليت شعري، ليت شعري هذه الكلمة تُقال عند التعجب، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ يعني مثلًا بقول الأشاعرة أو بقول الفلاسفة أو بقول المعتزلة أو بقول الجهمية؟ كل واحد يقول عقلي هو الصواب.

فرضي الله عن الإمام مالك -رحمه الله-، لأن الإمام مالك -رحمه الله تعالى- تبِعه رجل فقال يا أبا عبدالله تعالى أناظرك قال: فإن غلبتني؟ قال تتبعني، قال: فإن جاء رجلٌ فغلبنا؟ قال نتبعه، قال بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بدينٍ واحدٍ وأراك تتنقل، لديك استعداد هذا اليوم يكون لك قول، وغدًا يكون لك قول.

وقال -رحمه الله تعالى ورضي عنه- أو كلما جاءنا رجلٌ أجدَلُ، ما هو بأعقل ولا بأعلم لا، أجدل: عنده قدرة على الجدال وأنتم تعرفون الجدال ممكن يكون بالباطل ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ هو عنده جدال؛ لأنه قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبغض الرجل الألد الخصم» صاحب الخصومات واللدد لكن ما عنده حجة سليمة لكن صاحب جدال.

أو كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم واليقين المؤكد من عند الله؛ لجدلِ هؤلاء ما ينتهي جدلهم الله المستعان.

وكل من هؤلاء مخصومٌ بما خُصِم به الآخر، وهو من وجوه؛ أحدها: بيان أن العقلَ لا يُحيل ذلك.

العقل الصحيح أما الفاسد فهو الذي أوقعهم في هذه الضلالات يقول كل واحد من هؤلاء مخصوم إلا تخصمه بالآخر؛ ولهذا من طرق الرد على هؤلاء أن تجد ردود المعتزلة مثلًا على الأشعرية تجد فيها ردودًا جيدة سليمة وتجد ردودًا للأشعرية على المعتزلة سليمة، فترد على هذا بما يرد وليس مقصودك تنطلق من ردودك كأن ردود أفعال لا، تجد عند هؤلاء نوعًا من الرد وعند هؤلاء نوعًا من الرد، وماذا يقول ابن القيم:

واشغلهم عند الجدال ببعضهم ... بعضًا فذاك الحزم للفرسان

تجد في ردودهم على بعضهم ما يمكن أن يُستفاد منه فيقل صاحبك هذا المنطلق من منطلق العقل الذي انطلقت منه أنت أسقط قولك، وأنت أسقط قوله، فالعقل الصحيح لا يمكن أن يدل على باطل، فلأجل ذلك تجد هذه المخاصمات الذي يقول إن العقل يعني العقل الصحيح لا يحيل ذلك لا يحيل إثبات الصفات ويقول كما يقول إنها أمرٌ مستحيلٌ.

الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل، الثالث: النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

أنت تقول ما تحتمل التأويل، طيب اسمع الآن علو الله -عز وجل- دل عليه كما قلنا واحد وعشرون نوعًا كل نوع تحتها أفراد أدلة تبلغ أكثر من ألف دليل، من ضمنها التصريح بالفوقية: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾. التصريح بنزول الشيء من عنده تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾. وعروج الأشياء إليه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. من ضمنها مثل ما ذكرنا عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه، وتفاصيل أنه رُفع إلى مستوًى صلى الله عليه وسلم سمع فيه صريف الأقلام، ثم إن الله خاطبه كفاحًا، إلى غير ذلك من الأدلة.

يقول: كل هذا يؤول، تؤوَّل هذه كلها، وهي في القرآن وفي السنة صريحة جليَّة مثل ما ذكرنا ذلك في موضوع سابق.

فالنصوص واردة لا تحتمل التأويل؛ لأن هذا تحريف، فإن قبلت أن تُحرَّف هذه النصوص على جلائها فتحت الباب لتحريف الفلاسفة كما سيأتي، وتحريف الباطنية، فهذه النصوص لا تحتمل التأويل، بل هي تدل على إثبات صفات الكمال لله -عز وجل- لكن مثل ما قلنا: كما يليق بالله -سبحانه وتعالى- هي تليق برب العالمين سبحانه، فأزلْ من ذهنك دنَس التشبيه الذي وقعت به وأنت معطلٌ فلا تقسِ الله على المخلوق، فعند ذلك تفهم النصوص وتُثبت كما أثبت الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

الثالث: أن عامة هذه الأمور قد عُلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالاضطرار، كما عُلم أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامِطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاء به النبوات.

إذا قلتم الآن هذه النصوص متعلقةٌ بالصفات تُأوَّل بالأمور هذه من الصفات قد عُلم بالاضطرار من دين الله -عز وجل- أن النبي صلى الله عليه وسلم أثبتَها في أحاديثه، وأن القرآن العظيم أثبتها ومضى على هذا السلفُ، فهي مسألة معلومة بالاضطرار لا تحتاج إلى تعلم، يعلمها الإنسان بلا تعلم، المسلم يعرفها بلا تعلم: أن ربه تعالى في السماء وأنه يدعوه من أسفل إلى فوق يرفع يديه إلى السماء وهذا أمر مستقرٌّ في الفطر إلى آخره.

تمامًا مثل ما أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالصلوات الخمس وبصوم رمضان، إذا أحلتم تلك، إذا قلتم إن التأويل وارد على تلك الصفات الإلهية مع وضوحها وجلائها انفتح للباطنية، (الباطنية: مجموعة فِرق تزعم أن ظاهر القرآن الذي يقرأه الناس ليس هو المراد ولكن له باطنٌ يعلمونه هم، فيقولون مثلًا إن الصلوات الخمس ليست هذه الصلوات التي يكدح الناس فيها ظهر وعصر ومغرب وعشاء وفجر لا، الصلوات الخمس خمسة أشخاص علي وفاطمة وحسين وحسن ومحسن، إذا واليتهم فأنت مصلٍّ حتى لو لم تصلِّ، طب صوم رمضان قال ما في شيء اسمه الشهر التاسع الهجري يعني تمتنع عن الأكل والشرب وتتعب نفسك، الصوم هو الإمساك: فأنت تُمسك عن إفشاء سر الطائفة الباطنية، فإذا أمسكت وجاء رمضان فكلْ واشربْ). قطعًا هذا معلوم باضطرار يسمونه ردّة. الباطنية لا يوجد أحد من علماء الأمة يقول إن مذهبهم من مذاهب المسلمين، فهم بإجماع المسلمين كفار؛ يتفق معك المعتزلي وحتى الشيعي، وكل أحد على أن هذا كفر وخروج من الملة، ينكر أصل الصلوات.

طيب إذا قيل لهم لماذا تؤولون الصلوات؟ قال أليس هؤلاء يؤولون النصوص الطريق الذي أولوا منه علو الله نحن أولنا منه الصلوات، فهم غيّروا المعاني وقالوا: هذه المعاني ليست مرادة المعاني الظاهرة من النصوص، والألفاظ ليست مرادة نحن نقول نفس الشيء بالنسبة للصلاة قطعًا فتحوا الباب على الفواحش على المحرمات، ما في حرام، ما في واجب -عياذًا بالله- بذلك ينهار الدين كاملًا.

الجميع يتفق، جميع الفرق تتفق ضد الباطنية، ماذا يقول الباطنية؟ كما سيأتي وتقول الفلاسفة نحن استعملنا نفس الطريقة التي استعملتموها وهي التأويل، أنتم تقولون إن التأويل معناه: تغيير اللفظ هذا عن ظاهره، نحن غيرنا الظاهر، كما غيرت الصلوات، أنت غيرت صفة من صفات الرب، انظر السلف ماذا يقولون؟، أن الذي عملتُه أسهل من الذي عملتَه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فكما أن تأويلات الباطنية في العمليات، العمليات: هي التي تُعمل مثل الصلاة، الحج ونحوها، باطلة فتأويل المتكلمين للعِلميات، وهي: الاعتقادات، باطل أيضًا؛ وذلك لأنها تخالف جميعًا المعلوم من الدين بالضرورة في هذه النصوص.

نعم

الرابع أن يُبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجَز العقل عن درء تفصيله وإنما عقَلَه مجملًا، إلى غير ذلك من الوجوه على أن الأساطين منها.

هذا الوجه الرابع أنتم تقولون إن عقل الصريح يدل على تأويل النصوص لا نقلبها عليكم أصلًا والله العقول الصريحة السليمة تعلم أن هذه الصفات غاية في مدح الله -سبحانه وتعالى-.،

وأن مقالاتكم هذه تؤدي إلى سلب الله تعالى صفات الكمال، وتأمل هذه الآية، إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذمَّ الأصنام ويبين لأبيه أنها لا تستحق العبادة ماذا فعل؟ نفى عنها صفات الكمال: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، فاستخدم النفى لإثبات عدم استحقاقها العبادة.

كلمة عظيمة للإمام ابن خزيمة -رحمه الله- في التوحيد يقول: أليس المعلوم يا ذوي الحِجا أن إبراهيم لا يقول لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ إلا

لأن ربَّ إبراهيم ما؟ أكمِل. يسمع ويبصر، مسألة عقلية محضة. وإلا لأوشك أن يقول أبو إبراهيم فربك إبراهيم لا يسمع ولا يبصر، ما الفرق بين ربي وربك؟ هذا دليلٌ عقليٌّ.

ولهذا رب العالمين حين عبد بنو إسرائيل العجل: بم بين سخافة عقولهم؟ بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

تعبد ما لا يتكلم، فدلّ على أن نفي الكلام نفيٌ للكمال، وأنه يُسقط به استحقاق ما سوى الله العبادة؛ لأنه منفيٌ عنه الكمال؛ إذ صفات الرب -عز وجل- هذه صفة كمال، فإذا أسقطت صفة الكمال فيلزم منها عدم استحقاق المعبودات هذه العبادة، نعم يُنفى عنها صفات الكمال؛

لهذا ماذا قال تعالى؟ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ فبيّن -سبحانه وتعالى- عدم استحقاقهم للعبادة؛ لأنها تُخلق ولا تَخْلق فينقلب كلام المعتزلة عليهم في قولهم بخلق القرآن لأنه لو فُتح هذا الباب، معنى ذلك أن الله تعالى أعوذ بالله من مقالاتهم.

ولهذا لماذا صمد السلف لمقولة المعتزلة؟ لأنها كفرٌ محضٌ، لو قيل به لطُعن استحقاق الرب للعبادة في سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ فإذا قيل صفات الله -عز وجل- مخلوقة توجهت الحجة -معاذ الله- على رب العالمين.، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أما الله تعالى فهو يخلق ولا يُخلق -سبحانه وتعالى- ولهذا وقف السلف.

وكذلك قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ قبلها ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، كل هذه أدلة عقلية يا أخوة كلها أدلة عقلية.

فيقال: الرابع أن يبين أن العقل الصريح السليم البعيد عن دناساتكم يوافق ما جاءت به النصوص؛ لكن انتبه ما جاءت به النصوص من التفصيل يعجز العقل عن درْكِ تفصيله،

ما يستطيع العقل أن يعرف ما الذي يليق بالله -عز وجل- على سبيل التفصيل، لكن يعلم أن صفات الكمال لائقةٌ بالله وأن ما لا يليق بالله -سبحانه وتعالى- مثلما نفى رب العالمين عن نفسه، نفى عن نفسه السِّنة والتعب والصاحبة والولد -سبحانه وتعالى- فنفاها لأنها لا تليق.

ولهذا انظر في حديث احرص على حفظه: إن الله لا ينام ولا.. لاحظت هذه المقالة ولا ينبغي هذا يبينه الشرع، ما نجلس ننتظر المعتزلة يبين ما الذي ينبغي لله والذي لا ينبغي، الذي لا ينبغي تبينه النصوص إن الله لا ينام ثم قال: ولا ينبغي يعني لا يليق أن ينام الله. إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام؛ فالذي لا ينبغي، ما ننتظر المعتزلة تبينه لنا، يبين الله ما الذي لا ينبغي، هذا تلاحظ النفي في النصوص، نفى الله الظلم والتعب ونفى النوم والسِّنَة، فالنفى: هو الذي لا يليق. فأتى هؤلاء فنفوا عن الله ما نفى عن نفسه، ثم اتبعوا به ما أثبت لنفسه فنفوه وهو يثبته لنفسه.

لذا قال السلف ننفي ما نفى الله ونُثبت ما أثبت الله، والله إنها من أوضح ما يكون حتى للطفل الصغير، أثبتَ الله أثبتُّ نفى الله نفيتُ، أما أن تأتي إلى ما أثبت الله فتنفيه وتقول لا يليق لو كان لا يليق لنفاه الله تعالى عن نفسه «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامَ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ ينَامَ».

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ تعالى -عز وجل- يترفَّع -سبحانه- عن أن يكون هذا منه، فالذي لا يليق بالله بينته النصوص من قال ما الذي لا يليق بالله ما بينته النصوص، الذي لا يليق بالله هو الذي نفاه الله ونفاه الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي أثبته الله وأثبته الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يليق، فتأتي إلى الذي أثبته الله ورسوله وتقول لا يليق؟! هذا معنى الإلحاد كما قلنا، الإلحاد: بأن يُمال -عياذًا بالله- يُمال عن المنهج السوي الصحيح.

فيُقال العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله وإنما عقله وفهمه مجملًا يفهمه مجملًا؛ لكن

تأتي النصوص لتفصِّل، فهل يجيء الله يوم القيامة؟ نقول: إن جاءت به النصوص قبلنا، فجاءت به النصوص علمنا أنه كمال، نعم كمال لأن يأتي ليفصل القضاء بين العباد سبحانه، ولا يفصل قضاء بين العباد إلا رب العالمين -سبحانه وبحمده-، فهو أمرٌ مرتبطٌ به وهو سريع الحساب -عز اسمه-.

على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية.

الأساطين والفحول الكبار من المتكلمين يقولون نقرُّ إقرارًا بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين، الذي يُقطع به قطعًا في عامة؛ يعني في عموم المطالب الإلهية المرتبطة بالرب.

إذًا لماذا أقلقتم المسلمين بموضوع ما تسمونه بالعقل إذا كان لا يوصلكم إلى اليقين؟، فعندكم النصوص التي توصلكم إلى اليقين، لكنكم عزلتموها عن الهداية وعن الدلالة، واعترفتم بأن العقول لا توصل في عامة المطالب الإلهية إلى اليقين، ما معنى ذلك؟ تعرف ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أنه لا فيه يقين لا في النصوص ولا في العقول، وهذا يؤدي إلى ماذا؟ إلى الحيرة التي يقعون فيها في نهاية المطاف؛ لأنه قطع على نفسه الهداية من النصوص واعترف بأن العقول في عامة المطالب الإلهية لا تُوصِل إلى اليقين، وإذا لم يوجد اليقين ماذا يحدث؟ الشك، ويحدث القلق والاضطراب، وهذا الذي يقعون فيه، وتقدم الكلام عليه، فبعد كل هذا التعب الفحول منكم والأساطين الكبار يُقرون بأن العقل لا يُوصِل إلى اليقين في المطالب الإلهية.

ولهم كلمات مثل الآمدي وغيره يقول: ومن الذي قال قولًا في المسائل الإلهية يُؤبه بها أصلًا أو يُحفل به؟! ثم يضعون الكتاب بالمجلدات، أُلف هذه المسائل، لماذا تؤلفون هذه الكتب؟

ولهذا ماذا قيل؟

لَوْلَا التَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا لَمَا وُضِعَتْ*** كُتْبُ التَّنَاظُرِ لَا الْمُغْنِي وَلَا الْعَمَدُ

يُحَلِّلُونَ بِزَعْمٍ مِنْهُمُ عُقَدًا*** وَبِالَّذِي وَضَعُوهُ زَادَتِ الْعُقَدُ

هم الذين عقدوا المسائل يقولون: نحن نحل العقد:

لَوْلَا التَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا لَمَا وُضِعَتْ*** كُتْبُ التَّنَاظُرِ لَا الْمُغْنِي وَلَا الْعَمَدُ

المغني: لعبد الجبار، والعمد: لعبد الجبار، وفي أيضًا كتاب "المغني والعُمد" للأشعري أبي الحسن .

يقول الذي حمل على هذا هو التنافس في الدنيا يحللون بزعم منهم وعقدًا يقولون: نحلل هذه العقد والأمور العسرة: وبالذي وضعوا قد زادت العقد.

نعم.

وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوَّات على ما هو عليه.

إذا خلاص ما دمت تعترف وأنت من الأساطين والفحول الكبار؛ لأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية تنقه اذا من النصوص الواجب تلقي ذلك من النبوات لأن النبي عليه الصلاة والسلام، لاحظ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾.

هنا اليقين، هنا اليقين، خذ اليقين من هذا، أما أن تستبدله بما سميته بالعقل ثم تقول: العقل لا يوصل إلى اليقين فأنت الآن قطعت على نفسك الاستفادة من هذه النصوص، وفي نفس الوقت أقررت بأن ما سميته عقلًا وهو لا يوصل إلى اليقين إذًا فعُد إلى النصوص التي جاءت في النبوات وتلقى منها وتعرف بذلك وتصل بذلك إلى اليقين.

نعم.

ومن المعلوم للمؤمنين أن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾، وأنه بيَّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث، كما جمع بينهما في قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وقد بيَّن الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مرادَه، ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بذلك من غيره وأنصح للأمة من غيره وأفصح من غيره عبارة وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، وقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمالُ العلم والقُدرة والإرادة، ومعلومٌ أن المتكلم والفاعل إذا كُمل علمه وقدرته وإرادته كُمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه وإما من عجزه عن بيان علمه وإما لعدم إرادته البيان.

هذا تقدم كثير منه ذكرنا عليه الآية في شأن نوح عليه الصلاة والسلام ﴿أُبلغكم رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ فمضى يعني ما يُبَيِّنه سابقًا، ثم قال: معلوم أن المتكلم أي إنسان يتكلم أو الفاعل الذي يريد أن يفعل أمرًا إذا اكتمل علمه، وقدرته وإرادته، فعنده علم بالأمر، وعنده قدرة وعنده إرادة، إذا وُجدت هذه الثلاثة فإنه يتحقق مراده؛ لأنه الذي يمنعه من تحقيق مراده إما عدم علمه وقد يكون قادرًا ومريدًا، أو أن يكون المانع له عجزه فيقول أنا عندي علم وعندي إرادة لكن أنا عاجزٌ، أو أن تكمل قدرته ويكمل علمه لكن ليس عنده همه ولا إرادة، لكن إذا كمل العلم والقدرة والإرادة تحقق المراد، وذلك في النبي صلى الله عليه وسلم متحققٌ على أكمل ما يكون عليه الصلاة والسلام.

نعم.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين والغاية في القدرة على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامَّة والإرادة الجازِمة يجب وجودُ المراد، فعُلم قطعًا أنما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مرادُه من البيان، وما أراده من البيان هو مطابقٌ لعلمه، وعلمُه بذلك هو أكمل العلوم، فكلُّ من ظن أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم أعلمُ بهذه منه أو أكمل بيانًا منه أو احرصُ على هدي الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين.

لا شك لو اعتقد أحد أن هناك من هو أكمل علمًا من النبي صلى الله عليه وسلم أو أكمل نصحًا عليه الصلاة والسلام أو أكمل في البيان من النبي صلى الله عليه وسلم لكان من أهل الإلحاد.

والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخيل، وأهل التأويل، وأهل التَّجهيل.

حاول الآن أن تضبط هذا الموضع، لأنه يعطيك جميع الطوائف كل الطوائف من الفلاسفة والمتكلمين ومن دخل في سلك هؤلاء أو هؤلاء من المتصوِّفة، فهذا تقسيمٌ للفرق كلها بدون استثناء في هذا الباب، وهم ثلاث طوائف: أهل تخييل، وأهل تأويل، وأهل تجهيل.

نعم

فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومَن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف فإنهم يقولون إنما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق؛ لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحقَّ ولا هدى به الخلق ولا أوضح الحقائق.

سنحتاج إلى شرح هذه؛ لأنها فيها شيء من الكلام على الفِرق وغيرها. يقول: الطائفة الأولى: أهل التخييل من الخيال، خيَّل كذا تخييلًا يعني جعل أمرًا لا حقيقة له مجرد أمرٍ خيالي عدَّه حقيقةً، يقول هؤلاء الطائفة أهل التخييل وهم الفلاسفة -قاتلهم الله- وهم أصحاب المقالة، طبعًا مقالتهم شاطحة، لكن حاصلَها أن ما هنالك حقائق لا متعلقة بالملائكة ولا باليوم الآخر ولا أن هناك وحيًا ولا أن هناك رسالة، ولكنها مجرد خيالات، عندهم يسمونها بالعقل الفعَّال، قالوا: يفيض على مخيِّلة النبي والنبي يخيل -عياذًا بالله- هذه الأشياء وليس لها حقائق.

وبالتالي -عياذًا بالله- تكون دعوة الرسول ماذا؟ ما هناك حقائق لها، طيب الحقائق عند مَن؟ عند الفلاسفة:

والفيلسوف وذا الرسول لديهم *** متفاوتان وما هما عِدلان

أما الرسول ففيلسوف عوامهم العامة لا يفهمون.

أما الرسول ففيلسوف عوامهم *** والفيلسوف نبي ذي البرهان

طيب الحق عند مَن؟

والحق عندهم ففيما قاله *** أتباع صاحب منطق اليونان

والحقائق عند الفلاسفة، أما الرسل تقول فيه جنة ونار وحور وأنهار، ولماذا يقول لنا؟!

لن يرتدعوا عن القبائح إلا إذ خُيّل لهم هذه الأمور وكذا، حتى يكفوا عن قتل الناس والسرقة يقول فيه جنة أريد الدخول لها وإن خالفت فيه نار مصطلية وفيه قبر وفيه عذاب يقول: ما هي حقائق كل هذه خيالات.

هذا قطعًا بإجماع المسلمين إلحاد وكفر وزندقة وخروج من الملة؛ لأن معنى ذلك أن ما هناك شيء من الحقائق هذه، وإذا قلنا لك مذهب الفلاسفة كثير من الناس لا يعرفون؛ لكن هل هذا مذهب الفلاسفة؟ يقول: ومن سلك سبيله من متكلم ومتصوف، هناك منهم من المتكلمين من قال هذا ولكن ما تسمع ما قال جئناه بحديث الجارية: «أين الله؟ في السماء. من أنا؟ ...قال رسول الله: أعتقها فإنها مؤمنة»، قال: خاطبها على قدر عقلها، انظر كيف؟ هذا من آثار هذا المذهب الخبيث يقول اعتقها فإنها مؤمنة على قدر عقلها ويقرر بذلك أن الله في السماء على قدر عقلها هو أتى بها لأن معاوية بن الحكم رضي الله عنه ضربها، واراد أن يُعتقها فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرف هي مؤمنة أو غير مؤمنة، فلما أتى بها سألها هذين السؤالين: «أين الله؟» قالت في السماء، قال من أنا؟ قالت: رسول الله قال: «اعتقْها فإنها مؤمِنَةٌ».

لما جاء الدليل هذا الصارم وحديث الجارية، هذا صعب، صعب عليهم لا يستطيعون الجواب؛ لأنهم يقولون الذي يقول الله في السماء كافر النبي صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنة قال: خاطبها على قدر عقلها إذا أنت من أهل التخييل؟ قال لا والعياذ بالله، قاتل الله ابن سينا رُغم أنفك؛ لأن هذا تخييل معنى كلامك هذا أن التخيل على قدر عقلها يعني ما هو في السماء لكن رآها كذا تقول ربها في السماء قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» يقرر أنها مؤمنة لو كان الأمر كما تزعمون قال أعتقها لكن فإنها مؤمنة كيف فإنها مؤمنة؟

فالحاصل أن هؤلاء قاتلهم الله يجعلون كل ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله كله صفاته وأسماؤه وما يتعلق باليوم الآخر وما يتعلق بالوحي والملائكة، كله كله، تخييلٌ للحقائق؛ لينتفع به الجمهور الطَّغام الذين لا يفهمون أبدًا. على أساس يكشفون عن ظلم بعضهم بعضًا، ويجلس يتهجد في الليل، ويصلي يقول إنه يدخل الجنة أنا ما أسرق؛ لأني أريد أن يكافئني الله وأخاف يعاقبني بالنار ما فيه حقائق تريد زندقة أشد من هذا هذه زندقة من أعظم الزندقة، وهذا قول ابن سينا والفارابي، حتى ابن سينا -قاتله الله- له "الرسالة الأضحوية"،كتبها يوم عيد الأضحى -قاتله الله- أهداها للمسلمين؛ لأن هناك من يقول إن أصلهم من الباطنية، وإن جده كان من دعاة الباطنية -قاتله الله-، فقال: هي تخييل لينتفع به الجمهور لا أنه بين الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق. إنه مجرد خيالات نسأل الله العافية، ثم الآن إذًا هذه الطائفة الأولى طائفة أهل التخييل عرفناها، هم قسمان أيضًا أهل التخييل، هم أيضًا قسمان، سيأتي الكلام عنهم.

نعم

ثم هم على قسمين، منهم من يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو

أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة ولاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية؛ باطنيةِ الشيعة وباطنيةِ الصوفية.

هذا موضعٌ نفيسٌ جدًّا يوضح لك أيضًا الفرق، طيب يُقال لهم: أنتم يا أهل التخييل، الرسول -صلى الله عليه وسلم حاشاه وأجل الله مقامه- قلنا لك إن لقاء القرآن هدى ونور وشفاء وبيان ومبارك وفرقان مع ذلك ما فيه شيء ما بينه الرسول الله عليه وسلم، هذا من الخيالات هل الرسول يعلم؟ أو أيضًا لا يعلم. قال: منهم من يقول: الرسول لم يعلم الحقائق -نسأل الله العافية-، لكن من الفلاسفة من علمها انظر ماذا يقولون:

والفيلسوف وذا الرسول لديهم *** متفاوتان وما هما عِدلان

أما الرسول ففيلسوف عوامهم.. جاء للعوام.

أما الرسول ففيلسوف عوامهم *** والفيلسوف نبي ذي العرفان

على معارف وعلى حقائق؛ لكن يقولون من الفلاسفة الإلهية قسمان الفلاسفة القائلون بقدم العالم وعدم الإقرار بالرب، ومنهم من يسمون، هؤلاء الذين ترى الفلاسفة الإلهية هم الطيبون منهم ترى هؤلاء الفلاسفة الإلهية هذا أطيب الفلاسفة، الذي هو أخس الناس، الفلاسفة الإلهية هؤلاء هذا اعتقادهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحقائق لكن علمها الفيلسوف-نسأل الله العفو والسلامة-.

يقول: وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء، هذا من كلامهم كلام الصوفية؛ لأن ماذا قالوا؟ قالوا من تبع سبيلهم من المتكلمين والمتصوفة من الأولياء من يعلمها وإن لم يعلمها الرسول صلى الله عليه -أعوذ بالله من مقالة السوء-.

ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين لماذا؟ لأنه يقول عرف الحقائق، أما المرسلون مصدقون أن في جنة وفي نار وتهجد يقوم

حتى تتفطر قدماه يظن مع العام أن فيه وما يدري -نسأل الله العافية والسلام- ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾، كلام عظيم جدًا فلسفة بالغة الخطورة وفي غاية الفجور، وما زادت الفلسفة الحديثة إلا فجورًا إلى فجورهم -نسأل الله العافية-.

يقول هذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية، الباطنية كل الناس يعرفونهم قسم واحد ولا باطنية مَن؟ الشيعة إسماعيلية؟ لا في باطنية متصوفة، فالباطنية صنفان: باطنية الشيعة، مثل الدروز والنُّصيرية، وكل هؤلاء باطنية شيعة؛ لكن فيه باطنية الصوفية الذين يقولون مثل هذه الأمور يقولونها على الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقولون إن عندنا علم اللادُنية، نحن به أعلم من المرسلين -نسأل الله العافية والسلامة- عرف الحقائق على ما هي عليه، أما الرسول صلى الله عليه وسلم -نعوذ بالله- فما علمها -نسأل الله العفو والسلامة-.

نعم.

ومنهم من يقول

منهم من يقول هذا القسم الثاني من أهل التخييل أهل التخييل قسمان، القسم الأول: من يقول إن الرسول لم يعلم الحقائق. القسم الثاني: هو هذا.

نعم

بل الرسول علمها لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فَهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تُطابق الحقَّ.

هذا الصنف الثاني منهم يقول: إن الرسول هو يدرك الحقائق ويعرف، لكن كان يتكلم بما يُناقض ما يعلمه، طيب معنى ذلك أنه سيُضلل الناس وسيفهمون خلاف الحقائق؟ قال: نعم أراد أن يعتقدوا ما يناقض الحقائق. كيف؟ أين الهدى؟ أين البيان؟ أين

النصيحة؟ قال: لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تُطابق الحق؛ فالرسول يقول: لا، له مقام، لكن هو أتى ليُثبّت هذه المسائل على خلاف الحق كيف؟ قال: لأن هذه المصلحة لهم ولأجل ذلك ماشَاهُم، قال -عياذًا بالله- ابن سينا وأمثاله قال: أجلاف العرب، وأجلاف بني اسرائيل كيف يكفُّون عن سفك الدماء وكذلك بهذه الطريقة، فحتى يكفوا قال لهم: فيه جنة وفيه كذا فقط.

يقول: أما الرسول فهُم فيه على هذين الصنفين، منهم من يقول -عياذًا بالله- مثل العوام يظن فعلًا من هذا الواقع، منهم يقول لا الرسول مثلنا يعرف ما في حقائق، لكن اجتهد هذا الاجتهاد وفهمهم الغلط وأعطاهم الاعتقادات غير المطابقة للحق؛ لأن هؤلاء رِعاع وهمج لا يمكن أن يصلوا إلى المقامات العلا التي عرفها الفلاسفة والباطنية.

إذا ما الحل؟ خلاص صلوا، تهجدوا، صوموا، لكن ما في حقائق لأن هذا هو الأصلح لهم. أنت طبعًا لا تسأل عن حكم هذا، هذا بإجماع علماء الأمة ردة، ما يمكن يقول أحد من علماء الأمة إلا أن هذا من أبلغ وأقبح أنواع الردة، وهذا القسم الأول من المتفلسفة -أخزاهم الله وقاتلهم-.

نعم

ويقول: هؤلاء يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد مَعادِ الأبدانِ مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذِب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

هم يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم تعمَّد، وليس هذا فقط، يجب عليه أن يُفهمهم هذا وهو الذي دعاهم إلى هذا؛ لأنه لا يمكن أن يُدعَوْ إلا بهذه الطريقة. هي كذبٌ والكذب مناقضٌ للرسالة، قالوا كذب مصلحة لمصلحتهم؛ فهؤلاء لا يمكن أن تنضبط أمورهم إلا بأن يُكذب عليهم -نسأل الله العفو والسلامة-، وعلى هذا ما الذي يترتب

عليه؟ ما فيه حقائق -عياذًا بالله- طيب أنا أريد الحقائق، تعالَ تعلَّم الفلسفة تعالَ تعلَّم الفكر الباطني.

طيب يبقى مسألة هذا في العِلميات، ماذا عن العمليات؟ الصلاة الزكاة أيضًا نفس الشيء فيها سيأتي الكلام عنها.

نعم.

وأما الأعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا المجرى ويقول إنما يُؤمر بها بعض الناس دون بعض ويُؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

لما جاءت الأشياء العملية مثل الصلاة ومثل الزكاة والحج وغيره، قيل الآن عرفت أن هذه عقيدتك في العلميات يعني في الاعتقاد في اليوم الآخر وفي الجنة وفي النار وفي الملائكة وفي الرب طيب ماذا عن الأعمال؟ التي فيها صلاة وسجود، قال هم فيهم مَن يقرُّها؟ يقول لا، أما العمليات فهذه صواب. يتناقضون أم لا؟ يتناقضون ما دام ما في هذه الأشياء العملية تعرف أنها تبنى على ماذا؟ على اعتقادات، فإذا كانت الاعتقادات غير صحيحة ماذا تكون الصلاة والزكاة؟.

ما فيه مانع إنك تقر العمليات كالصلاة والزكاة والحج وأنت بهذا الاعتقاد في العلميات في الاعتقادات.

قال: أما الأعمال كالصلاة والصوم فمنهم من يقرها يقول إن لها حقًّا هذه على ما هي عليه؛ لأنه ماذا يترتب عليه؟ في أشياء أخرى تنفتح عليك المحرمات هل فيه فواحش منهيٌّ عنها؟ هل فيه؟ هذه كلها أحكام جاءت بها الرسل ولا تنفتح -عياذًا بالله- هذه الأمور دفعة واحدة يكون الإنسان على هذا المستوى من البهيمية.

قال: ومنهم من يُجريها هذا المجرى؛ يعني يُجري العمليات مجرى العِلميات، فيقول مثل ما ذكرنا على الباطنية وغيرهم ما في خمس صلوات وإنما خمسة أشخاص، هؤلاء علي وحسن ومحسن وفاطمة والحسين تولهم والصوم وكذا حفظ سر الطائفة لأنه الإمساك ليس من المفطرات؛ لأنه إفشاء السر، خذ من هذا فيقول ما في علميات ولا عمليات.

طيب من يؤمر بها؟ يقول: يؤمر بها بعض الناس دون بعض، يُؤمر بها العامة دون الخاصة، هذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم من الصوفية؛ لأن عندك الآن في طبقات الصوفية

بعض الأحيان يقرأ القارئ إذا كان هو ما عارف الفكر الصوفي يستغرب جدًّا، فيقول لك: يُمدح -يعني أحدُ مَن يُسمَّي بأولياء الصوفية- ثم يُذكر عنه أنه كان يُفطر في نهار رمضان وبالحشيش أيضًا- عياذًا بالله- كان يأكل الحشيش في نهار رمضان، ويتربَّع، أنت تحسبه يسبه وهو يمدحه؛ لأنه قال: وصل المرحلة التي عرف بها الحقائق فسقطت عنه التكاليف، سقوط التكاليف هو امتدادٌ بهذه الكلمة-عياذًا بالله-.

ولهذا ينقلون عنهم أسوأ ما يُقال، يعني أشياء في كتب التصوف بالحقيقة في الطبقات "طبقات الشعراني" وطبقات ما يسمون بكرامات الأولياء، وهم أبعد ما يكون عن كراماتهم مثل "كرامات النبهاني" وأمثاله.

تجد فيها أمورًا غريبة جدًّا، كيف يعني حتى فيه يعني عجائبهم يمدح ويمدح يقول: كان -رحمه الله -لا يصلي كيف -رحمه الله- لا يصلي؟! يقول هذا لأنه وصل كما ما تعرف أنت، أنت جالس تصلي لا هذا عرف الحقائق بلغ المرحلة؛ لذلك هو لا يصلي، أمدحه لذلك؛ لأنه بلغ المرحلة التي بها ما يصلي.

يعني قلب للإسلام تمامًا فيكون الأمر المذموم الذي هو على أخبث ما يكون مثل الفطر في رمضان وترك الصلاة هو الكمال، وعندهم عياذًا بالله -نسأل الله العافية والسلامة- يسمونه بعلم الحقيقة:

يقول الشريعة هذه اسمها علم الشريعة وفيه عندنا علم آخر اسمه علم الحقيقة، علم الشريعة لكم أنتم صلوا صوموا لكن عندنا نحن علم الحقيقة التي بلغناها هذه ويقول قائلهم:

وإن كنت في حكم الشَّريعة عاصيًا ..... فإنِّي في حكم الحقيقة طائع

نسأل الله العافية والسلامة.

فما صار بهم معصية ثابتة ما صار بواجب ثابت يقول في الشريعة حرام لكن عندي لا، ولهذا يزعمون أن عندهم درجة يسمونها درجة سقوط التكالف، قطعًا لا يقال هذا في كل الصوفية الحقيقة، يعني فيه من الصوفية من ردَّ عليهم؛ كالقشيري وغيره، لكن موجود فيه عدد غفير منهم، لماذا؟ لأن عندهم مسألة يعني بس يعرفها طالب العلم، ما لحاجة خافية اللي هي مسألة "وحدة الوجود"؛ الذي يقول وحدة الوجود خلاص لا يوجد حلال وحرام الذي يفهم معنى كلمة الوجود خلاص.

ولهذا ماذا يقول ابن القيم على لسانهم:

فدع الحلال مع الحرام لأهلِه *** فهم السياجُ لهم على البستان

فاخرقه ثم ادخلْ ترَى في ضمنه *** قد هُيِّئت لك سائرُ الألوان

وترى بها ما لا يراه مُحجَّبٌ *** من كل ما تهوى به صنفانِ.

ولهذا -عياذًا بالله- يُصرِّحون بأن ما في فرقٌ بين الأجنبية والأم وذات المَحرم، ما في، كله مباح، هذه نهاية المقالات الخبيثة.

ولهذا يا إخوة، الشافعي -جعل الله قبره روضة من رياض الجنة- ماذا يقول؟ "تناظروا في شيء إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له: أخطأت، ولا تناظروا في شيء إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له كفرتَ".

يقول هذه المسألة الذي فيها كفر وإسلام ما بها مُناظرة، لكن أنت في مسائل قس بذلك: هلك هالكٌ عن أمٍّ وعن زوجة وعن ثلاثة أبناء، قسمتها وأخطأت وليس كل الناس يقولون لك؟ يقولون لك ماذا؟ أخطأت القسمة ليست هكذا لكن ما في أحد يقول لك كفرت؟ فيقول: تناظروا في شيء إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له أخطأت ولا تناظروا في شيء إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له: كفرت.

هذه المقامات كفريةٌ؛ فالذي يقول بها يكون كافرًا -نسأل الله العافية- ماذا بعد إنكار الجنة والنار والشرائع؟! أبَعدها شيء؟ قمة الكفر عياذًا بالله.

ولهذا هذه المقامات لماذا أهل الحق دائمًا، السلف الصالح والسلف الصالح، كتب الاعتقاد وينقل عن الصحابة لهذا السبب، أنت إذا خرجت عن مسار السلف لا تستغرب أن تصل إلى هذا الحد.

وأتينا لكم أتينا لكم بمجموعة من الأعلام المشاهير مثل: ابن رشد الحفيد من الفقهاء المشاهير، ومع ذلك يقول بقول الفلاسفة ورد على الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" لما غضب، لماذا ترد على الفلاسفة؟ ماذا قال؟ ألف كتاب "تهافت التهافت"، ورد على الغزالي.

لأن هذه المقالات لها والعياذ بالله من يراها ويروج لها، لكن كثيرًا منهم الحقيقة يكتمها كثير كثير يكتمها. ماذا يقول ابن القيم؟

وانظر إلى أنهار كفر فجرت *** وتَهمُّ لولا السيف بالجريان

يخاف يتكلم ويُقتل..

وانظر إلى أنهار كفرٍ فُجّرت*** وتهم لولا السيف بالجريان

هو لا يستطيع أن يُفصح؛ لأنه لو أفصح استدعاه القاضي وأشهد عليه الشهود، وإذا كان عند المالكية أصل المالكية يرون هذه المسائل المالكية لا يرون الاستتابة نهائيًّا قضاة المالكية كان يقتلون مباشرة.

فإذا ثبت عندهم مثل هذا قال: أتوب، قال: لا تتُب، لا تتُبْ، تب بينك وبين الله؛ لأن هذه زندقة، وعند المالكية قاعدة: إن الزنديق لا تُقبل توبته، وقال بها بعض أهل العلم، فهم يكتمون لكن هذه الكلمات أين هي؟ موجودة في كتبهم مثل "الشفاء" و"رسائل إخوان الصفا" وأضرابه موجودة "الشفاء" لابن سينا موجودة فيها -عياذًا بالله، - فلا يدركها كثير من الناس إلا من يعرف هذه المقالات الخبيثة.

فهذا القسم الأول من أهل التخييل، وهم -عياذًا بالله- أسوأ هذه الأقسام وإن كانت الأقسام الأخرى فيها ما فيها سوى طبعًا السلف، لكن هذا بلغ حدًا حتى المتأولة من المعتزلة لذلك ماذا قلت لكم؟ قلت لكم المعتزلة والجميع يردون على الفلاسفة، لأنه لا يقر مثل هذا الكلام الخطير

فيقول لا ما أن تصل الأمور لهذا الحد، فلا تصل إلى حدٍّ أنك تتأول حتى اليوم الآخر والجنة والنار والحلال والحرام، ما عاد فيه حلال ولا حرام أنت الآن تريد تدمير البشرية بهذه الطريقة، ما يكون عندهم أي رابطة بالله تعالى؛ فلهذا ردَّ عليهم حتى مثل الجهمية والمعتزلة، كما سيأتي إن شاء الله.

نعم.

وأما أهل التأويل

وإذا قلنا أهل التأويل ما معناه؟ تحريف المعنى قال: تحريف المعاني.

فيقولون إن النصوص الواردةَ في الصفات لم يقصد بها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قَصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرْف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصودُ امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يَصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة والمعتزلة ومَن دخل معهم في شيء من ذلك، والذين قصدْنا الردَّ عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء؛ إذ كان نفورُ الناس عن الأولين مشهورًا، عن الأولين، عن القسم السابق أهل التخييل نفور المسلمين منهم مشهورٌ.

مشهورًا بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضيع كثيرة، وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا ولكن أولئك الفلاسفة ألزموهم.

قف عند هذه. القسم الثاني: أهل التأويل، أهل تحريف النصوص يقولون: النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس الباطل مثل ما يقول أهل التخييل، لا، لكن قصد بها معاني ليست هي الظاهرة لكن لم يبين المعاني ولا دلهم عليها بأدنى دلالة، طب كيف يعرفونها؟ قال أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقوله.

يقول: إنه أعطاهم هذه النصوص وأحالهم في فهمها على عقولهم وأن يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن معانيها الظاهرة ومدلولها. طيب ماذا قصده؟ قال مقصودُه: امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم؛ ليصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرفوا الحق من غير الجهة التي جاءت منها النصوص وهي الوحي.

يقول: هذا قول متكلمة الجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك، وهم الذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا يعني كالأشعرية، فهم ماشوهم في هذا. يقول: قصدنا هم هؤلاء وهذا فيه فائدة في هذه الفتوى أن مراده بالفتوى ليس ردًّا على الفلاسفة وإنما مراده الرد على هذا القسم الثاني وهم أهل التأويل. إذ كان نفور الناس عن الأولين أصحاب التخييل مشهورًا بخلاف هؤلاء، انظر عبارات شيخ الإسلام دقيقة جدًّا، ما قال فإنهم نصروا السنة، تظاهروا تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، ثم قال وهم -في الحقيقة- لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا.

هم ردوا على الفلاسفة لكنهم لم يكسروا الفلاسفة، والسبب أن هناك مشتركات من الباطل بينهم وبين الفلاسفة، فألزمهم كما سيأتي فألزمهم الفلاسفة من هذه المشتركات بالباطل الذي هم عليه. قالوا: منطلقنا واحدٌ نحن وإياكم، وهو تغيير معاني النصوص؛ لكن نحن عمَّمنا وأنتم خصَّصتم، وما الدليل عندكم على تخصيص التأويل؟ كما سيأتي بنصوص الصفات فنحن وإياكم نغيِّر الألفاظ عن معانيها الظاهرة، لكن أنتم قلتم نغير الصفات، ونحن قلنا ما دام تغيير الصفات واردًا فتغيير غيرها من باب أولى.

ولهذا قال: "لا للإسلام نصروا" -الرد على الفلاسفة الردَّ الشرعي السلفي السليم الذي يكسر الفلاسفة- "ولا للفلاسفة كسروا"، فصار في ردودهم شيءٌ من الضعف والوهن كما سيأتي.

نعم

ولكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعادِ نظير ما ادَّعَوْه في نصوص الصفات، فقالوا لهم نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعادِ الأبدان، وقد علمنا الشُّبه المانعة منه.

الآن بيّن كلامه، حين قال: "إنهم لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا"، يقول: الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد، المعاد: هو اليوم الآخر تعود فيه الأبدان لله

والأرواح، قال: أنتم الآن يا معاشر المتكلمين تقولون بأن هناك حشرًا وبعثًا وجنة ونارًا، قالوا نعم، قالوا والصفات؟ قالوا نتأولها قال: ما الفرق بيننا وبينكم؟ أنتم تأولتم الصفات والصفات متعلقة بمن؟ بالله وباب الإيمان بالله أعظم من باب الإيمان باليوم الآخر، فأنتم الآن حين تتأولون باب الإيمان بالله، ثم تعتبون علينا أن تأولنا باب اليوم الآخر، باب الإيمان بالله أعظم من باب الإيمان باليوم الآخر.

قال: الفلاسفة ألزموهم في نصوص اليوم الآخر نفس ما ادَّعَوه في نصوص صفاته، وقالوا لهم نحن نعلم، الفلاسفة قالوا للمتكلمين: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعادِ الأبدان وباليوم الآخر وقد علِمنا الشُّبه المانعة يعني نحن وإياكم، هل استطاع المتكلمون أن يردوا عليهم؟ لا، وإن كان لهم ردودٌ أخرى جانبية فيها، يعني جانبًا من ردود جيدة، لكن الإشكال هم ألزموهم بها.

قالوا إذًا نحن منطلقون بالتأويل؛ ولذلك قال ابن القيم في أبيات جميلة جدًّا في النونية قال:

كلهم جميع المتأولة فلاسفة، متكلمون:

جعلوا النصوص لأجلها غرضًا لهم: الغرض: هو الذي ينصب ثم يرمى بالسهام، ينصب شيءٌ مثل يعني خشب أو نحوه، ثم يرمي الناسُ عليه بالسهام،

جعلوا النصوص لأجلها غرضًا لهم *** قد خرَّقوه بأسهمِ الهذيانِ

وتسلَّط الأوغاد والأوقاح *** والأرذالِ بالتَّحريف والبهتانِ

كلٌّ إذا قابلته بالنص قا *** له بتأويلٍ بلا برهانِ

ويقول تأويلي كتأويلِ الـ***ـذين تأولوا فوقيةَ الرحمنِ.

ماذا يقول لك الفيلسوف؟ يقول: إن تأويل اليوم الآخر والجنة أسهل من تأويل الذين. تأولوا فوقية الرحمن العلو، أليس بها أكثر من ألف دليل؟ وقلنا لك؛ إن الرازي يقول: نعم فيها أكثر من ألف دليل في التفسير، يقول تتأول أنت علوَّ الله تتعجب أني أتأول الجنة والنار؟!

ويقول تأويلي كتأويلِ الـ***ـذين تأولوا فوقيةَ الرحمنِ

بل دونه فظهورهافظهورها يعني ظهور فوقية الرحمن:

بل دونه فظهورها في الوحي بالنصـ***ـين مثلُ الشمس في التِّبيان

أيسوغ تأويل العلو لكم ولا *** تتأولوا الباقي بلا فرقان

كذاك تأويل الصفات مع أنها *** ملء الحديثِ وملء ذا القرآن

واللهِ تأويلُ العلو أشد من *** تأويلنا لقيامة الأبدان

وأشد من تأويلنا لحياتِه *** ولعلمه بمشيئة الأكوان

وأشد من تأويل كل مؤولٍ *** نصًّا بأن مراده الوحيان

ألكم على تأويلكم أجران *** حيث لنا على تأويلنا وزران

يقول أنتم الآن ما شاء الله إذا تأولتم لكم أجران؛ لأنكم على الصواب، ونحن إذا تأولنا لنا وزران ألكم على تأويلكم أجران حيث لنا على تأويلنا وزران إنا تأولنا وأنتم قد تأولتم، فهاتوا واضحة الفرقان.

فإن لُمتني في أني تأوَّلت المعاد والجنة والنار فأنت ملومٌ أكثر؛ لأني إذا تأولت الأكل والشرب في الجنة فأنت تتأول ما يتعلق بالرب، وباب الرب أعظم -باب الإيمان بالرب أعظم- من باب الإيمان باليوم الآخر؛ لأن الأصل هو الإيمان بالله واليوم الآخر، والكتب الرسل تبعٌ له؛ فلئن قبلتم أن تتأولوا في باب الإيمان بالله، فاقبلوا التأوُّل في باب اليوم الآخر.

ولأجل ذلك ردَّ عليهم جميعًا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-ردَّ على الفلاسفة وردَّ على المتأولة من المتكلمين، كيف ردَّ عليهم منطلقًا من فهم السلف الصالح -رضي الله عنهم- للنصوص؟ الفهم السوي الذي يتعامل معه على ظاهره اللائق بالله.

فإذا قيل: يلزم منها نقص، قال: نقص في المخلوق لا تنقل نقص المخلوق إلى نقص الخالق، فإن كان عندك إشكال أنت في عقيدتك وفي عقلك وفي فهمك فهذا راجعٌ إليك، أما فهم السلف الصالح رضي الله عنهم فما فهموا هذا الفهم وإنما أثبتوا لله اللائق به، ثم انظر الآن نحن وإياك نحن وأنت خصومٌ للفلاسفة الملاحدة.

انظر الآن الفلاسفة كيف دخلوا على الإسلام من طريقي أو من طريقك؟ أتوا من طريق المتكلمين؛ لكن إذا أتوا إلينا ليقولوا أنتم تأولتم النصوص. قلنا لا نتأول النصوص، النصوص على ظاهرها هذا تفسير ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة على ظاهرها، قال: يلزم نقول ما يلزم، يلزم على فهمك الفاسد، لكن الله -عز وجل- له الصفة اللائقة بكماله فأرد عليك وأرد على المتكلم، فرد السلف وعلماء السلف على -طبعًا السلف بمرحلة متقدمة يعني ما ظهرت الفلسفة إلا في قرون متأخرة، فرد علماء السنة الثابتون على منهج السلف على- الفلاسفة وعلى المتكلمين. وأعطى الله تعالى -يعني هذا الباب- لشيخ الإسلام ابن تيمية فرد عليهم جميعًا ردودًا مفحمةً، حتى قال الفلاسفة: قالوا على طريقة السلف، على طريقة السلف في إثبات الصفات يكون كلامنا غير لازمٍ لهم أقروا بهذا كما ذكر شيخ الإسلام. قال: بهذه الطريقة الآن الذي ينفي التأويل من أصله الذي هو تحريف المعنى، ويقول: هي على ظاهرها وليست كما تقولون -معاشر الزنادقة- للجماهير بل هي حق تليق بالله، يقول ليس لي عليها طريق هذا.

لكن أنت إذا قلت: إن التأويل فيما يتعلق بالرب بابٌ متاحٌ فاسمح لي وافتح لي الباب في أن أتأول الصلوات والزكاة وأتأول اليوم الآخر؛ فتأويل الحور العين أسهل من تأويل

صفات الله -عز وجل- وأنا تأولت الجنة والنار وما يتعلق بها وأنت تأولت ما يتعلق بالرب بصفاته قالوا أما على طريقة السلف فهم سدوا الباب علينا وعليكم.

ولأجل ذلك قال الشيخ: " إنهم لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا"، ولهذا ماذا قال ابن القيم:

وأتى العدو عدو الإسلام كله الفلاسفة:

وأتى العدو إلى سلاحهم فقا *** تلهم به في غيبة الفرسان

يا محنة الإسلام والقرآن من *** جهل الصديق وبغي ذي طغيان

يقول: أتوا وقاتلوكم بنفس السلاح حملتم كما سيأتي:

حملوا بأسلحة المحال فخانهم *** ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان

يا محنة الإيمان والقرآن، حين يأتي متكلمٌ ليرد على فيلسوف هنا المحنة لماذا؟ لأنه لا يردُّ الردَّ المسكِت للفيلسوف.

كل ما قال الفيلسوف أنت به كافرٌ مثل ما فعل الغزالي، الغزالي قال: أنتم كفرتم بردكم معاد الأبدان. فقال ابن رشد في كتاب "التهافت": أنتم تأولتم الصفات، وقولك يا أبا حامد إن باب الصفات قابلٌ للتأويل وباب المعادِ غيرُ قابل للتأويل غير صحيح، هكذا قال ابن رشد: بل باب الصفات أبعد أن يُتأول من باب المعاد. فأنت كفّرتنا -يقول ابن- رشد أنت كفّرتنا معاشر الفلاسفة حين تأولنا المعاد واليوم الآخر وأنت فعلت ما هو أشد من تأول المعاد وهو تأول الصفات، وقلت إن تأوُّل الصفات يجري على لغة العرب، وهذا غير جارٍ على لغة العرب حتى ابن سينا، ألزمه.

قال قول الله -عز وجل- حين تقول كلما جاءكم نصٌّ قلتم: المراد أمره إتيان الله: إتيان أمره قال ماذا تفعلون بآيات آل عمران؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يقول يكون تكرار هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك، قالوا: أمر ربك أو يأتي بعض آيات ربك الذي هو أمر ربك، فيكون معنى الآية: "هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أو يأتي أمر ربك، أو يأتي أمر ربك"، تكرار ما له معنى، يقول ابن سينا: قال: فكلامك هذا غير مضطرد، قال: إذًا قولوا بقولنا إنها أشياء متعلقة بالجماهير وليس لها حقائق، أو قولوا بقول السلف.

فقال السلف أتيان الله إتيانٌ حقيقيٌ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ مجيء الرب سبحانه، ولهذا يُخاطب العباد -سبحانه وتعالى- جميعًا «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فيجيء سبحانه مجيئًا يليق بجلاله وعظمته».

ما نقول يجيء أمره إذا قلت يجيء أمره ماذا تفعل بآية سورة آل عمران؟ ابن سينا قلبها عليهم نفس ابن سينا الزنديقة قال إذا كان معنى مجيء الرب هو مجيء الأمر ماذا تفعل بآية آل عمران؟ ماذا تفعل بآيات الأنعام؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾. قال فأثبت إتيان الرب، وإتيان الرب غير إتيان الأمر، فإما أن تقولوا بقول السلف وإما أن تقولوا بقولنا، لذلك قلنا إن ردودهم ضعيفة وهزيلة.

ولأجل ذلك كتاب "التهافت" سماه ابن الرشد سماه "تهافت التهافت" الغزالي ألف كتاب "تهافت الفلاسفة" وكفرهم في المسألة هذه فرد عليه بـ"تهافت التهافت"، و-عياذًا بالله- قررنا مقالات.

وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون

لهم: معلومٌ أن مشركي العرب وغيرهم كانوا يُنكرون المعاد وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئًا منها أحدٌ من العرب. فعُلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به.

هذا في قول أهل السنة -رحمهم الله- يقولون للجميع: نحن نعلم بالاضطرار، الاضطرار ما هو؟ أن العلم نوعان: علمٌ ضروريٌّ وعلمٌ نظريٌّ، العلم النظري: هو الذي تتعلمه أنت الآن ما تعرف أشياء معينة من واجبات الصلاة وشروط الصلاة هذا الذي تتعلمها، هذا علمٌ نظريٌ، فيه علمٌ اضطراريٌّ يعلمه كل مسلم، مثل أن الله حرّم الخمر، أن الله أوجب الصلاة، هذا علمٌ ضروريٌ.

قال أهل السنة يقولون: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جميعًا جاءت بإثبات الصفات ونصوص الصفات في الكتب الإلهية، في التوراة في الإنجيل في القرآن في الزَّبور، أكثر وأعظم من نصوص المعاد.

يعني لو تتأمل النصوص الواردة في الجنة والنار واليوم الآخر وتقارنها في القرآن بالنصوص المتعلقة بالله، أيها أكثر؟ المتعلقة بالله، كل نص فيه: عزيز حكيم، غفور رحيم، كله متعلق بالله إضافة إلى جملة كثيرة من النصوص المتعلقة بالرب -سبحانه وتعالى-.

إذًا نصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم إنكم تعلمون أن مشركي العرب وغيرهم من المشركين كانوا يُنكرون المعاد واليوم الآخر وأنكروه على الرسول صلى الله عليه وسلم وناظروه فيه، بخلاف الصفات فإنهم لم ينكروا شيئًا منها، الصفات ما كانت العرب تنكرها لماذا لا تنكرها؟ لأنها متعلقة بتوحيد الربوبية،

وتوحيد الربوبية تقرُّ به العرب إنما تجحد توحيد الإلهية الشيء المتعلق بالربوبية يقرون به.

قال: فعُلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، هذا من الناحية العقلية ومن الناحية الشرعية أن أمور الصفات أعظم شرعًا وعقلًا من أمور الصفات، لكن هنا عندك في النسخة وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات.

الحقيقة هذا الموضع لعل فيه خطأً والسبب: أن إنكار الصفات -كما يقر الشيخ- قبل وبعد أعظم من إنكار المعاد، فقوله هنا: وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، الذي يظهر -والله أعلم بالصواب- أن إنكار الصفات أعظم من إنكار المعاد، لكن قد تَحمل العبارة محملًا لو صح من المصنف على أن المراد أن إنكار المعاد أقرب للفرض العقلي من إنكار الصفات، وذلك أن المشركين أنكروا المعاد ولم ينكروا الصفات، على كل حالٍ لا ينبغي أن يُفهم من هذا الموضع أن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات.

ولذا نقل ابن القيم على لسان الفلاسفة منكري المعاد قولهم عن المتكلمين ما ذكرناه: "والله إنكار العلو أشد من تأويلنا لقيامة الأبدان".

فالحاصل أن إنكار صفات الرب -عز وجل- مرتبطة بباب عظيم هو باب الإيمان بالله وهو بابٌ جليلٌ، وباب الإيمان باليوم الآخر تابعٌ للإيمان بالله، وباب الإيمان بالرسل تابعٌ للإيمان بالله، يعني إذا جاء عند أحد خلل بالإيمان -خلل في عدم الإيمان بالله لن يقر برسل ولا بكتب ولا بيوم آخر يقينًا- لأن عنده خلالًا في الأصل؛ فالإيمان بالله هو الباب الأكبر؛ فلا شك أن إنكار الصفات أعظم من إنكار المعاد.

لهذا قالوا: وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، يعني ليس على ظاهره كما تقول الجهمية والمعتزلة والمتكلمة؟ يقول ليس على ظاهره. وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به يعني يقولون نصوص المعاد على ظاهرها،

كلهم الجهمية، المعتزلة الكلابية الأشعرية ماتريدية، كلهم يقول نصوص اليوم الآخر على ظاهرها.

فالجنة حقيقية والنار حقيقية والبعث حقيقي وما يتعلق بمواقف القيامة كلها حقيقية، طيب ما حكم من يتأولها؟ يقول تأولها كفرٌ، إذا أنتم تقرون -أهل السنة- في وجوب إثبات هذه النصوص على ظاهرها؟ قالوا نعم، والفلاسفة كفارٌ بهذا لأنهم تأولوا ما لا يحل تأول وهو نصوص المعاد.

أنتم تأولتم نصوص السلف ولذلك دخلت داخل على الإسلام منكم أنتم فأتى الفلاسفة وأضروا بالمسلمين لما فتحتم لهم باب التأويل.

نعم.

وأيضًا فقد عُلم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذمَّ أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه ومعلومٌ أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حُرِّف وبُدِّل لكان إنكار ذلك عليهم أولى فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبًا منهم وتصديقًا، ولم يعبْهم قَطُّ بما تعيب النُّفاة لأهل الإثبات مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك. بل عابهم بقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾ وقولهم: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وقولهم: «استراحَ لما خلقَ السماواتِ والأرضَ»، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريحٌ بالمعاد كما في القرآن، فإذا جاز أن نتأول الصفاتِ التي اتفق عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يُعلم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه باطلٌ فالأول أولى بالبطلان

.

هذا وجهٌ آخر من وجوه الردود عليهم، يقول رحمه الله تعالى: قد عُلم أن الله تعالى ذم أهل الكتاب على ما حرَّفوا وبدَّلوا.

أهل الكتاب حرَّفوا أشياء وبدلوها وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد حرَّفوها: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ومن ذلك قصتهم في حادثة زنا الزاني المُحصن حين غيّروا حكم الرجم وهو موجودٌ في التوراة إلى الآن، وجعلوا بدلًا من الرجم التَّحميم.

وقالوا: تحاكموا إلى محمد فإنه نبيٌ، هكذا قالزا؛ فإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوا وإن أفتاكم بالجلد والتحميم، التحميم: أن يجعل على وجهه سواد ويؤدَّب لكن لا يُرجم، فلا تقبلوا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾. إلى غير ذلك من الأمور التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم من تحريفهم وتغييرهم، يقول الشيخ: معلومٌ أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حرَّفوه في التوراة وبدّلوه لكان الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكر ذلك أكثر من إنكاره الأمور المتعلقة، في مثل حد الزنا ونحوه.

يقول: وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يقرُّهم صلى الله عليه وسلم، وفيه حديث "الحَبر"

لما قال: يا محمد السلام عليك أبا القاسم إنا نجد في التوراة أن الله يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبًا بقول الحبر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، النبي صلى الله عليه وسلم قاله قبل ذلك، فجاء الحبر فقاله، فاتفق وحي الله تعالى النازل في التوراة مع ما أُوحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ رحمه الله: فكانوا إذا ذكروا الصفات إثباتًا أقرهم صلى الله عليه وسلم عليها، ولم يعبهم قط بما تعيب به النفاة أهل الإثبات، كأن يقول: أنتم مجسِّمة، أنتم مشبِّهة كما صار المتكلمون يطرقون على أهل الحق.

بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقولهم: ﴿اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، وزعمهم أن الله -عياذًا بالله- استراح لما خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

يقول بيّن النبي صلى الله عليه وسلم الخلَل العقدي الذي عندهم، أما الإثبات للصفات فأقرهم عليه، ثم قال: والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريحٌ بالمعاد الذي هو اليوم الآخر كما في القرآن.

يعني التوراة -النصوص الموجودة فيها في ذكر اليوم الآخر محدودة- والنصوص المتعلقة بإثبات الصفات للرب كثيرة، فتطابق القرآن والتوراة على إثبات نصوص الصفات، فقال الشيخ: فإذا جاز أن يتأوَّل متأوِّلٌ الصفاتِ التي اتفق عليها الكتابان التوراة والقرآن، فتأويل المعاد الذي انفرد به القرآن وقل أن يوجد في التوراة من باب أولى، يعني على هذا التقدير ستكون حجة الفلاسفة للفلاسفة أن يُدلوا عليكم أنتم -معاشر المتكلمين- فيقولون: القرآن والتوراة مملوءة بإثبات الصفات.

والموجود في التوراة من إثبات اليوم الآخر أقل، فأنتم الآن كفرتمونا لما تأولنا اليوم الآخر، وهو في التوراة أقل، والذي اتفق عليه القرآن والتوراة من إثبات الصفات أنتم تأولتموه.

ولذلك قال الشيخ: "لا الإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا" قال الشيخ: معلومٌ أن هذا بالاضطرار منفيٌّ وباطلٌ من دين الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا باطلٌ يعني تأويل اليوم الآخر، فالأول وهو تأويل الصفات أولى بالبطلان.

وأما الصنف الثالث، وهم أهل التجهيل: فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولون: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك. وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه. وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، فإنه وقف كثيرٌ من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ وهو وقفٌ صحيحٌ، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

ذكر الشيخ الصنف الثالث، قلنا: أهل التأويل، وأهل التخييل، جاء الآن: أهل التجهيل، التجهيل: من جهَّل يُجهِّل تجهيلًا إذا نسب إلى الجهل، يقول كثير، مرة أخرى لاحظ عبارات الشيخ، من المنتسبين إلى السنة، الانتساب يكون صحيحًا ويكون باطلًا، كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف، يزعمون أيضًا أنهم يتبعون السلف، يقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات -أعوذ بالله-.

وما معنى هذا الكلام؟ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عَلم الدين كلَّه إلا الباب الأعظم، وهو باب علم الله -عياذًا بالله- نسأل الله العافية، إذا قيل لهم: هل النبي صلى الله عليه وسلم أعرف بالأحكام؟ أعرف بالحلال والحرام؟ يقولون: نعم، والباب الأعظم يقول: لا، حتى النبي صلى الله عليه وسلم يجهله، وهذا معنى قوله أهل التجهيل -نسأل الله العافية عياذًا بالله من حالهم ومآلهم-.

قالوا: ولا جبريل عرف معاني تلك بالآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك؛ لذلك سماهم بأهل التجهيل يقول: إن هذه الصفات مجهولة المعنى ماذا قال مالك؟

"الاستواء معلوم" هم يقولون الاستواء مجهول - نسأل الله العافية والسلامة -يقول: وكذلك قولهم في أحاديث الصفات فهم يقولون معناها لا يعلمه إلا الله.

قلنا هذه العبارة إن المعنى غير معلوم أنه الحقيقة من أبعد ما يكون عن الحق، فإنكار العلم بنفس معنى المفردات مباهتة، وضربنا عليكم مثالًا بقول الله تعالى ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وأن حتى المتأول يسأل الله المغفرة والرحمة.

فالقول بأن المعنى غير معلوم هذا باطلٌ؛ لذلك لما علمت الصفات صار المسلم يرجو ويخاف، ولذلك جمعت النصوص بين ما يوجِب بين أسماء وصفات يترتب عليها الرجاء ويترتب عليها الخوف: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فيرجوه، هذا المعنى ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾. فيشعر المؤمن بالخوف ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فتجمع بين الخوف والرجاء؛ لأنها معاني مفهومة، ما يمكن أن يقع عندك الخوف والرجاء إلا إذا فهمت. هذا أمر.

هناك كلامٌ للترمذي -رفع الله درجته في المهديين- ما أعجبَ علماء السنة تُكلم الواحد منهم بنصف سطر ليس بسطر ويكون فيه ردٌّ على فرقه ضالة إلى يومنا هذا!.

هم يقولون إن السلف يقولون المعنى غير معلوم انظر الترمذي في السنن لما تكلم على حديث النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا تصدّق العبد من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه» تكلّم هنا عن الجهمية وذمّهم وقال كلمة في سبب ذمّهم؛ لأنّهم يفسّرون غير تفسير السلف فعرفنا بذلك أن هناك تفسيرين: تفسيرٌ حقٌ وهو تفسير السلف، وتفسيرٌ مبتدعٌ وهو تفسير الجهمية، ولأجل ذلك ذمّهم السلف.

لأجل ذلك فسر السلف معاني النصوص، فعندك الآن القرآن من فاتحته: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى خاتمته سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ . فسر السلف معاني الأسماء والصفات، فكيف يُقال المعاني غير معلومة؟ المعنى نفسه غير معلوم بلى معلوم إنما المجهول هو الكيفية، كما قال مالك رحمه الله: الاستواء

معلومٌ؛ أي معناه والكيفية التي الله عليها مجهولة قطعًا لا يمكن أن يُعلم كيفية الله قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اِيْدِهِم وَمَا خَلْفَهُمْ ولا يُحيطون به علمًا﴾.

أما معرفة المعنى نفسه لا شك أنه معلومٌ، ولذا قال مالك: الاستواء معلومٌ يعني معلومٌ معروف المعنى، ولهذا في اللفظ الآخر عن مالك قال: الاستواء غير مجهول لا يوجد أحد يجهل معنى الاستواء.

لكن عندنا مسألة مهمة للغاية ولا تستعجل بعض الناس استعجل الحقيقة كل ما رأى أحدًا يقول مع عدم الخوض في المعنى قال هذا من المفوضة هذا ليس إطلاقًا صحيحًا، هل المعنى معلوم أو غير معلوم؟ ماذا تريد بالمعنى أنت الآن؟ تريد بالمعنى بيان المفردة وأن المغفرة والرحمة لها معنى، فهذا معلومٌ بلا شك أو تريد حقيقة المعنى الذي الله عليه هذا ما الذي يعود بك؟ هذه الكيفية فإذا نُفي المعنى بمعنى ويراد به المعنى الذي الله عليه فهذه الكيفية التي قال مالك والكيف غير معلوم.

فالمعنى تارة يقولون بلا معنى، يعني بلا معنى بهذا الاعتبار القائل بلا معنى ترجع اليه فتجده يفسر معاني الصفات.

إذا نفى المعنى ليس مطلقًا دائمًا على أن الرجل يقول المعنى لا يخاض فيه لكن المعنى الذي الله عليه معلومٌ بلا شك؛ ولهذا قال غير واحد من أهل العلم في نصوص الصفات تفسيرها ما هو؟ ماذا قالوا؟ قراءتها كيف تفسيرها وقراءتها؟ ما الشيء الذي تفسيره وقراءته؟ ما هو؟ الواضح الذي لا يحتاج أن تُفسر، تفسيرها: قراءتها، كيف تفسيرها قراءتها؟ لأنك تعرف معناها بمجرد قراءتها فلا تتكلف لها معنى كتفسير الجهمية.

ولهذا للإمام أحمد نصٌّ عزيزٌ جدًّا عنه -رحمه الله تعالى-قال الأثرم حدّث محدثٌ وأنا عنده وعنده غلامٌ بحديث «يضع الرب قدمه على النار» فالتفت إلى الغلام وقال: إن لهذا الحديث تفسيرًا، انظر قال إن لهذا الحديث تفسيرًا، قال الإمام أحمد: انظر إليه، كما

تقول الجهمية سواء، كيف حكم الإمام في حديث الجهمية؟ لأنه أراد أن يُغيّر معنى الحديث الذي يعرفه الغلام.

قال: إن لهذا الحديث تفسيرًا لا تظنه على الظاهر منه، قال الإمام أحمد مباشرة: هذا جهمي، ولهذا ماذا قال يزيد بن هارون والقعنبيُّ -رحمهما الله- مَن قال إن الرحمن على العرش استوى ليس على ما يقِرُ في قلوب العامة فهو جهمي، ماذا الذي يقر في قلوب العامة؟ من قال إن الرحمن على العرش استوى ليس على ما يقر في قلوب العامة فهو جهميٌّ، الذي يقر في قلوب العامة الذين يعرفون لغة العرب في وقتهم هو المعنى الظاهر، فإذا قال ليس هو المعنى المعلوم يقول مباشرة فهو جهمي لأن معناه واضح.

فالحاصل: أن هؤلاء يقولون -عياذًا بالله- إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف المعاني ولا جبريل الذي أنزلها ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم يعرفونها، وقالوا نفس الشيء معناها لا يعلمه إلا الله مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم بها ابتداءً فعلى كلامهم -عياذًا بالله- تكلم بكلام لا يعرفه معناه، ذمٌّ خبيثٌ للرسول صلى الله عليه وسلم.

يتحدث عن الصفات، وتتهامل عيناه الشريفتان عليه الصلاة والسلام، ويتحدث في حديث خطب على المنبر وذكر صفة الرب، وتحمس عليه الصلاة والسلام جدًّا، يقول قال الصحابة، قلنا: أساقطٌ المنبر برسول الله صلى الله عليه وسلم؟! كل هذا الكلام وما يعرف معناه أعوذ بالله أي ذم لرسول الله؟، ولهذا هذه المقالات -عياذًا بالله- يعني يترتب عليها من القدح في الله وفي الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الصحابة وفي التابعين ما لا يحيط به إلا الله.

نقف على قوله يظنون في الوقف على قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾. إن شاء الله نقف عليه.

بسم الله

ذكرَ الشيخُ -رحمه الله- بعد أن تحدثَ عن الأصناف الثلاثة؛ قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ هذا ورد في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾.

هنا وقْف، ثم يستأنف: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾.

ومن أهل العلم قال: إن الوقفَ يكون عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ثم قال: ﴿يَقُولُونَ ...﴾ إلى آخر الآية.

يقول: وقف كثيرٌ من السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ وهو وقْفٌ صحيحٌ، لكن لم يفرِّقوا بين المعنى -يعني للمفردة؛ للكلمة: المغفرة، الرحمة- وبيْن التأويل الذي فرض الله تعالى بعلمه.

هذا أهل البدع قالوا الذين يقولون بالتفويض، تفويض المعنى يقولون: إنا لا نفرق بين المعنى المعروف في لغة العرب الذي يُفسر ويُنقل إلى لغة أخرى، ويُترجم، نقول: هذا لا يُعرف المعنى، وزعموا أن المعنى هذا هو الذي لا يعلمه إلا الله في قوله: ﴿ومَا يَعْلَمُ تَأويلَه إِلَّا الله﴾.

وقالوا: إن الله انفردَ بعلم معنى قوله: ﴿غفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقلنا مثل ما ذكرنا قبل قليل أن هذا مُباهتةٌ ومعاندة وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وهذا من الإشكالات التي وقع فيها عدد ممن حملوا ألفاظ الشرع على اصطلاحات حدثت بعدهم، إن الشيء يسمى الاصطلاح الحادث.

يعني يكون هناك اصطلاح على معنى لكلمة وقع بعد القرون المفضلة فاصطلح المتكلمون على معنى لهذا اللفظ وصاروا يأتون إلى النصوص التي في القرآن وفي السنة ويحملون اللفظ الوارد في القرآن والسنة على الاصطلاح الحادث الذي يبتدعوه.

وصاروا يفسرون نصوص القرآن والسنة على حسب اصطلاحهم هم، مثل كلمة الاستواء قلنا إن الاستواءَ في لغةِ العرب إذا عُدِّيت بحرف على، فمعناها العُلوِّ.

فاصطلحوا على أن الاستواءَ معناه الاستيلاء وصاروا يأتون إلى نصوص القرآن ويقولون إن معناه الاستيلاء.

فصاروا يحملون النصوص وهذا خطير جدًّا، ماذا يؤدي إليه؟ يؤدي إلى عدم استقرار معاني النصوص فيكون لهم مثلاً في القرن الثالث الهجري مصطلح لهذا المعنى يأتي بعدهم أناس في القرن الخامس أناس في القرن التاسع أناس في وقتنا هذا ويصطلحون على معاني لنفس المفردة ويحملون اللفظ الوارد في القرآن والسُّنة على الاصطلاح الذي حدثَ، وبذلك لا تكون لمعاني النصوص استقرار، بل كل يفهمها على حسب هواه.

ثم تكلم عن التأويل ومعانيه الثلاثة.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد، قال رحمه الله تعالى: فإن التأويل يراد به ثلاثُ معان:

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليلٍ يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلاً على اصطلاح هؤلاء.

فلا يكونُ معنى اللفظ الموافِقِ لدلالةِ ظاهرِه تأويلاً على اصطلاح هؤلاء.

وظنوا أن مرادَ الله بلفظه تأويلِ ذلك، وأن للنصوصِ تأويلاً مخالفًا لمدلولها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون، ثم كثير من هؤلاء يقولون تُجرى على ظاهرها فظاهرها مراد

مع قولهم إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع به كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنى الثاني: أن التأويل: هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم وهو موافق لوقفِ من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

كما نُقِل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزُّبير ومحمد بن إسحاق وابن قُتيبة وغيرهم.

وكلا القولين حقٌّ باعتبار كما قد بسطناه في مواضعَ أخر؛ ولهذا نُقِل عن ابن عباسٍ هذا وهذا، وكلاهما حق.

والمعنى الثالث: أن التأويلَ والحقيقةَ التي يؤولُ الكلام إليها، وقد وافقت ظاهرَه؛ فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، والحقائق الموجودة أنفسُها لا ما يُتصوَّرُ من معانيها في الأذهان ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال:﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وهذا التأويلُ هو الذي لا يعلمه إلا الله فتأويل الصفاتِ هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمِها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالكٍ وغيره: الاستواء معلومٌ والكيف مجهول.

فالاستواء معلوم: يُعلم معناه وتفسيره ويُترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

تكلم رحمه الله عن معاني التأويل إن الله قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ لما كان عندهم هذا الخلل في فهم المراد من كلمة التأويل، أوضح أن التأويل له ثلاثة معانٍ.

اصطلاح كثير من المتأخرين، وهذا تنبيه لك إلى أن هذا حدَث بعد السلف وصرْف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمالِ المرجوح لدليل يقترن بذلك على رأيِ هؤلاء المتأخرين؛ فمثلاً عنده استعداد أن يؤول أي صفة من الصفات يقول الدليل أنها تقتضي المشابهة وأنا أؤولها وهذا دليلي.

ولا شك أن اللفظ الأصل أنه على معناه، فإذا أُريد غير الظاهر من معناه فللشافعي رحمه الله في الرسالة كلمة توضح لك متى يصرف اللفظ عن ظاهره، حاصلُه أنه قال لا يُصار لباطنٍ دون ظاهر إلا في ثلاثة أحوال.

الحال الأول: أن يدلَّ على هذا المعنى المصروف إليه القرآن.

الثاني: السُّنة.

الثالث: الإجماع.

لاحظ أن الأمر ليس باليسير أن تصرف اللفظ عن ظاهره؛ لأن الأصل في الألفاظ أنها على ظاهرها.

ما مثال صرف اللفظ عن ظاهره؟ حديث أن الله تعالى يقول: للعبد يوم القيامة «مرضْتُ فَلم تَعُدْني هلْ يُثبتُ اللهُ المرضَ؟ لا. نصرفُه عن ظاهره، نصرفُه عن ظاهرهِ بدليل

قوله: وكيف أعودك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أمَا علِمتَ أن عبدي فلانًا مرِض فلَمْ تَعُدْه؟».

هذا الصرف الظاهر لهذا الحديث عن ظاهره، فلو قال قائل: أُثبت لله المرض كما تُثبت لله تعالى العلمَ وغيره؟ نقول: لا؛ لأن الحديث صُرف في نفسِ لفظ الحديثِ، هذا أمر.

إذًا فهذا بسببه -الحقيقة- انتشرت مقالاتٌ كثيرة في صرف اللفظ عن ظاهرِهِ بهذه الطريقة، وهي طريقة المتكلمين، وإن كان اللفظ قد لا يُراد به ظاهره.

فكما قال الإمام الشافعي رحمه الله: يكون لك دلالة من القرآن أو من السنة أو مما أجمع عليه السلف، وليس إجماعًا مُدَّعًى بل إجماعًا منضبطًا.

قال: فعلى هذا لا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً مخالفًا لمدلولها لا يعلمه إلا الله أو يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء قالوا تُجرى على ظاهرها، هنا عندك اللفظة، فظاهرها مرادٌ مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله.

المعروف عنهم أنهم قالوا: ظاهرها غير مراد لكن يظهر أن فيهم من قال تُجرى على ظاهرها، ومع ذلك يقولون إن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله، فكيف يُثبتون لها تأويلاً ويقولون تُجرى ظواهرها؟ هذا تناقض وإن كان أكثرهم يقولون: الظاهر غير مُراد والربُّ منفردٌ بعلم هذا. من المفوضة قطعًا.

لاحظ عبارة الشيخ عدة مرات يقول من المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمه الأربعة، هذا في المتأخرين صار ينتسب للإمام أحمد في الفقه، لكنه معتزلي وينتسب

للشافعي، لكنه مثلاً أشعري وهذا وُجد في المذاهب الأربعة كلها مع أن الأئمة رحمهم الله تعالى كما تقدم الأربعة جميعًا ضد هذا الكلام وقد حذروا منه.

لكن صار هؤلاء ينتسبون للأئمة في الفقه، ويخالفونهم في المُعتقد الذي يُبنى عليه الفقه؛ ولهذا كان الشيخ يردِّد كلمة المنتسبين، والمنتسبين؛ لهذا السبب.

المعنى الثاني: أن التأويل هو التفسير؛ ولهذا ابن جرير تلاحظه في التفسير يقول: وتأويل هذه الآية اختلف أهل التأويل على أهل التفسير.

فتأويل الشيء هو تفسيره هذا هو المعروف في لغة العرب؛ تارة يوافق ظاهرَه وتارة لا يوافق ظاهره بالاعتبار الذي ذكرته، وهو المعروف في اصطلاح جمهور المفسرين.

وهذا التأويل قطعًا يعلمه الراسخون في العلم ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، العاميُّ ما يعرف الكلالة، لكن الذي يعرف التفسير يقول: من لا ولدَ له ولا والدَ، إذًا هذا تأويل؟ نعم تأويل؛ لأنه معناه التفسير، ما في هذا إشكال.

وقال إنه موافقٌ لوقفٍ، وقفَ على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هذا وقفٌ ونُقِل ذلك عن ابن عباس وعدد من المُفسرين يقول وكلا القولين حق يعني القول بأنه يوقف على قولهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾.

ثم يقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ فيكون استئناف أو تعطف على الربِّ سبحانه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ إذا كانت معنى التفسير؛ لهذا قال: وكلاهما حق، الوقف هذا والوقف هذا.

المعنى الثالث للتأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، فتأويل الجنة ما تأويل الجنة؟ هو أن نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من يدخلها ويكون فيها هذا تأويل الجنة، تأويل الجنة حقيقة الجنة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

فتأويل ما أخبرَ الله به هو الحقائقُ نفسها.

وذكر الآية ثم قال: فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، هذا يمكن أن يُلغز به يعني يُسأل بالسؤال طالب العلم، ليس اللغز الفارغ الذي قلنا إنها... لكن يُمكن أن تسأل طالب العلم سؤالاً فتقول: هل هناك تأويل للصفات؟ إذا كان سنيًّا ففي ذهنه أن الصفات لا تـأوَّل، لكن الصفات هل لها تأويل؟ أنت عرفت الآن معنى التأويل هو الحقيقة، فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بها وهو الكيف المجهول، نعم للصفات تأويل هذا الاعتبار.

يعني تأويلها التي هي حقائقها التي الله عليها وهو الكيفية هذه لا يعلمها إلا الله وهذا مثل الأسئلة هذه مثل ما سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما في إشكال، حلو. نسأل كثيرًا من طلاب العلم نقول: هل النبي صلى الله عليه وسلم يهدي؟ كثير من المبتدئين يقولون: لا، الهداية لله عز وجل، لا، بل يهدي، الهُدى نوعان.

هداية الدلالة: فهو يهدي وكل من مضى على دربه وسنته فهو يهدي بمعنى يدلُّ.

أما الهداية المنفية: وهي قبول القلب الحق، وهذه التي قال الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾.

وكذا الحقيقة أكثر من شيء يحتاج إلى تفصيل؛ ولهذا لا يُجاب فيه بنعم ولا، بل يحتاج إلى تفصيلٍ.

ثم ذكر قول مالك الذي هو الحقيقة قولُ مسددٍ، هذا الإمام وغيره من أئمة السلف يقولون العبارات اليسيرة التي لو كتبتها جاءت في سطر أو سطر ونصف، ثم هي قاعدة، لما سأله رجلٌ عن كيفية الاستواء قال: الاستواء معلومٌ -يعني معناه- والكيف الذي تسأل عنه مجهول، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه -عن الكيفية- بدعةٌ.

الرجل ماذا سأل عنه؟ عن المعنى؟ لو سأل عن المعنى فقال له مالك وروى له ما فسَّر به السلف معنى الاستواء، السلف فسَّروا الاستواء بالعلوِّ على العرش. واضح.

لكن الرجل يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم، فلو سألتني عنه لأخبرتك لأنه معلوم واضح.

أما الكيف: فهو المجهول. الآن المفوضة ماذا فهموا؟ قالوا إن معنى قول مالك إن المعنى غير معلوم، مالك الآن باللسان يقول معلوم، لا تقول غير معلوم، يقول كيف هو المجهول؟ أما المعنى فلا شك أنه معلومٌ.

وقد روي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعةِ أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذَر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل.

من ادَّعى علمه فهو كاذب، وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقولُ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحينَ مَا لَا عينٌ رَأَتْ ولَا أُذنٌ سَمِعَتْ ولَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

وكذلك علم الساعة ونحو ذلك فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خُوطبنا به ونفهم من الكلام ما قُصد إفهامنا إياه كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ فأمر بتدبرِ القرآن كله لا بتدبُّر بعضه.

ذكر هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن التفسير على أربعة أوجه.

تفسير تعرفه العرب من كلامها: إذا كنت عربيًّا أو كنت أعجميًّا وتعلمت اللغة العربية فستعرفه.

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته: مثل الأمر الجلي الواضح كوجوب الصلاة، حرمة الخمر، ما يقول القائل بين المسلمين أني لا أعرف ما أوجب الله في هذا.

وتفسير يعلمه العلماء: لأنه يحتاج لتعلم فلا تكفيك فيه اللغة؛ لأنه يحتاج إلى تعلم ومعرفة.

وتفسير لا يعلمه إلا الله: من ادَّعى علمه فهو كاذبٌ، وهو عِلم كيفيةِ الصفاتِ مثل ما ذكرنا، وهو وردَ عليه قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

الحقائق التي سيكون عليها النعيم نسأل الله الكريم وعن فضلك في الجنة لا يحيط بأحد فيها ما لا عين ورأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا يخطر على قلب هذا في النعيم.

وفي العذاب عياذا بالله لما دعا أهل النار أن يُعذب الفريق الذي أضلهم قال تعالى: ﴿لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ لا تعلمون أصناف العذاب الهائلة التي ستأتيكم وأنتم بالنار ستأتيكم أصناف من النار من عذابه عياذا بالله وآخر من شكله أزواج.

فلا نعيم الجنة ولا عذاب النار لا يحاط به لكن معناه في الجملة معروف؟ معروف ما في هذا إشكال قال: كذلك علم الساعة، ونحو ذلك فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به نعرف أن هناك جنة أعدها الله للمتقين وأن فيها أكلاً وأن فيها شربًا، ولكن مثل ما قال ان عباس ليس في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء، ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾.

زوجان من الفاكهة لا يحيط بها إلا الله ورمان الدنيا ليس كرمان الآخرة، نخيل الدنيا ليس كنخيل الآخرة وهكذا.

قال: إن الله أمرنا بتدبُّر القرآن كله، قال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه، وهؤلاء ماذا يقولون؟ يقولون: تدبر أحكام البيع والشراء والصلوات والوضوء وأمثالها.

لكن العلم بالله لا تتدبر الآيات التي فيه أقول لك: هذا قطع لمعرفة الرب من خلال النصوص والقلوب أعظم ما يزكّيها العلم بالله ذكرنا لك: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.

فإذا كان الله يعلم ما يدور في خلجات الأنفس فإنسان يحذر فلو قيل لنا لا يعرف معنى الآية كيف يترتب؟ كيف يترتب الحذر؟ الحذر لا يكون إلا بعده علم بالمعنى.

ثم ذكر يعني ما يتعلق بعبارات السلف في هذا كعبارة أبي عبد الرحمن السلمي وغيره.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آياتٍ لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وقال مجاهد: "عرضتُ المصحفَ على ابن عباسٍ رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته أقف عند كل آية أسأله عنها".

وقال الشعبي: "ما ابتدع أحد بدعة إلا بكتاب الله بيانها".

وقال مصروفٌ: "ما قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكنَّ علمَنا قصر عنها".

وهذا باب واسع قد بسط في موضعه، والمقصود هنا التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلال في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأنَّ من جعلَ الرسول غيرَ عالم بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات لم يجعل القرآن هدًى ولا بيانًا للناس، ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكليَّة فلا يجعلون عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته في باب معرفة الله

عز وجل لا علواً عقليًّا ولا سمعيًّا وهم قد شاركوا في هذا الملاحدة من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل.

كما أخطأ في ذلك أهلُ التحريف والتأويلات الفاسدةِ وسائرُ أصناف الملاحدة.

المريني -رحمه الله تعالى- قال: أنتم تقولون إن معانيها غيرُ معلومة. السلفُ رضي الله عنهم -الصحابة- إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، مع بعض. الاثنان، ما في فاصل علم وعمل، وهذا يستدعي إذا كان يتعلم ما فيها من العلم أن يعرف المعنى.

وهكذا ابن عباس رضي الله عنهما عرض عليه مجاهد المصحف يوقفه عند كل آية من فاتحته إلى خاتمته ويسأله عنها يدل على غزارة علم ابن عباس.

الآيات التي مرَّ عليها من الفاتحة إلى الناس ما فيها آيات صفات، ولهذا ابن عباس نفسُه- كما قلنا- ألم يفسر معاني نصوص الصفات؟ كل هذا مثل ما ذكرنا يدل على بطلان قولهم بأن المعنى غير معلوم أصلاً.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى-: عودًا على مقالات أصحاب هذه المقالات الفاسدة: أنَّ مَن جعل النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل جبريلَ غير عالمٍ بالمعاني، قد أفحَش في المقالة، قاتله الله، ونسبهما إلى أسوأ ما يمكن أن يُنسب إليه أحدٌ، سواء جهَّلوا السَّلف أو صوَّبوا طريقةَ الخلف، كلاهما من الضلال.

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظِ مَن نقل مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يُعلم به مذهبهم.

روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات في إسنادٍ صحيح عن الأوزاعي قال: كنَّا والتابعون متوافرون نقول: إن الله -تعالى ذكره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

بدأ هنا -رحمه الله- بذكر وسَرد الأقوال، وهذه الأقوال التي ذكرها منها ما هو عن السلف الصالح بدأ به ما هو حكايةٌ لإجماع السلف.

فقوله: كنا والتابعون متوافرون، يعني أن هذا أمر شائع في جيل التابعين ينقله عنهم الأوزاعي، نقول: إن الله -تعالى ذكره- فوق عرشه ماذا يقول المتأولة؟ ماذا يقول المعتزلة الجهمية؟ ما يقال هذا، ولا يحلُّ، نقول: فوق عرشه.

ثم قال: ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته طبعًا، فالكلام واضح جدًّا أن المقصود أنهم يعرفون المعاني.

ساق بعد ذلك الحقيقة حتى أننا تبقي من الوقت الحقيقة قليل لكن بيّن أن هذا مشتهر في زمن التابعين الإيمان بأن الله فوق العرش وبصفاته تبارك وتعالى.

وأوردَ بعد ذلك جملة من مقالات أهل العلم -رحمهم الله تعالى- فبيَّن أنها كلَّها تدل على ما ذكرنا من إثبات الأمور على ظاهرها، لكن في موضع -الحقيقة- يحتاج إلى تبيين، أما عبارات السلف واضحة.

فقد حكى الأوزاعيُّ وهو أحد الأئمة الأربعة بعصرِ تابعي التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليثُ إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق. حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان؛ لأن الله فوق العرش وبصفاته السمعية.

وروى أبو بكرٍ الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقال: "أمرُّوها كما جاءت".

وروي أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالكَ بن أنس وسفيانَ الثوري والليثَ بن سعد والأوزاعيَّ عن الأخبارِ التي جاءت في الصفات، فقالوا: "أمرُّوها كما جاءت" وفي رواية فقالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف".

فقولهم رضي الله عنهم: "أمرُّوها كما جاءت" ردٌّ على المعطِّلة. وقولهم: بلا كيف، ردٌّ على المُمثلة، والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين.

وإنما قال الأوزاعيُّ هذا بعد ظهور أمر جَهمٍ المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك، ومن طبقتهم: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة وأمثالهما.

وروى أبو القاسم الأزجيُّ في إسناده عن مُطرِّف بن عبد الله قال: سمعت مالكَ بن أنس إذا ذُكر عنده مَن يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: "سنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وولاةُ الأمرِ بعدهِ سُنَنًا الأخذُ بها تصديقٌ لكتابِ الله واستكمالٌ لطاعةِ الله وقوةٌ على دينِ الله، ليس لأحدٍ من خلقِ الله تغييرُها ولا النظرُ في شيءٍ خالفَها، من اهتدى بها فهو مُهتدٍ، ومن استنصرَ بها فهو منصورٌ، ومن خالفَها واتبع غير سبيلِ المؤمنين ولاَّه الله ما تولَّى وأصلاه جهنمَ وساءت مصيرًا".

وروى الخلال بأسانيدَ كلُّهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومِن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق"، وهذا الكلام مرويٌّ عن مالكِ بن أنسٍ تلميذِ ربيعةَ من غير وجهٍ.

ومنها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى، قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجلٌ فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟

فأطرق مالك برأسِه حتى الرُّحَضاء (العرق يعني) ثم قال: "الاستواء غير مجهولٍ والكيفُ غير معقولٍ والإيمانُ به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، وما أراك إلا مبتدعًا"، فأمرَ به أن يُخرج.

فقول ربيعة ومالك "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقولٍ" موافقٌ لقولِ الباقين "أمرُّوها كما جاءتْ بلا كيف".

فإنما نفوا علمَ الكيفية ولم ينفوا حقيقةَ الصفةِ.

هذا الموضع يحتاج إلى شيء من التوضيح؛ لأن كثيرًا من المفوِّضة فهموا كلام السلف فهمًا معكوسًا مثل ما فهموا النصوص في القرآن والسنة فهمًا معكوسًا.

الآن هذا الكلام المقصود بإقرار الصفات كما هي، سئلوا عن الصفات فقالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف" الآن هم ماذا نفوا؟ نفوا الكيفية، ولم ينفوا أن يكون لها معنى، فقالوا: إن قولهم: "أمرُّوها كما جاءت بلا كيف" أي: لا تتعرَّضوا لمعانيها.

قُلَّنا أكثر من مرَّة: إن هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام من السَّلف قد تعرَّضوا لمعانيها وبيَّنوها في كتاب الله.

وتجدون تفسيرهم لمعانيها في كتب التفسير المُسندة كتفسير ابن أبي حاتم، تفسير ابن جرير، وكتب الاعتقاد المُسنَدة أيضًا تروي عنهم هذا، لكن دعوا هذا كلَّه وخُذوا الأثرَ العظيمَ النفيسَ العزيزَ الذي رواه اللالكائي الذي يُبَيِّن حقيقةَ مقصدِ السَّلف.

ويرويه الوليد بن مسلم أنه سألَ هؤلاء عن "الرؤية" وعن "الصفات"، فقالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف"، السلف ماذا يقولون في الرؤية؟ يقولون الرؤية حقيقية بالعين، بالعين ينظرون إلى الله عز وجل.

فلو كان معنى قولهم: "أمرُّوها كما جاءت بلا كيف" أنه لا تثبت المعاني لكان معنى ذلك أن السلف يقولون: لا تثبت الرؤية، وهذا لا يقول به أحد مطلقًا.

بل قولهم "أمروها كما جاءت بلا كيف" أي هذه النصوص جاءت بمعانٍ واضحة جليَّة، أمرُّوها بمعانيها السليمة بلا كيف.

ولهذا قال مالك: "الاستواءُ معلومٌ" "الاستواء غيرُ مجهولٍ" كذلك قاله ربيعةُ وغيره.

لهذا جاءت الشبهة والتي سيرد عليها الشيخ الإسلام وهذا الموضوع نفيس جدًّا في الرسالة في الفتوى؛ لأنه تعرَّض له -هؤلاء الذين يقولون: إن السلف يقولون إن المعنى لا يُتعرض له-، ما دليلك؟ قال: الدليل أنهم قالوا: "أمرُّوها كما جاءت بلا كيف" المعنى: أنك لا تتعرض لمعانيها بل أمرَّ الألفاظَ دون التعرُّض لمعانيها، كما ذكرت باطل.

ويدل على بطلانه الأثر النفيس في سؤالهم عن الرؤية، والرؤية كلهم يقولون: إنها تثبت لله تعالى بالأعين، وهذا تجد الأثر هذا في اللالكائي وفي غيره، وفيه دلالة واضحة على أن كلامَهم في الباب واحدٌ، وأنه تُثبتُ المعاني ولا يُخاض في الكيفية.

فلو قال أحد: كيف نرى ربنا؟ نقول: ليس لك أن تقول كيف نرى ربنا؟ نراه كما يَشاء -سبحانه وتعالى- هل هي حقيقية؟ نعم رؤية حقيقية، كذلك الصفات فلها معانٍ حقيقية.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرَّد من غير فهمٍ لمعناه على ما يليق بالله لمَا قالوا "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول"، ولما قالوا: "أمرُّوها كما جاءت بلا كيف"، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلومًا بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

هذا الوجه الأول ردٌّ على المفوضة -الآن ينتشرون- بعضُ منهم يسمي نفسه الحنبلي، وعلى خلاف مذهب أحمد تمامَ المخالفة.

يقول: إذا كان القوم- السلف- قد آمنوا بمجرد اللفظ من غير فهم معناه، كما قلت هذا مكابرة، والسلف فسروا من الفاتحة، مر بك أثر مجاهد، أوقف ابن عباس عنده من فاتحته إلى خاتمته يسأله عن كل آية ما في آيات الصفات.

ولهذا ابن عباس فسر ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة وفسر أسماء الله عز وجل ومعانيها مثل اللطيف وغيره.

إذاً فتعرضوا لبيان معانيها فلو كان القوم كما يظن هؤلاء أنهم آمنوا بلفظ مجرد من غير فهم لمعناه لما قالوا: الاستواء معلوم الاستواء غير مجهول؛ لأنه في هذه الحالة لا يكون معلومًا.

ولما قالوا أمروها كما جاءت فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا يكون مجهولاً هذا الوجه الأول.

وأيضًا فإنه لا يُحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يُفهم من اللفظ معنى، وإنما يُحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أُثبتت الصفاتُ.

رحمة الله عليه، هذا موضع نفيس جدًّا، وفيه إبطالٌ لمقالة هؤلاء على أوضح ما يكون، الآن السلف حين يقولون: أمروها كما جاءت بلا كيف، ما الشئ الذي تنفي عنه الكيفية؟ ما هو؟ فهمت معناه فتنفي كيفيته طيب الشيء الذي لا تفهم معناه؟ هل تقول: بلا كيفية؟ هل فهمت معناه أنا اصلا حتى أنفي عنه الكيفية؟

إذا كانت الصفات كما يقول: بمثابة حروف المعجم ما هي حروف المعجم؟ ألف تاء خاء جيم ها سين دال مفرقة لا تعطيك معنى، فلو قال لك أحد هذه الكلمة مكونة من سبعة أحرف أو عشرة أحرف ما معناها؟

تقول: والله ما أدري ما معناها، ما لها معنى لا في اللغة العربية ولا في الاشتقاق، ما نستطيع أن نعرف معناها، قال: انتبه، هذه الألفاظ لا تُعرف كيفيتها.

أقول: أنا أُريحك، أنا ما عرفت معناها حتى أعرف كيفيتها، الذي يُنفى الكيف عنها هو الذي عُرف معناه.

فنقول كما قال الامام الجليل صاحب الحجة ابن تيمية رحمه الله تعالى "الحجة في بيان المحجة" قال: الذي يُعرف معناه وتُعرف كيفيته هو المخلوق؛ فاستواء المخلوق يعرف لأنك تقيس مخلوقًا على مخلوق فتكون قد عرفت المعنى وعرفت ماذا؟ الكيفية.

قال: أما استواء الله تعالى فيُعرف معناه ويُجهل كيفه، تماما مثل ما يقول مالك، فأنت إذا لم تكن تعرف المعنى أصلا كيف تنفي الكيفية؟ لأنك لا تنفي الكيفية إلا إذا عرفت المعنى.

فتقول إذًا الكيفيات على نوعين:

الكيفية التي للمخلوقين معروفةٌ فنعرف المعنى ونعرف الكيف بأن نقيس المخلوق على المخلوق.

أما صفة الله تعالى فنعرف المعنى ونجهل الكيف.

إذًا فنفي الكيف متى يُحتاج إلى التأكيد عليه؟ إذا عُرف المعنى، أما إذا لم يُعرف المعنى ماذا يقول في آخر كلامه؟ يقول: نفيُ الكيف في هذه الحالة لغوٌ من القول؛ لأن القائل ماذا يقول لك؟ يقول لك أنا ما عرفت المعنى حتى تطلب مني أن أنفي علم الكيفية، إذًا فالذي يُنفى عنه الكيف هو الذي عُرف معناه كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فمن قال إن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان من مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف.

إذا كان الإنسان ينفي وجود معنى للصفةِ يقول الصفة هذه لا تقر لله فيقينًا لن يقول بلا كيف، لأنه ينفي أصل الصفة، فبالتالي لا يقول بلا كيف.

وأيضًا فقولهم: أمرُّوها كما جاءت يقتضي إبقاءَ دلالتها على ما هي عليه؛ فإنها جاءت ألفاظًا دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منفيةً لكان الواجب أن يُقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمرُّوا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقةً، وحينئذٍ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذٍ بلا كيف؛ إذ نفي الكيفية عن ما ليس بثابت لغو من القول.

يقول: قولهم أمروها كما جاءت ماذا يقتضي؟ يقتضي أن تبقى دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظا دالة على معاني.

فلو كانت الدلالة هذه منتفية لكان الواجب أن يقول السلف ماذا؟ أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، فيقول هذه الألفاظ الآن أمروها لكن لا تفهموا أن المعاني الذي دلت عليها مقصودة بل غير مرادةٍ أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يُوصف بما دلت عليه حقيقة، حينئذٍ ماذا يحدث؟ لا تكون قد أُمرت.

إذًا قولهم: أمروها يقتضي إبقاء دلالتها؛ لأنها واضحة وقلنا لك إن أكثرَ من شخصٍ من السلف قالوا قراءتها وتفسيرها واضحةٌ جلية ما تحتاج إلى أن تتفلسف وأن تتكلف هذا التكلُّف.

قال: في هذه الحالة إذا كان على ما الخيارين الأخيرين لا يُقال حينئذ بلا كيف؛ إذ نفي الكيفية أما ليس بثابت لغو من القول، أنت تنفي الكيفية عن شيء ليس بثابت أصلا وهل ثبت حتى يُثبت له كيفية أو تنفى له كيفية؟ هو لم يثبت أصلا.

فأنت تقول إن الصفات في نفس الأمر يعني في الحقيقة نفسها لا تُثبت، إذا كنت لا تُثبت معانيها في أصله لا تُنفي الكيف لأن الكيف أصلا مفرع علمه على معرفة المعنى.

أما أن تقول هذا المعنى الذي لا تفهمه انفي كيفيته وهل فهمت معناه حتى أحتاج إلى أن أوجه إلى أن انفي كيفيته إذا قولهم بلا كيف يعني بلا كيف أن نعلمه بل يعلمه الله.

نقف عند هذا الموضع وبقية المقولات التي سيوردها رحمه الله على نوعين:

النوع الأول: كلام لعدد من السلف المنضبطين، ولعلماء السنة المنضبطين على السنة. هذا واضح.

القسم الثاني: هو كلام عدد من المتكلمين، لماذا يورد كلام الباقلاني؟ ويورد كلام الجويني؟ سيأتيك إن شاء الله تعالى في الموضوع الذي سننتقل له الآن -إن شاء الله عز وجل- يعني عند كلام الماجيشون رحمه الله سنقف عليه.

الآن نعطي كلمة عامة مثل ما قلت في النقول، النقول هذه على النوع الأول نُقول علماء السنة النوع الثاني نُقول أناس من المتكلمين لماذا يريدهم؟ يريدهم لأمرين اثنين:

الأمر الأول: أن كلامهم تضمن شيئًا من الحق فأوردهم لهذا السبب.

الثاني: أن الفتوى موجَّهة يراد بها هداية أتباع هؤلاء، فأنت الآن لو تناظر شيعيًّا وقال: أنا لا يمكن أن أقبل منك كلمة إلا إذا أتيت بها من طريق آل البيت ولا أقرُّ بكلام الصحابة، لا شك أن هذا ضلال وانحراف لكن أقول سآتي لك بكلام آل البيت لا لأن الصحابة لا يُقبل كلامهم معاذ الله ولكن لأنك تقبله، فإذا أتيتك بكلام آل البيت تقبله؟ قال نعم. أتينا بكلام آل البيت لهذا السبب، ليس لأننا نتخلى عن قول الصحابة، لكن نقول لأن هذا قد لا ينفع فيه إلا أن ينقل له عن آل البيت، فإذا قيل هذا كلام آل البيت فإن كنت صادقًا في دعواك اتباع آل البيت فآل البيت هذا كلامهم جلي واضح في نفي الشرك وفي التحذير من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفي الغلوِّ فيهم.

طيب إذا قال أنا لا أقبل إلا من كتبي: نطيعه أو ما نطيعه؟ نقول نأتي لك من كتبك، في كتب الشيعة يا إخوة كل الذي تريدون: فيه منع الخُمس وجواز الخمس، تحريم المِتعة

وجواز المتعة، سبُّ الشيعة ومدح الشيعة، سب الصحابة ومدح الصحابة، كلٌّ فيه، عندك بحار الأنوار هذا فوق أكثر من مائة مجلد.

يقولون إنه كان في السابق خمسة وثلاثون، صار يزيد، وصل مائة مجلد، كتب غير محرَّرة، قابلة للزيادة، يمكن يصل فيما بعد ثلاث مائةِ مجلد وأربعمائة مجلد؛ كل شي فيه.

تتعجب فيه أن الأنبياء لا يورثون، وهم الذي يدَّعون أن الصحابة منعوا فاطمة رضي الله عنها من نصيبها، وكذا فيقال: روى أهل السنة: «نحن معاشر الأنبياء لا نورَّث» قالوا: لا نقبل إلا من كتبنا، نأتي لك منها في كتاب الكافي للكليني، تقبل؟

نفس الشيء بالنسبة للمتعة عندكم عدة روايات أنها محرمة، عندكم المنع من الغلوِّ في القبور في كتاب الكافي للكليني، الكافي عندهم مثل البخاري.

ولذلك لما خطب خطيب من أتباع أحد مراجعهم، وأخذ الروايات هذه الموجودة التي فيها النهي عن الغلوِّ في القبور هاج الغلاةُ منهم، وأحرقوا مساجد أولئك مع أنهم جميعًا شيعة، لأنها موجودة؛ فكتب الشيعة فيها موجود كل شيء، كل شيء فيها، كل ما تهوى به صنفان.

ففيه تحريم المتعة وجواز المتعة مدح الشيعة وسب الشيعة مدح الصحابة وسب الصحابة.

فإذا قال: لا، أنا لا أقبل إلا الروايات التي تتناسب مع اعتقادي، إذًا أنت صاحب هوى؛ حتى لما أتينا لك بالروايات الموجودة في كتبك قلت الآن سأتشهَّى الذي يوافق هواي سأقبل، إذًا أنت صاحب هوى. سقط النقاش معك.

القصد أن نقل كلام هؤلاء إذا تضمَّن حقًا له مقامان اثنان:

المقام الأول لا إشكال فيه، وهو أن يُنقل لمن لا يقبل الكلام إلا من هؤلاء؛ ولذلك الشيخ محمد عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- قال: قلنا لهم -يعني المعاصرين- أنا أحاور الحنفية منكم بكلام المتأخرين من الحنفية والحنبلي والمالكي والشافعي التزم أن لا أنقل له إلا كلام المتأخرين من أصحاب مذهبه، يعني في النهي عن الشرك. هذا نوعٌ من الدعوة إلى الله.

إذ كان لن يقبل إلا من هؤلاء نقول لا إشكال نأتي لك بكلامهم لماذا؟ حتى نقيم عليه الحجة.

للشافعي كلمة تُكتب بماء الذهب في كتاب "الأم" لما ذكر مسألة من المسائل الواردة في النصوص والثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أورد عليها مجموعة من الآثار عن السلف، ثم قال: ماذا ونحن ننقل هذه الآثار حِسبة؛ احتسابًا؛ لأن هؤلاء لا يقبلون إلا إذا نقلنا لهم كلام الناس، ولو كانوا مثلنا في الاكتفاء بكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لما احتاجوا في قبول كلام الله ورسوله إلى كلام الناس.

المقامات تختلف في أُناس ما عندهم استعداد إلا أن يسمعوا من طائفتهم، لا شك أن هذا من فعل أهل الجاهلية.

فنقول هذا المقام لا إشكال فيه لعل الله أن يهديه سيترك الشرك سيترك سب الصحابة إذا نقلت له كلام أهل البيت على الرحب والسعة ما فيه إشكال. أسلوب، لكن إذا كان فيه تقرير الحق نفسه فلسنا بحاجة لا للجويني ولا الزمخشري ولا الغزالي في تقرير نفس الحق لتقوله للناس -لأهل السنة- لست بحاجة إلى نقل كلام هؤلاء، إذا كان عندك كلام ابن عباس ومسعود ومجاهد وقتاده وأئمة الإسلام كالمحدثين وغيرهم من أهل السنة، ماذا أريد من كلام هؤلاء؟ هذا المقام يختلف.

ولأجل ذلك نقل كلام هؤلاء -رحمه الله تعالى-

شخص في الصفحة شخص كم؟ الإخوان: تحقيق دكتور حمد التويجري صفحة ٤٩٨ والإخوان بتحقيق الغامدي صفحة ٢١٠ ننتقلوا إلى المواضع هذه ٢١٠ النسخة التي بتحقيق الغامدي الشخص في الصفحة كم؟ شخص في الصفحة كم؟ أُعد الصفحات مرة أخرى: بتحقيق التويجري صفحة ٤٩٨ وبتحقيق الغامدي صفحة ٢١٠

قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من كلام المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره، ولكن الحق يُقبل من كل من تكلم به.

يقول: السبب هو الحق، يقبل من كل من تكلم به، وليس معنى ذلك أن المتكلمين يقولون بكل ما قلناه في هذه العقيدة.

لكن إذا قالوا شيئًا من الحق فإنَّا ننقله؛ لأننا نوجه الكلام كما قلنا نوجه الكلام إلى من يعظمون مثل هؤلاء.

كان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه: اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافرًا أو قال فاجرًا، واحذروا زيغةَ الحكيم، قالوا: كيف نعلم الكافر يقول الحق، قال: إن على الحق نورًا. أو كلاما هذا معناه.

فأما تقرير ذلك بالدليل وإماطةُ ما يُعرض من الشُّبهة وتحقيق الأمر على وجهٍ يَخلُص إلى القلب ما يَبرُد ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامِهِ، فما تتسع له هذه الفتوى وقد كتبت شيئًا من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصُل المقصود به.

وجِماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصُل منهما كمالُ الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنةَ نبيه وقصد اتِّباع الحق وأعرض عن تحريف الكلِم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسَب الحاسبُ أن شيئًا من ذلك يناقضُ بعضه بعضًا البتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذَا قامَ أحدُكم إلَى الصَّلاةِ فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِه» ونحو ذلك، فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة، فهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

فأخبر أنه فوق العرش، يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنَّا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعَال «واللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وهُو يَعْلَمُ مَا أنتُم عَلَيْهِ»؛ وذلك أن كلمة مع في اللغة إذا أُطلقت فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسَّة أو محاداة عن يَمينٍ وشِمال.

فإذا قُيِّدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة بذلك المعنى فإنه يُقال: مازلنا نسير والقمر معنا، أو النجم معنا، ويُقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة.

يقول: يعني انتبه؛ لأن بعض الناس قد يسوء فهمه، قد استقر عند أهل السنة في إجماعهم أن الله فوق العرش، وتأتي معنا في مثل قوله عز وجل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾.

فهل الله في الأرض؟ ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾.

ويلي الأحاديث السابقة: «لا تأمنُوني وأنا أمينُ مَن في السَّماءِ» «ارحَمُوا مَن في الأرضِ يَرحمُكُم مَن في السَّماءِ».

فالله فوق السماء -سبحانه وتعالى- على عرشه وهكذا الحديث «إذَا قَام أحدُكم إلَى الصَّلاةِ فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِه».

معلوم أنه ليس معناه أنه أمامك الآن، هذا -سبحانه وتعال-ى وإنما المعنى فهو معناه حقيقة هو فوق عرشه يُقبل اقبالًا سبحانه وتعالى على عباده كما يشاء سبحانه.

وجمع الله بين ذلك: ﴿الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ استواؤه على العرش قد علم أنه فوق السماوات كما تقدم.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾

وفي حديث الأوعال «واللهُ فوقَ العرشِ وهُو يَعلَم مَا أنتُم عَليه فَلا يَخفَى عَليه مِن حَالِ الأشياءِ».

ثم نبه على كلمة مع يقول: العرب تقول ما زلنا نسير والقمر معنا، هل مرادهم أنه في متاعهم؟ وأنه معهم على رواحلهم؟ بل هو معناه هو في السماء، فالقمر معنا والنجم معنا قال: فهذا الذي لا ينبغي أن يُفهم الفهم الخطأ لو فهمها أحد يُعدَّل له فهمه يقال له: فهمك هذا غير صواب، فالله تعالى فوق عرشه.

ولهذا في حديث حجة الوداع أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: «وأنتُم تُسألونَ عنِّي فمَا أنتُم قَائِلون؟ قالُوا: نَشهَدُ أنكَ قَد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونَصحتَ»، قال هكذا الله أمامهم جميعًا، أكثر من مائة ألف يشير إلى الله، ثم قال: اشهد يعني إشارته إلى الرب سبحانه وتعالى.

وحديث الجارية أين الله؟ قالت في السماء، فلا شك أن الله تعالى في العلوِّ سبحانه، وهذا أمر قد فطر الله تعالى عليه العباد، وهو معنا سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أمرنا.

ثم هذه المعيَّة تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ دلَّ ظاهرُ الخطاب على أن حكمَ هذه المعيَّة ومقتضاها أنه مطَّلع عليكم شهيدٌ عليكم ومهيمنٌ عالمٌ بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

نقول هذا ظاهر الخطاب، الآية أصلًا بدأت بالعلم وختمت بالعلم: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

خَتم بالعلم وبدأَ بالعلم؛ إذًا المعية في ماذا؟ في العلم.

لهذا قال السلف: إذا احتجَّ عليهم الجهمية قال: اقرأ ما قبله، الموضوع ما هو أصلا؟ الموضوع في العلم ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

قالوا: فالموضوع أصلاً متعلق بكونه معنا سبحانه وتعالى، هل هذا تأويل؟ لا، ليس بتأويل، هذا ظاهر الخطاب وحقيقته، هذا ظاهر الخطاب.

وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.

كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهره، ودلَّت الحال على أن حكمَ المعيَّة هنا مع الاطِّلاع: النصر والتأييد وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

المعية نوعان:

معية عامة: هذه لجميع الخلق؛ فهو سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء سبحانه ولا يخفى عليه شيء وهو مع خلقه بالمعية العامة.

هناك معية خاصة: تكون لأوليائهم ولأنبيائهم وأتباعهم على هدى، مثل قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هذه معيَّة خاصة.

هنا المعيَّة على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن: النصر والتأييد، وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف، ويقول: لا تخف؛ أنا معك، أو أنا حاضر، ونحو ذلك، ينبهه على المعيَّة الموجبة بحكم الحال دفع المكروه.

ففرق بين معنى المعيَّة وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها، أعطاك هذا المثال يقول: صاح صبي وأبوه في السطح فقال: أبوه أطلَّ عليه من النافذة وقال: أنا معك مع أن أباه في العلو في الأعلى يقول: هذا معروف، معناه معروف في لغة العرب ليس معناه أنه مختلطٌ به.

وربما صار مقتضاها من معناها فتختلف باختلاف المواضع، فلفظ المعية قد استُعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر.

فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدلُّ على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن يكون ذاتُ الرب

مختلطةً بالخلق حتى يقال: صرفت عن ظاهرها، ونظيرُها من بعض الوجوه الرُّبوبية والعبودية فإنها اشتركت في أصل الربوية والتعبيد.

فلما قال: ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ كانت ربوبيةُ موسى وهارون لها اختصاصٌ زائدٌ على الربوبية العامة للخَلق؛ فإن من أعطاه الله من الكمال أكثرَ مما أعطى غيره فقد ربَّه وربَّاه وربوبيته وتربيته أكمل من غيره، وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، و﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

فإن العبد تارة يعنى به المعبَّد فيعم الخلق كما في قوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.

وَتَارَةً يُعْنَى بِهَا الْعَابِدَ فَيُخَصُّ ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ فَمَنْ كَانَ أَعْبَدَ عِلْمًا وَحَالًا كَانَتْ عُبُودِيَّتُهُ أَكْمَلَ فَكَانَت الْإِضافَةُ فِي حَقِّهِ أَكْمَلَ مَع أَنَّهَا حَقِّيقَةٌ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ.

لا شيء المقصود بالعبودية: عبودية عامة وعبودية خاصة: برب العالمين هذه عبودية عامة.

مثل ما قال: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ربوبية خاصة، وهكذا العبادة نقصد أنها لها موارد تتفاوت فيها.

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعضُ الناس مشككة؛ لتشكيك المستمع فيها، هل هي من قِبل الأسماء المتواطئة؟ أو من قِبل المشتركة في اللفظ فقط؟ والمحققون يعلمون أنها ليست خارجةً عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك.

وإن كانت نوعًا مختصًّا من المتواطئة فلا بأس لتخصيصها بلفظٍ، ومن علم أن المعيَّة تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلاً، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلوِّ والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط؛ لا حقيقة ولا مجازًا، عَلِم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ولكن لدينا سؤالان بسم الله.

عبارة السلف المشهورة "أمرُّوها كما جاءت بلا كيف" فهم منها المفوِّضة فهمًا باطلاً. اذكر وجهًا من وجوه الردِّ على مقالتهم؟ وجه.

السؤال لصغار السنِّ:

ماذا قال: مالك بن أنس لما سُئل كيف استوى؟

سؤالان للأمهات

السؤال الثاني للأمهات الله يجزاهم خير الأمهات منح محددين عمر معين الأمهات الله يجزاكم خير

ذكر الشيخ أن أصناف المبطلين في موضع الصفات ثلاثة أصناف. اذكر الأصناف الثلاثة؟

هذا السؤال للكبار، هذا السؤال للنساء: المخالفون في باب الأسماء الصفات ذكر الشيخ أنهم ثلاثة أصناف، اذكر هذه الأصناف الثلاثة؟ هذا سؤال.

سؤال آخر، هذا ما قلته سؤال سهل: اذكر دليلاً على صفةٍ من الصفات في القرآن.

ثم مَن توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماءَ تُحيط به وتحويه فهو كاذبٌ إنْ نقلَه عن غيره وضالٌّ إن اعتقده في ربه وما سمعنا أحدًا يفهمه من اللغو، ولا رأينا أحدا نقله عن أحد.

ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء، وأن السماء تحويه؟

لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التَّكلُف أن يُجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالًا لا يفهمُه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله.

بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحدٌ؛ إذ السماء إنما يراد به العلوّ؛ فالمعنى أن الله في العلوِّ لا في السفل.

وقد علم المسلمون أن كرسيَّه سبحانه وسِع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلْقة ملقاةٍ بأرض فلاةٍ وأن العرش وأن العرش خَلق من مخلوقات الله، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته.

فكيف يُتوهَّم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه؟

مراده أنه يقول: أنتم تتكلفون فتقولون: هذه النصوص تدل على معنًى باطلٍ.

بعد ذلك تقولون: نحتاج أن ننفيَ المعنى الباطل ونتأوَّله، وذكر عليه يقينًا أن الله تعالى في السماء، فمعناه أنه فوق السماء سبحانه وتعالى قال: فلو وجد من يكون فهمه.

يقول: لو سألت عامة المسلمين عن هذا لما وجدت المعنى الفاسد الذي يتصوره المتأولون ويقولون: بناءً عليه نحن ننفي هذا المعنى بالتأويل فيقول: أنتم الآن تتكلفون أن تفهموا من النصوص معنًى غير لائقٍ، ثم تقولون: إنَّا نحتاج إلى أن نتأوله، أما النصوص فمعناها جليٌّ وواضح، وهي كمال من جميع الوجوه.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخِلِ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بمعنى على ونحو ذلك.

مراده أن الله في السماء، يقول قوله تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هل معنى ذلك أن الآية تعني أنهم يسيرون كما تدخل الدود في الأرض؟ أو سيروا على الأرض؟ نفس الشيء.

وهكذا قول فرعون: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ هل معناه أنه سيشق الجذوع ويدخلهم فيها؟ لا. يصلبهم على جذوع النخل.

يقول: مقصود بقوله في السماء أنه على السماءعلى مراده وأتى بالأمثلة.

بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازًا، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قامَ أحدُكم إلى الصلاةِ فإنَّ الله قِبَلَ وَجْهِهِ فَلا يَبصُق قِبَلَ وجْهِه»

الحديث حقٌّ على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش وهو قِبل وجهه المصلي، بل هذا الوصف يُثبت للمخلوقات، فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء ويناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قِبل وجهه.

فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قامَ أحدُكم إلى الصلاةِ فإنَّ الله قِبَلَ وَجْهِهِ» وهو على عرشه سبحانه وتعالى ويُقبل على عبده، وهو تعالى على عرشه قال: حتى من يعبد المخلوقات، من يعبد الشمس مثلاً وصار يناجيها من عُباد الشمس، يقال: هو يناجيها، ويقال: إنه الآن يناجي الشمس؛ فالشمس قِبل وجهه والشمس في العلو.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل: بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنكم مِن أحدٍ إلا سَيرَى ربَّه مُخليًا بِه».

فقال: له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سأُنبئك مثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر كلكم يراه مُخليًا به وهو آية من آيات الله، فالله أكبر. أو كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية العباد لله -عز وجل- وهو تعالى واحد والعباد كثير قال: أنتم الآن ترون القمر وهو واحد، ولله تعالى المثل الأعلى فقال: سأُنبئك مثل ذلك على سبيل التقريب: القمر كلكم يراه مُخليًا به وهو آيةٌ من آيات الله، فالله عز وجل أكبر.

مثل ما قال ابن عباس لما سئل عن الرِّزق، لما سئل عن محاسبة الله تعالى لجميع العباد: كيف يحاسبهم في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة، إن الله سبحانه وتعالى لا يُقاس بخلقه.

وقال: إنكم سترون ربَّكم كما ترون الشمس والقمر؛ فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئيُّ مشابهًا للمرئيَّ، فالمؤمنون إذا رأَوْا ربهم يوم القيامة وناجوْه كلٌّ يراه فوقه قِبل وجهه كما يرون الشمس والقمر ولا منافاةَ أصلاً.

ومن كان له نصيبٌ من المعرفة بالله والرسوخ بالعلم بالله يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكدَ.

واعلم أَنَّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مَن يَقُولُ: مَذهَبُ السَّلَفِ إِقْرَارُهَا عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ مَع اعتِقَادِ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ وهذا لفظ مجمَل.

فإن قوله: ظاهرها غير مُراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نُعوت المخلوقين وصفات المحدَثين مثل أن يراد بكون الله قِبل وجه المصلي أنه مستقرٌّ في الحائط الذي يصلي إليه وأن الله معناهُ ظاهرُه أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك.

فلا شك أن هذا غير مراد.

من عبارة أن الظاهر غير مراد قلنا؛ إن الأصل أن الظاهر مراد؛ لأنه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

لكن الإشكال أن اللفظة هذه صارت مجمَلة فصار هنا كمن قد يطلقها ويريد بها باطلاً، وقد يطلِقها ويريد بها معنى، المعنى نفسه حق، لكنه عبر بكلمة غير مُراد.

قال: بهذه الكلمة من قالها وهو يقصِد أن الظاهرَ أن صفات الله كصفات المخلوقين، وأن المُراد بكون الله تعالى قِبل وجه المُصلِّي أنه مُستقِر في الحائط الذي يُصلِّي إليه فلا شك أن هذا غير مُراد، لكن دعواه أن هذا هو الظاهر غير صحيح، ليس هذا هو الظاهر لكن قولك إن هذا هو الظاهر إذا نفيته تكون نفيت معنًى باطلاً، لكن تعبيرك بأن هذا هو الظاهر نقول هذا غير سليم؛ لأن هذا الظاهر لو كان هو الظاهر لفهِمه الصحابةُ الذين سمعوا القرآنَ قبلك.

ومن قال: إن مذهب السلف أنَّ هذا غيرُ مرادٍ فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا هو ظاهرُ الآيات والأحاديث.

إذا قال أحدٌ: هذا مذهب السلف. قد أصبت في أمر، إذا قال: إن مذهب السلفَ هذا غير مرادٍ يقال أصبت في نفيك هذا عن مذهب السلف، لكن أخطأت بالتعبير حين تقول إن ظاهره غير مراد. من قال إن هذا هو الظاهر؟ هذا ليس هو الظاهر.

فإن هذا المحال ليس هو الأظهر على ما قد بيَّنَّاه في غير هذا الموضع، اللهم إلا أن يكون هذا المعنى المُمتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار معذورًا بهذا الإطلاق فإن الظهورَ والبطونَ قد يختلفُ باختلافِ أحوالِ الناس، وهو من الأمور النسبيةُ وكان أحسنَ من هذا.

يقول: الظهور والبطون من الأمور النسبيةِ؛ يعني يتفاوتُ الناس في ظهور المسألة وخفائها بحسب ما يؤتي الله العبدَ من علمٍ؛ قلة أو كثرة.

فلهذا قد يأتي أحدٌ يقول: هذا الظاهرُ غير مُرادٍ، يأتي لك شخصٍ من المشبِّهة ويقول: إن ظاهر هذَا الحديث هو مثل ما تقدَّم أن الله -عز وجل- بيني وبين آحاد.

فيقال: الظاهرُ غيرُ مرادٍ يقول: لأنه يرد على مَن فهم فهمًا خاطئًا لكلمة الظاهر، لكن الواقع أن هذا إطلاق غير صحيح؛ لأن الظاهر من قال إن هذا هو الظاهر كما سيأتي، ولهذا قال: وكان أحسن من هذا.

وكان أحسن من هذا أن يبيَّن لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر أن هذا ليس هو الظاهر حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله حقَّه لفظًا ومعنًى.

إنْ كَانَ النَّاقِلُ عَنِ السَّلَفِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ الظَّاهِرِ غَيْرَ مُرَادٍ عِنْدَهُمْ أن المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديثِ مما يليق بجلال الله وعظمته لا يختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزةٌ عليه جوازًا ذهنيًّا، أو جوازًا خارجيًّا غيرُ مُرادٍ فقد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب.

إذا قال: مذهب السلف إن ظاهرها غير مراد أنه عدم إثبات هذه المعاني على ما هي عليه، بالمدلول اللغوي ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

يقول لكم في هذه الحالة: لا شك أنه إما أخطأ في نقله عن السلف أو أنه تعمد الكذب على مذهب السلف.

فما يمكن أحدٌ قطُّ أن ينقلَ عن واحدٍ من السلف ما يدلُّ لا نصًّا ولا ظاهرًا، أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمعٌ وبصر ويد حقيقةً وقد رأيت هذا المعنى ينتحلُه بعض من يحكيه عن السلف

ويقول: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفاتِ الله سبحانه، ولكن السلفَ أمسكوا على تأويلها، والمتأخرون رأو المصلحةَ تأويلها؛ لمسيس الحاجة إلى ذلك.

ويقول: الفرق أن هؤلاء يعيِّنون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون؛ لجواز أن يُراد غيره، وهذا القول على الإطلاق كذبٌ صريحٌ على السلف.

أما في كثيرٍ من الصفات فقط عن مثل أن الله فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يُحكَ هنا عُشْره علمَ بالاضطرار أن القوم كانوا مصرِّحين بأن الله فوق العرش حقيقةً وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

يعني هؤلاء يريدون أن يجمعوا بين قول السلف بين خصومهم، فيقولون قول السلف وقول المتأولين من الجهمية والمعتزلة وأضرابهم سواءٌ.

كلهم يقولون: إن ظاهره غير مراد، لكن السلف رأوا ألا يحددوا المرادَ، والمتأخرون هؤلاء الذين هم خصوم السلف والذين امتحنوا السلف وآذوا السلفَ وأئمةَ الإسلام رأوا المصلحة أن يؤولوا. يعني يريدون أن يجمعوا بين الإمام أحمد والمعتزلة، يريدون أن يجمعوا بين السلف وبين الجهمية. هذا كلام فارغ لا شك أنه لا يقوله إنسان يعي فوارق ما بين السلف وما بين هؤلاء الخصوم لهذا قال: هذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف.

ثم ذكر أن كثيرًا من الصفات يُقطع فيها بأن هذا من الكذب على السلف؛ فالسلف يقرون أن الله فوق العرش وكلامه في هذا كثير ومن تأمل كلام السلف الذي لم يحكَ عُشره، يعني هنا في هذه الفتوى، علم أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش وبجميع ما يتعلق بإثبات الصفات.

والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعةِ ما أمكنَ من كلام السلف ما رأيت كلامَ أحد منهم يدل لا نصًّا ولا ظاهرًا ولا بالقرائن على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، بل الذي رأيته أن كثيرًا من كلامهم يدل إما نصًّا وإما ظاهرًا على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقُل عن كل واحد منهم إثباتَ كل صفة.

بل الذي رأيته أنهم يُثبتون جنسَها في الجملة وما رأيت أحدًا منهم نفاها وإنما ينفون التشبيه.

يعني لا تقل لي: هات عن عمر وعن أبي بكر وعن مجاهد وعن قتادة، في كل صفة من الصفات: ماذا تقول؟ ما تستطيع أن تقول هذا.

لكن لا شك أنهم في عموم الصفات لهم منهج واحد، ثم تأتي آثار؛ تارةً عن الصحابِة وتارة عن التابعين، تارة عن الجميع في إثبات بعض الصفات، وتكثر هذه الآثار.

في بعض الصفات قد لا تجد إلا عن عددٍ أقل من السلف.

فالحاصل أن مجموع ما هم عليه هو هذا، لكنهم كانوا ينفون التشبيه قطعًا وفي الوقت نفسه كما سيأتي.

إذا رأوا الرجل يبالغ في نفي التشبيه من غير إثبات اتهموه بأنه جهمي؛ لأن السلف منهجهم ما هو؟ إثبات ونفي، فكونك تثبت ولا تنفي، أو كونك تنفي ولا تثبت، هذا ليس منهج السلف؛ لأن السلف يُثبتون ما أثبت الله وينفون ما نفى الله.

وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقهم مع إنكارهم على من نفى الصفات كقول نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه

فقد كَفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كَفر، وليس ما وصف اللهُ به نفسَه ولا رسولُه تشبيهًا.

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرقَ في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: جهميٌّ معطِّل، وهذا كثيرٌ جدًّا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهة، كذبًا منهم وافتراءً، حتى إن منهم من غَلا ورمَى الأنبياء صلوات الله وسلامهم عليهم بذلك؛ حتى قال ثُمامةُ بن أشرس: من رؤساء الجهمية ثلاثة من الأنبياء مشبهةٌ: موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾.

وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، ومحمد حيث قال: «ينزلُ ربُّنا».

ثم هذا نموذج والذي لم تسمعه أكثر لعلمك، وتقرأ كلام المعتزلة تجد أناسًا من أوقح الناس وأقلهم أدبًا.

كذلك المتكلمون، لكن ما كل ما يُعلَم يُقال، فيهم من الجلافة وقلة الأدب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ما تسمع يقول: هل هذا من الأنبياء المشبهة؟ الأنبياء هل يتكلمون من أنفسهم؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وإذا كان أغضبك قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فقد قال الله عز وجل ما يبين هذا في خبر الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وهكذا يفتن -تعالى- بما شاء، ومعنى الفتن: الاختبار، يختبر بما شاء، فيقول هذا الوقح، هو رجل سبحان الله من الثمامية من المعتزلة وكان متظاهرًا حتى بشرب الخمر قبحه الله، ومن مجان المجون من المعتزلة يقول: هذه الكلمات الهائلة هذه أن هؤلاء مشبِّهة.

إذًا لا تستغرب إذا قالوا إن أهل السنة مشبِّهة لكن سيصل إلى حدِّ الأنبياء فلا تستغرب، وذكرنا لك أن الجهمي -قاتله الله- وهو يقرأ رفسَ المصحفَ بقدمه؛ لأن الموجود في النصوص عكس ما يعتقدون، فلا يطيقونه.

وهذا الذي ذُكر عن جهم رواه الإمامُ أحمد والبخاريُّ: أحمدُ في كتابه "الردُّ على الجهمية"، والبخاري في "خلقُ أفعال العباد" فهم أناس يرى كثير من السلف أن هذه نوع من الزندقة وأنهم إنما يتخذون موضوع منع التشبيه وغيره كستارٍ، وإلا ففي حقيقتهم أنهم زنادقة.

وحتى إن جلَّ المعتزلة تدخل عامة الأئمة؛ مثل مالك وأصحابه والثورية وأصحابه والأوزاعيَّ وأصحابه والشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبِّهات.

هم يرون هذا بكل وقاحة يتحدثون في العلماء بشكل صريح: أحمد، مالك، الشافعي.

وذكر الشيخ هذا عن جميع المعتزلة حتى الأشعرية، إذا أردت أن تعرف وضع الأشعرية فانظر قول الأشعرية في موضع الإيمان.

أنقل لك قول بعضهم من الأشعرية والماتريدية، معلوم أن الإيمان عند السلف قول وعمل، يزيد وينقص النسفي لما ذكر قول الغلات من وجه أنه مجرد التصديق قال: بالوقوف على ذلك ثبت بطلان القول من جعل الأعمال إيمانًا وهو قول الفقهاء أصحاب الحديث، أصحاب الحديث يعني أهل السنة.

السمرقندي المشهور الحكيم يقول: من قال إن الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب فهو مبتدعٌ هذا قول السلف.

التفتازاني أورد قول السلف الإيمان ثم قال صراحة: وهو مذهب السلف، جميع أئمة الحديث والمحكي عن المالك والشافعي والأوزاعي؛ يعني ما خفيَ عليه أنه قول السلف، وعليه إشكال ظاهر.

وقال الآمدي: وبهذا يتبينُ فساد قول الحشْوية: إن الإيمان هو التصديق بالجِنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

فعندهم وقاحةٌ في التعرُّض للسلف؛ ولهذا -سبحان الله- مسألة الإيمان ما استطاعوا أن يمسكوا أنفسهم عندها، نصُّوا على مالك والشافعي، مع أن بعضهم يكون على مذهب مالك في الفقه، وعلى مذهب الشافعي، لكن ما مزيَّة العقيدة؟ تُبِين حقيقة صاحبها.

مثل الآن الذي يتحدث في مالك والشافعي وأحمد أشدُّ من الذي يتحدث في أبيك، عندك.

عامة المسلمين إذا تحدثت فيهم، أنت تريد إسقاط إمامةَ هؤلاء الأئمة.

فهؤلاء لما وصلوا إلى هذا المواضع كل المواضع موجودة في كتبهم موثَّقة، فالمتكلمون عمومًا حتى لا نطيل على الناس، المتكلمون عمومًا هذا منهجهم، منهم من يصرِّح ومنهم من لا يصرح، وإذا أتوا إلى مواضع المفاصلة بينهم وبين أهل السنة أساءوا القول، وتلفَّظوا بألفاظ لا تليق.

وفي كتبهم -الحقيقة- من هذا الشيء كثير به تعرف أنهم اتبعوا الأئمة في المذاهب الفِقهية لكن خالفوهم في الاعتقاد الأكبر الذي تبنى عليه مسائل الفقه ولهذا صار عندهم هذا الانفصال.

يكون متعصبا بعض الأحيان لقول يحكيه في الفقه وقد يكون قولا مرجوحًا ويقول إمامه: لا تتعصب لقولي فإذا جاء القول المتعلق بالاعتقاد الذي عليه الجميع من علماء

السلف؛ صحابة تابعين وأئمة الإسلام وجدته يأخذ بقول المتكلمين ويهاجم قول السلف.

ولهذا انظر عبارة الحشوية هذه الحشوية ماذا؟ الحشو يعني: حشو الناس هم الذين لا خيرَ فيهم ولا يعني ليس عندهم لا علم ولا شيء يقولون هذا عبارة على السلف، فسبحان الله العقائد تبين أصحابها ومقالات المعتزلة والمتكلمين عمومًا والجهمية مقالات فاسدة وخبيثة.

وكذلك الفروع المتفرِّعة عنها؛ ولهذا ما نحاول بعض الأحيان تجد لهم مدحًا ومقالات جيدة في السلف بل ردًّا على الرافضة ولهم ردود حسنة جدًّا على الرافضة، لكن إذا جاءت المسألة العقدية التي فيها الخلاف بينهم وبين السلف سمعت مثل هذا.

المعتزلة ترى أن أحمد ومالك والشافعي وأصحابهم أنهم مشبهة، وعندهم هذه العبارة: مشبهة، مشبهة، من لا يوافقها قالت إنه مشبهة، حتى يعبث بالنصوص ويكون على مقالته، يستوي في هذا منهم الكُلاَّبي والجهمي والمعتزلي والأشعري والماتريدي، وكتبهم في هذا فاضحة واضحة، كما نقلت الكلام الذي قلت هذا الآن في موضوع الإيمان، لكلام الماتريدية وكلام الأشعرية.

بل ابن نجيم في "النهر" قال: "من قال إن الإيمان يزيد وينقص فإنه مرتدٌّ".

هذا إجماع السلف عليه، أحسن ما يقال فيه أنه ما عرف قول السلف، هذه عبارة فظيعة تقول: إن قول السلف الذي اجتمعوا عليه تقول: اللالكائي، هذه الآجري ينقلون الإجماع؛ لأن هذا قول السلف يزيد وينقص.

فيقال في أحسن الأحوال أنه ما فهم ما عرف أن هذا قول السلف، ومن نشأ في بيئة لا يعرف قول السلف لظن أن هذه المقالة ليست للسَّلف، وإلا الحقيقة مقالاتهم سيئة جدًّا. نسأل الله أن يجزي شيخ الإسلام المثوبة ويغفر له.

والمتبقي الحقيقة مفيدٌ ونافع، لعل طالب العلم يقرأه، لكنه بلا شك يحتاج إلى شيء من التبيين والتوضيح؛ كأن الأخوة يريدون إيقاف البرنامج، وربما بعض الأخوة يريد السفر ونحوه.

والمتبقي إن شاء الله متيسر إن شاء الله والله أعلم وصلى الله عليه وسلم على نبيه.

بسم الله..

والحقيقة أن الأمرَ -كما قلت لكم- ما كنت أنوي أكمل، لكن هذا نموذج على أفعال الله التي تقع ولا يقع مُراد العبد، والتي خشيت -أنكم- بعض الإخوة يريد السفر، لكن لما قال الشيخ أنه أنا كنت سأجيب على الأسئلة فقط الحقيقة، لكن ماذا نعمل بهذا؟ نُتم لعله خير إن شاء الله عز وجل.

على كل حالٍّ مثلما قلنا، يعني هؤلاء يسيئون القول جدًّا بالسلف على ما ذكرنا لكم، فذكر الشيخ يعني شيئًا من كلام المعتزلة والجهمية في أئمة الإسلام؛ كأحمدَ والشافعيِّ وأمثالِهم ومثل ما قلنا، وغيرهم كثير.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

قال رحمه الله تعالى: **وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ دِرْبَاسٍ الشَّافِعِيُّ جُزْءًا سَمَّاهُ "تَنْزِيهُ أَئِمَّةِ الشَّرِيعَةِ عَنْ الْأَلْقَابِ الشَّنِيعَةِ" ذَكَرَ فِيهِ كَلَامَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ فِي مَعَانِي هَذَا الْبَابِ، وَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يُلَقِّبُ "أَهْلَ السُّنَّةِ" بِلَقَبِ افْتَرَاهُ - يَزْعُمُ أَنَّهُ صَحِيحٌ عَلَى رَأْيِهِ الْفَاسِدِ - كَمَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُلَقِّبُونَ النَّبِيَّ بِأَلْقَابِ افْتَرَوْهَا. فَالرَّوَافِضُ تُسَمِّيهِمْ نَوَاصِبَ وَالْقَدَرِيَّةُ يُسَمُّونَهُمْ مُجْبِرَةً، وَالْمُرْجِئَةُ تُسَمِّيهِمْ شَكَّاكًا وَالْجَهْمِيَّة تُسَمِّيهِمْ مُشَبِّهَةً، وَأَهْلُ الْكَلَامِ يُسَمُّونَهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتَ وَغُثَاءً وَغُثْرًا إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ.**

كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَارَةً مَجْنُونًا وَتَارَةً شَاعِرًا وَتَارَةً كَاهِنًا وَتَارَةً مُفْتَرِيًا.

قَالُوا وهَذا عَلَامَةُ الْإِرْثِ الصَّحِيحِ وَالْمُتَابَعَةِ التَّامَّةِ فَإِنَّ السُّنَّةَ هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ اعْتِقَادًا وَاقْتِصَادًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا؛ فَكَمَا أَنَّ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْهُ

يُسَمُّونَهُمْ بِأَسْمَاءَ مَذْمُومَةٍ مَكْذُوبَةٍ - وَإِنِ اعْتَقَدُوا صِدْقَهَا بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِمْ الْفَاسِدَةِ - فَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ؛ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

على كل حال، تلقيبُ أهلِ السنة من قِبل أهل الباطل هذا قديم وهو مستمرٌّ لا يقفُ إلى اليوم، يتْلون أنواع الذمِّ وأنواع المسبَّة، أنت تعلم أنَّ صاحب الحقِّ لا يردُّه نوعُ استهزاء أو نوع تعيير؛ لأن الحق الذي هو عليه هو الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، والله -عزَّ وجلَّ- أخبر أن الرُّسل تُبتلى، وكذلك أتباعهم يبتلون قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

فكذلك أتباع الرسول لهم أعداء من المجرمين؛ ولهذا قالوا "لكل قوم وارث"؛ فالمؤمن لا تزعزعه مثل هذه التسميات أو هذه التهويلات التي يهوِّلون بها، وأنها يترتب على قولكم كذا وكذا، إنما هذا كما يُقال "الصراخ على قدرِ الألم"، فلما جاءتهم النصوص القوية والتقريرات العلمية -الحقيقية- صاروا يشنِّعون وصاروا يتهمون وتارةً يعيّرون بأنواع من التعيير، صاحب الحق لا يتراجع عن هذا بل يحمد الله على أن عافاه مما ابتلوا به، ويحرص -الحقيقة- على أن يجعل الحقَّ في قالب سليمٍ، بعيد عن التشويه، فما أسرع أن يكون الواحد من هؤلاء -الذين هم على أشد ما يكونون من البغضاء لمنهج السلف- أن يكون من خير الدعاة إليه!

فلأجل ذلك من المهم أن يُتعامل مع هؤلاء بالتعامل المتناسب مع الشرع، فكثير -الحقيقة- من هؤلاء هم دَهماء؛ يتأثرون بكلام مجموعة من رؤسائهم، ويسعون إلى فاصل بينك وبين الوصول إلى من يكون من الشباب الطيبين منهم ذوي النوايا الحسنة، فأنت لا تُقابل هذا الطيشَ بطيشٍ مثلِه؛ لأنك كالذي يثبت ما يقولون.

فلك أن تتصور أن مثل هذه التهويلات والتعيير وأنواع السِّباب والشتائم إذا قُوبلت بالصفح والإعراض، والوصول إلى المرادِ والمقصود، وهو: وصول الحق، تعلم أن هذه في غاية القوة؛ لهذا قالوا: إن عليَّ بن الحسين -أظن أنه علي بن الحسين رحمه الله- لقيه أحدُ بني عمِّه وكلهم من آل البيت رضي الله عنهم فلم يبقِ ولم يذَرْ من السبِّ وسوء الكلام، عليٌّ بن حسين رضي الله عنه زين العابدين كان مشهورًا بسمتٍ وعبادةٍ فلم يردَّ عليه، فلما جاء الليل طرقَ عليه البابَ وقال: يا بنَ عمٍّ؛ إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن كنتُ على غير ما قلتَ -ما هو المقابل؟ لم يقل لعنك الله، لكن قال-: غفر الله لك، قال: فبكى حتى رحموه وصار يبكي، الطرف الثاني اشتد بكاءُه واعتنقه من ندمه على الموقف غير السليم.

فالذي سيصل إلى هذا ابن عمر، نسأل الله أن يكرمنا بصفاتهم.

ابن عمر يقول: أنا وأخي -نسيث يقول- لا نقابل شتائمَ الناس؛ يعني لو قيل له: إنه يتكلم فيك، قال: يتكلم، أو لا يتكلم.

فالذي سيعاني ولا سيما من يكونون في.. المحيط -الحقيقة- مليء مثلًا بالرافضة أو مليء بالصوفية وأمثالها يحتاج إلى شيء من التصبُّر وإلى شيء من الصَّفح، كثير من الناس لا يدري بالحق الذي عندك، ويراد أن تقول كلمة فيها نوع من الطيش والعَجلة؛ حتى يقال: أرأيتم؟ انظر كيف يتكلم؟ هو يقصد كذا!، فإذا قابلهم السُّنيُّ بالصفح والإعراض...

ولأجل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خصم له لدود انفردَ به مع بعض المفسدين، وكان شيخ الاسلام في منأى، فضربوا شيخ الإسلام حتى أنهم قطعوا ثيابه فعلم الناس -فيما بعد- بالذي حصل لشيخ الإسلام، فاجتمع مجموعة من الجنود -العسكر- واجتمع مجموعة من الناس وطلبوا خصْمَ الشيخ هذا، وعلم الوالي، وصار يتتبعه، فقال

الشيخ: إن كان الحق لي فأنا مُسامح، وإن كان الحق لله فالله يأخُذه، وإن كان الحق لكم فخذوا الحقَّ أنتم.

بحث الوالي، بحثت الشرطة، بحث الناس، لم يجدوا هذا الرجل، أين كان؟ في بيتِ شيخ الإسلام! أخفاه شيخُ الإسلام عنهم، ثم أتى الوالي وطلبَ منه الصفحَ عنه.

الحقيقة، الذي سيصل إلى مثل هذه المقامات ويُعينه الله تعالى على الدَّفع بالتي هي أحسن، سينفع الله به دعوته أكثرَ من الذي يقابِل الكلمةَ بأشدَّ منها والسبِّ مثله، ولأن هذا سنة هؤلاء يعني أنهم يحرصون على التعيير وعلى العبارات الجوفاء، والله المستعان.

أَمَّا الَّذِينَ وَافَقُوهُ بِبَوَاطِنِهِمْ وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ الظَّوَاهِرِ، وَالَّذِينَ وَافَقُوهُ بِظَوَاهِرِهِمْ وَعَجَزُوا عَنْ تَحْقِيقِ الْبَوَاطِنِ، وَالَّذِينَ وَافَقُوهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ: فَلَا بُدَّ لِلْمُنْحَرِفِينَ عَنْ سُنَّتِهِ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِيهِمْ نَقْصًا يَذُمُّونَهُمْ بِهِ، وَيُسَمُّونَهُمْ بِأَسْمَاءَ مَكْذُوبَةٍ - وَإِنْ اعْتَقَدُوا صِدْقَهَا - كَقَوْلِ الرافضي: مَنْ لَمْ يُبْغِضْ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَعُمَرَ: فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا؛ لِأَنَّهُ لَا وِلَايَةَ لِعَلِيٍّ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمَا ثُمَّ يَجْعَلُ مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ناصبيًّا؛ بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْمُلَازَمَةِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي اعْتَقَدوهَا صَحِيحَةً أَوْ عَانَدوا فِيهَا وَهُوَ الْغَالِبُ.

وَكَقَوْلِ الْقَدَرِيِّ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ (أي أراد ما يكون، هذا مراده) وَخَلَقَ أَفْعَالَ الْعِبَادِ: فَقَدْ سَلَبَ مِنْ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارَ وَالْقُدْرَةَ وَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ كَالْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا إرَادَةَ لَهَا وَلَا قُدْرَةَ.

وَكَقَوْلِ الجهمي: مَنْ قَالَ إنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ: فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُورٌ وَأَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ مَحْدُودٌ، وَأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِخَلْقِهِ.

وَكَقَوْلِ الْجَهْمِيَّة والْمُعْتَزِلَةِ: مَنْ قَالَ إنَّ لِلَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ وَأَنَّهُ مُشَبِّهٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إلَّا بِجَوْهَرٍ مُتَحَيِّزٍ وَكُلُّ مُتَحَيِّزٍ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ أَوْ جَوْهَرٌ فَرْدٌ وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ مُشَبِّهٌ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ.

مُقتضى الكلام هذا كله أيًّا كان من الرافضة أو الجهمية؛ إما أن تقول بقولي وإلا فسأتهمُك بأنك مشبِّه أو ناصبيٌّ أو كذا: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، إذا قال لك مثلًا الكلام لا يمكن أن تترك الحق الذي علمتَه لأجل مثل هذه الأمور، على كلِّ حالٍ، هذه طريقتهم يعني يحاولون أن يهوِّلوا ويقولون: من لم يقل بقولنا فإنه قد قال بضدِّه، وهذا القول يترتب عليه كذا وأنه يصف الله بما لا يليق، أو الرافضي يقول: لا تحب أبا بكر وتحب عليًّا معًا؛ إما أن تحب أبا بكر وإما أن تحب عليًّا؛ فإذا أثبتُّ لك أن عليًّا يحبُّ أبا بكر وعمرَ محبةً عظيمةً وأنه من محبتِه لأبي بكر وعمر وعثمان سمَّى أبناءه بأبي بكر وعمر وعثمان، كما سمَّى الحسن والحسين ومحمدًا فقد سمَّاهم بهؤلاء وزوَّج عمر -على كِبر سنه- بنتَه أم كلثوم وهي صغيرةٌ.أنت الذي ما فهمت.

إما أن تكون أنت مدرك: شيخُك الخارجي أيضًا يقول: مَن أحب عليًّا فلا يمكن أن يجتمع حبُّ عليٍّ وحبُّ أبي بكر وعمر، فإن أحببت أبا بكر وعمر جميعًا مع عليٍّ فأنت رافضيٌّ.

وبهذه الطريقة، ولهذا قال أنس رضي الله عنه: قالوا: لا يجتمعُ حبُّ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في قلب واحد وكذبوا، قد وُجد -ولله الحمد- حبهم جميعًا في قلوبِنا.

الحاصل: أن مثل هذه الأمور التي يشوشون بها؛ جهمية ومعتزلة ورافضة، المقصود بها: تهويل المقالة المخالفةِ، وأنها يترتب عليها كذا، وأنك ستكون ناصبيًّا، ناصبيٌّ على

أساليبِك أنت؟ ليس بها إشكال بفهمك أنت؟ وأنت يا خارجي أكون رافضيًّا بفهمك أنت؟ ليس فيها إشكال.

ولهذا قال الشافعي رحمه الله تعالى:

إن كان رفضًا حبُّ آل محمد*** فليشهد الثَّقلان أني رافضي.

وقال ابن تيمية:

إن كان نصبًا حبُّ صحب محمد*** فليشهد الثَّقلان أني ناصبي.

فكونك تقول لي ناصبي أو رافضي أنا لا أترك عقيدتي لأجل مثل هذه التُّرَّهات.

وَمَنْ حَكَى عَنْ النَّاسِ " الْمَقَالَاتِ " وَسَمَّاهُمْ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَكْذُوبَةِ - بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِم الَّتِي هُمْ مُخَالِفُونَ لَهُ فِيهَا - فَهُوَ وَرَبُّهُ وَاَللهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

وَجِمَاعُ الْأَمْرِ: أَنَّ الْأَقْسَامَ الْمُمْكِنَةَ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا "سِتَّةُ أَقْسَامٍ" كُلُّ قِسْمٍ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ. "قِسْمَانِ" يَقُولَانِ: تُجرى عَلَى ظَوَاهِرِهَا.

و "قِسْمَانِ" يَقُولَانِ: هِيَ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا. و "قِسْمَانِ" يَسْكُتُونَ. أَمَّا الْأَوَّلُونَ فَقِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا مَنْ يُجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَيَجْعَلُ ظَاهِرَهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فَهَؤُلَاءِ الْمُشْبِهَةُ وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ أَنْكَرَهُ السَّلَفُ وَإِلَيْهِمْ يَتَوَجَّهُ الرَّدُّ بِالْحَقِّ

الثَّانِي: مَنْ يُجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ كَمَا يُجْرِي ظَاهِرَ اسْمِ الْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ وَالرَّبِّ وَالْإِلَهِ وَالْمَوْجُودِ وَالذَّاتِ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ؛ فَإِنَّ ظَوَاهِرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِين؛ إِمَّا جَوْهَرٌ مُحْدَثٌ وَإِمَّا عَرَضٌ قَائِمٌ بِهِ؛ فَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ

وَالْكَلَامُ وَالْمَشِيئَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْعَبْدِ أَعْرَاضٌ؛ وَالْوَجْهُ وَالْيَدُ وَالْعَيْنُ فِي حَقِّهِ أَجْسَامٌ، فَإِذَا كَانَ اللهُ مَوْصُوفًا عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ بِأَنَّ لَهُ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَكَلَامًا وَمَشِيئَةً - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَرَضًا؛ يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، جَازَ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ اللهِ وَيَدَاهُ لَيْسَتْ أَجْسَامًا يَجُوزُ عَلَيْهَا مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

هذا امتداد يعني مرة أخرى عاد ليقسِّم مقالاتِ الناس فيها وقال: أنتم تقولون إن هذه أعراض، قلنا العرَض: هو الذي لا يبقى، لكنكم تقولون في الصفات التي تقرونها إنها لا يقال فيها ذلك والصفات التي لا تقرونها كالوجه وغيره تقولون إنها أعراض، فلا ينبغي أن تُقال، أنتم تقولون في العلم والقدرة إنها تثبَت لله بما يليق بجلاله ولا يَلزم عليه هذه اللوازم، فكذلك الوجه واليد والغضب وغيرها، أثبتوها كما يليق بالله عز وجل.

وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي حَكَاهُ الخطَّابي وَغَيْرُهُ عَنِ السَّلَفِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ جُمْهُورِهِمْ وَكَلَامُ الْبَاقِينَ لَا يُخَالِفُهُ؛ وَهُوَ أَمْرٌ وَاضِحٌ فَإِنَّ الصِّفَاتِ كَالذَّاتِ. فَكَمَا أَنَّ ذَاتَ اللهِ ثَابِتَةٌ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ فَصِفَاتُهُ ثَابِتَةٌ حَقِيقِيَّةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ. فَمَنْ قَالَ: لَا أَعْقِلُ عِلْمًا وَيَدًا إِلَّا مِنْ جِنْسِ الْعِلْمِ وَالْيَدِ الْمَعْهُودَيْنِ. قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ تَعْقِلُ ذَاتًا مِنْ غَيْرِ جِنْسِ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ صِفَاتِ كُلِّ مَوْصُوفٍ تُنَاسِبُ ذَاتَه وَتُلَائِمُ حَقِيقَتَهُ؛ فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ - الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ - إِلَّا مَا يُنَاسِبُ الْمَخْلُوقَ فَقَدْ ضَلَّ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ.

الصفاتُ مضافةٌ لله -عز وجل- إذًا هي لائقة بالله فإذا قلتَ إنها لا تليق بالله -عز وجل- فنقول لك: هل لله ذات؟ تقول: نعم، هل ذات الله مثل ذوات المخلوقين؟ يقول: لا، منزهة على أن تكون مثل ذوات المخلوقين، كذلك صفات الله -عز وجل- فإذا قال: لا، أنا أقبل أن ذات الله لا تكون مثل ذوات المخلوقين لكن الصفات لا تليق بالله أو بعض الصفات لا تليق بالله، كما يقول في الصفات الاختيارية قيل: هذا تحكُّم، هذا كلام ليس كلامًا علميًّا هذا، فكما أن الله له ذات تليقُ به فكذلك صفاته؛ لأن الصفات تابعه للذات، فكما أن صفات الله تعالى تليق به والمخلوق له صفات تليق به فلا ينبغي الخلط في هذه الحالة، أما إذا قلت: لا، الصفات لا تليق بالله والذات تليق بالله، هذا مجرد تحكُّمٍ فارغ، ما هو منطلق انطلاقة علمية.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إذا قَالَ لَك الجهمي كَيْفَ اسْتَوَى أَوْ كَيْفَ يَنْزِلُ إلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا أَوْ كَيْفَ يَدَاهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ هُوَ فِي ذَاتِهِ؟ فَإِذَا قَالَ لَك لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إلَّا هُوَ، وَكُنْهُ (كنه يعني حقيقة الباري) الْبَارِي تَعَالَى غَيْرَ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ، فَقُلْ لَهُ: فَالْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمَ بِكَيْفِيَّةِ صِفَةِ الموْصُوفِ ولَمْ تَعْلَمْ كَيْفِيَّتَهُ وَإِنَّمَا تَعْلَمُ الذَّاتَ وَالصِّفَاتِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي لَه. بَلْ هَذِهِ " الْمَخْلُوقَاتُ فِي الْجَنَّةِ " قَدْ ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إلَّا الْأَسْمَاءُ وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُ ﴿لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ «فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

فَإِذَا كَانَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ وَهُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ كَذَلِكَ، فَمَا ظَنُّك بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَهَذِهِ " الرُّوحُ " الَّتِي فِي بَنِي آدَمَ قَدْ عَلِمَ الْعَاقِلُ اضْطِرَابَ النَّاسِ فِيهَا وَإِمْسَاكَ النُّصُوصِ عَنْ بَيَانِ كَيْفِيَّتِهَا؛ أَفَلَا يَعْتَبِرُ الْعَاقِلُ بِهَا عَنْ الْكَلَامِ فِي كَيْفِيَّةِ اللهِ تَعَالَى؟

يعني هذه الروح الآن في الجسد، ما دامت الروح في الجسد؛ فالإنسان حيٌّ، حتى لو سقط من مكان عالٍ، حتى لو أصيب بحروق شديدة فهو حيٌّ، إذا خرجت الروح من الجسد، فحتى لو كان الإنسان في كامل عافيته وشبابه يموت.

هذه الروح التي في الإنسان، قال أهل العلم: جعلها الله تعالى عِبرةً له هو، إذا لم تعرف حقيقةَ الروح التي بين جنبيك أنت، فكيف تتسوَّرُ على الغيب وتريدُ الاطِّلاع حقيقة صفات الله تعالى، فجعلَ الله هذه الروح عبرةً للإنسان؛ ليعلم أن هناك ما لا يُحيط به إلا الله.

ولم يجعل تعالى العبرة في هذا فقط بما حوله؛ لأن ما حولك كثير مما تَعتبره، لكن جعلها في روحك التي بين جنبيك، أكثرُ ما يقال في الروح باطلٌ لا حقيقة له أو لا دليل عليه، والمعلومُ من الروحِ هو الموجودُ في النصوص فقط، أما ما سواه فكثير من خلط.. خلط.

فمثلًا مما عُلم من النصوص قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرُّوح إذا خرجَ تبعَه البصر» كل ميِّت يشخص بصره بإذن الله، متى سترى روحك؟ إذا خرجت، قبلها لا تعرف، فتظل هذه المسألة لا يحيط بها إلا الله، وكذلك قال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ فالأرواح بإذن الله -عز وجل- يقبضُها الله -عز وجل- عند النوم؛ لذلك جاء في الحديث أن "النوم الموتة الصغرى".

الأرواح بإذن الله -عز وجل- مَن شاء الله تعالى له حياةً رجعتْ روحُه إلى جسده، الأرواح مقبوضة من قضى الله أن يموت يموتُ في فراشه، يحركه أهله وإذا به ميت لم ترجع له روحه ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

ولهذا في الذكر الوارد: «باسمكَ ربِّي وضَعتُ جَنبي وبكَ أرفعُه فإنْ أمْسكتَ نَفسِي فارْحَمْها، (قد تُمسكُ نفسُك إذا نمتَ) وإنْ أرسلْتَها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادَك الصَّالحينَ».

أعطني معلوماتٍ موثَّقةً عن الروح، لا تستطيع إلا من خلال النصوص، مادام الأمر بهذا الوضع في الإنسان نفسِه ففي غيب الله -عز وجل- الذي لا يُحيط به إلا الله -عز وجل- من بابِ أولى أن يقصُر عنه.

مَعَ أَنَّا نَقْطَعُ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي الْبَدَنِ وَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ؛ وَأَنَّهَا تُسَلُّ مِنْهُ وَقْتَ النَّزْعِ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ لَا نُغَالِي فِي تَجْرِيدِهَا غُلُوَّ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ - حَيْثُ نَفَوْا عَنْهَا الصُّعُودَ وَالنُّزُولَ وَالِاتِّصَالَ بِالْبَدَنِ وَالِانْفِصَالَ عَنْهُ، وَتَخَبَّطُوا فِيهَا حَيْثُ رَأَوْهَا مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْبَدَنِ وَصِفَاتِهِ فَعَدَمُ مُمَاثَلَتِهَا لِلْبَدَنِ لَا يَنْفِي أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ ثَابِتَةً لَهَا بِحَسْبِهَا إِلَّا أَنْ يُفَسِّرُوا كَلَامَهُمْ بِمَا يُوَافِقُ النُّصُوصَ؛ فَيَكُونُونَ قَدْ أَخْطَئُوا فِي اللَّفْظِ وَأَنَّى لَهُمْ بِذَلِكَ.

أَمَّا الْقِسْمَانِ اللَّذَانِ يَنْفِيَانِ ظَاهِرَهَا؛ أَعْنِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهَا فِي الْبَاطِنِ مَدْلُولٌ هُوَ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى قَطُّ وَأَنَّ اللهَ لَا صِفَةَ لَهُ ثُبُوتِيَّةً؛ بَلْ صِفَاتُهُ؛ إِمَّا سَلْبِيَّةٌ وَإِمَّا إِضَافِيَّةٌ (كل هذا مضى)، **وَإِمَّا مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا أَوْ يُثْبِتُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ - وَهِيَ الصِّفَاتُ السَّبْعَةُ أَوْ الثَّمَانِيَةُ أَوْ الْخَمْسَ عَشَرَ - أَوْ يُثْبِتُونَ الْأَحْوَالَ دُونَ الصِّفَاتِ** (الأحوال هي التي قلت لكم، أحوال من؟ (أبي هاشم): لا معدومة ولا موجودة ولا مجهولة، هذه الثمانية، هذا ما قلناه لكم، كل هذا يسمي نفسه صاحب عقل، وصاحب دراية والله المستعان).

كَمَا عُرِفَ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

فَهَؤُلَاءِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَتَأَوَّلُونَهَا وَيُعَيِّنُونَ الْمُرَادَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى؛ أَوْ بِمَعْنَى عُلُوِّ الْمَكَانَةِ وَالْقَدْرِ، أَوْ بِمَعْنَى ظُهُورِ نُورِهِ لِلْعَرْشِ؛ أَوْ بِمَعْنَى انْتِهَاءِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَقِسْمٌ يَقُولُونَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهَا؛ لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ إِثْبَاتَ صِفَةٍ خَارِجَةٍ عَمَّا عَلِمْنَاهُ.

وَأَمَّا الْقِسْمَانِ الْوَاقِفَانِ:

فَقسمٌ يَقُولُونَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهَا الْمُرَادَ الأليق بِجَلَالِ اللهِ؛ وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُرَادُ صِفَةَ اللهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ. (الفقهاء المتأخِّرين، انتبه هذا المراد هذا كثير من الفقهاء المتأخرين، انحرفوا عن منهج السلف).

وَقَوْمٌ يُمْسِكُونَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ وَلَا يَزِيدُونَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَةِ الْحَدِيثِ مُعْرِضِينَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ. فَهَذِهِ "الْأَقْسَامُ السِّتَّةُ" لَا يُمْكِنُ الرَّجُل أَنْ يَخْرُجَ عَنْ قِسْمٍ مِنْهَا. وَالصَّوَابُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا؛ الْقَطْعُ بِالطَّرِيقَةِ الثَّابِتَةِ كَالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فَوْقَ عَرْشِهِ، وتُعلَم طَرِيقَةَ الصَّوَابِ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ؛ دَلَالَةٌ لَا تَحْتَمِلُ النَّقِيضَ؛ وَفِي بَعْضِهَا قَدْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ ذَلِكَ مَعَ احْتِمَالِ النَّقِيضِ وَتَرَدُّدُ الْمُؤْمِنِ فِي ذَلِكَ، هُوَ بِحَسَبِ مَا يُؤْتَاهُ مِنْ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

لا شك، الذي يعتاد التعاملَ مع نصوص الصفات في القرآن وفي السنة ويكون عنده إلمام بتفسير السلف، وعنده معرفة -ولو متوسطة- باللغة العربية، تجد أنه يقطعُ بمعاني الصفات، لكن يأتي آخر لا يقطع؛ لأنه لا يعرفُ الدِّلالة مثلما قلنا في مثله "استوى" وأنه

دليل على العلوِّ، ولا يكون معنى إلا العلوّ، والشواهدُ في اللغة من هذا، فيتفاوت الناس بهذا بحسب ما آتاهم الله تعالى من العلم.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. **وَمَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَوْ غَيْرُهُ فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ:** ﴿كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ جبرائيل وميكائيل وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِك فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ؛ اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِك؛ إنَّك تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، **وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُد "أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ فِي صِلَاتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ ذَلِكَ.**

يعني من اشتبه عليه الأمر، بعض الناس يكون في محيطٍ تشتبه عليه مثل هذه الأمور، وإن لم تشتبه عليه من عَرف -مثلما قلنا- يشتبه عليه مقالات السلف، يقول يلجأ إلى الله ويدعو بهذا الدعاء العظيم: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل -إلى قوله- اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إلَى اللهِ وَدَعَاهُ وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى.

هذا الكلام المستقيم، الجأ إلى الله، واعملِ السبب، أَقبل على فهم كلام الرب -عز وجل- وكلام رسوله من كلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، أما أن تريد الهدايةَ وأنت في فلسفةٍ أو في كلام أو في غيره أنَّى لك بذلك؟

أنت الآن وضعت الحواجز التي تمنعك من الوصول إلى الحق، فإذا أنتَ أردت أن تأخذ مثلًا كلام السلف من تفسير ابن جرير وتفسير ابن أبي حاتم التي تَروي بالأسانيد أو كتب الاعتقاد، المسند، وتعودت على هذا، والأحسن أن تدرسه على أهله من أهل العلم يتضح لك الطريق يعني يتضح لك تمامًا أن السلف يستحيلُ أن يكونوا قائلين مثل هذه المقالات.

إذًا فالسلف في جهةٍ وهؤلاء في جهةٍ، ولا يوجد عاقل يختار على منهج الصحابة والتابعين، لاحظ أول ما استهل به ما قال في بداية الفتوى قولنا فيها قول الله ورسوله، وقول السابقين من المهاجرين والأنصار وأئمة المسلمين، فأنت ارجع إلى كلامهم.

أما أن تروم المعرفة بحقائق هذه الأمور وأنت قائلٌ من مقالات المتكلمين، لن تستطيع؛ لأن المتكلمين لم يخلصوا أنفسهم فيخلصوك هذا الواقع، هم ما خلَّصوا أنفسَهم، هم في غاية الحيرة، فهم في نهاية المطاف تنظر للذي يقول:

أموت على عقيدةِ عجائزنا السابقين، والذي يقول:"وأرواحنا في وحشة من جسومنا"، والذي يقول:

لقد تأملتُ الطُّرق الكلامية. هم ما خلصوا أنفسهم.

ثُمَّ إنْ كَانَ قَدْ خُبِّرَ نِهَايَاتِ أَقْدَامِ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِين فِي هَذَا الْبَابِ؛ وَعَرَفَ غَالِبَ مَا يَزْعُمُونَهُ بُرْهَانًا هُوَ شُبْهَةٌ وَرَأَى أَنَّ غَالِبَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ يُؤَوَّلُ إلَى دَعْوَى لَا حَقِيقَةَ لَهَا؛ أَوْ شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِيَاسٍ فَاسِدٍ؛ أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لَا تَصِحُّ إلَّا جُزْئِيَّةً؛ أَوْ دَعْوَى إجْمَاعٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؛ أَوْ التَّمَسُّكِ فِي الْمَذْهَبِ وَالدَّلِيلِ بِالْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ.

ثُمَّ إنَّ ذَلِكَ إذَا رُكِّبَ بِأَلْفَاظِ كَثِيرَةٍ طَوِيلَةٍ غَرِيبَةٍ عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ اصْطِلَاحَهُمْ - أَوْهَمَتِ الْغِرَّ مَا يُوهِمُ كالسَّرَابُ لِلْعَطْشَانِ - ازْدَادَ إيمَانًا وَعِلْمًا بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ

فَإِنَّ "الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ" وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ أَعْلَمُ كَانَ لِلْحَقِّ أَشَدَّ تَعْظِيمًا وَبِقَدْرِهِ أَعْرَفَ.

يقول إذا خبرت نهايات قدام المتفلسفة والمتكلمين الآن هؤلاء الذين جعلتهم أئمة، وعرفت أن غالب ما يزعمونه برهانًا قطعيًّا يقينيًّا أو مجرد شبهة، وأن الواحد منهم الذي يقول إن هذا برهان، يمكن أن ينقضَه في كتاب آخر، غالب ما يعتمدونه هو دعوى ليس لها حقيقة مجرد دعوى يدعونها

أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كليه لا تصلح هذه القضية التي يدعون أنها كلية تشمل الجميع إلا الجزئية أو دعوى اجماع وهذا كثير جدًّا، فيها كثير ما يلجؤون للإجماع، أجمع المسلمون، أجمع العقلاء، حتى قال شيخ الإسلام: إن أحد كبارهم مرة قال: إن هذا القول قاله الشافعي، يقول: فقيل له: أين قال ذلك الشافعي؟ الشافعي كان مضبوط في الأم أو في الرسالة أو مرويًّا عنه بالسند، أين قال هذا؟ قال: فقيل له أين قال ذلك الشافعي؟ قال: الشافعي عاقلٌ وهذا قول العقلاء، والشافعي لا يخالف العقلاء، بهذه الصورة نسبها للشافعي وقال، ولما حقَّق عليه القول، هات القول من كتب الشافعي قال هذا قول العقلاء، يعني أجمعوا عليه، والشافعي عاقل وهو لا يخالف العقلاء

لكن تلاحظ أنها مجرد دعاوى يدعونها.

ثم قال الشيخ: إنهم يركِّبون هذه المقالات بألفاظٍ كثيرة طويلة غريبةٍ، استمعت بعض الأحيان إلى كلامهم وأنت مثلاً في بدايات شبابك: "إن النقل لا يثبت إلا بالعقل فإذا قدح في العقل سقط الوثوق بالنقل؛ لأن النقل لم يثبت إلا بالعقل، فيترتب على ذلك القدح في النقل والعقل، فوجب تقديم العقل على النقل"، سمعت الكلام هذا كلام العلماء هذا، وهو كلام فارغ نقضَه عليهم شيخ الإسلام، وذكرنا لكم أن العقل بمثابة البصِر وأنه لا يمكن أن يعمل إلا في الإضاءَة، مثل الشمس، النقل كالشمس يسير عليها المبصر.

فكذلك النقل يدلُّ العقلَ؛ لأن الذي أنزل النقل هو الله والذي ركَّب العقل هو الله، ولا يجعل الله -عزَّ وجلَّ- في العقل الصحيحِ ما يخالف النقلَ الذي أنزله، لا يجوز أن يُنسب هذا إلى الله، لكن أن يكون عقلك فاسدًا وتتصور أن هذا مخالفٌ للعقل. هذا وضع آخر.

فالحاصل أنه مثل هذه العبارات أنت لاحظ بعض العبارات الآن التي يكون فيها نوع من التشدُّق في الألفاظ وكذا، يظن الناس أنها تدل على علمٍ، وعلى غزارة، يأتي طالب العلم وينقل هذا الكلام من أوله إلى آخره، ويقول هذا الكلام أصلاً أخذته من كلام الجويني وركَّبته مع كلام الغزالي، وكلام الغزالي أصلاً في وادٍ وهذا الوادي. خبصَتِ الأمورُ كلُّها فوقه.

فالعامة لا يتصورون أن هذا هو الواقع، لكن الذي يعرف الكلام يقول: أصل كلامك أخذته من كلام الغزالي، وترى الغزالي رجع عنه. لا تعلم؟ عندما تمسك الآن بكلام الغزالي الأول، لكن كلام الغزالي في ما بعد رجع عنه، وهو مَن بنى عليه وهو الذي تتكلم عنه الآن سواء علمت وأخفيته أو ما علمته أعطيناك إياه، صاحب الكلام تراجع عنه.

كثير الحقيقة من الشبهات تكون بهذه الطريقة حتى الشبهات المعاصرة لمجموعة من الملاحدة وغيرها مبنية على التهويل والعبارات الضخمة والرنانة، الشك هذا يكون في حقوق الإنسان وأن حقوق الإنسان ينبغي أن يكون فيما انتشر للأسف في الاشتراكية في المسلمين إلا بهذه الطريقة.

وأن الإسلام أتى بحقوق العمال والطبقات الضعيفة، وأن الإسلام في أصله مجموعة من الأنظمة الاشتراكية، وأن أبا ذرٍّ كان اشتراكيًّا، وأن عمر رضي الله عنه أجلهم الله كان من الاشتراكيين وكان مراعيًا للضعفاء.

فجاءوا في هذا القالب وصدَّقهم مجموعة من الأوباش، ثم جاءت الديمقراطية فقال لك: ديمقراطية، عمر رجل ديمقراطي، شفت تعامله مع الناس وأسلوبه؟

وكلما أتى مذهب من هذه المذاهب الخبيثة أدخلوا فيها عمر: الاشتراكي: يقول عمر اشتراكي، الديمقراطي معناه إيديولوجيا.

هذه في جهة، وعمر أطهر وأزكى، والصحابة أزكى من هذه المذاهب التي هي أصلاً مبنيةٌ على فلسفة إلحاديةٍ، أين عمر من الإلحاد؟ أين أبو ذر من الإلحاد؟

لكن إذا سمعتَ مثل هذا الكلام فقلت: والله جزاهم الله خيرًا، يريدون إعطاء الطبقاتِ الضعيفةَ والعمالَ وأعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عَرقه، هذا الجانب الذي يظهرُ للعامة.

لكن الذي يعرفُ حقيقة النظرية، وهي أنها نظرية قائمة على الإلحاد أصلاً يدرك هذا، ويبدأ في الردِّ عليه ينوِّر من حوله من المسلمين وإلا -سبحان الله- كنا نَسمع إذاعَاتهم في السَّابق أبدًا، كذلك الوقت هذه إذاعات، تقول أبدًا خمس ست سنين، والشيوعية، هذه تنتشر الأرض، خلاص يعني تسمع كلامهم وتخاف على المسلمين قطعًا؛ لأنها لا تساوي عندنا الأحذية، نعرف أنَّها باطلة.

لكن سمعت عباراتهم وشدَّة وثوقهم بأن هذا العدلَ سيعم الأرض وستسقط الطبقات البرجوازية، وسيعود الطبقات المسحوقة والعمال، وكذلك، ثم شقي الناس في تلك البلاد وأكثر من شقي الطبقات الضعيفة ثم سقطت في سبعينَ سنةً.

المذاهب -يا إخوة- تبقى بعض الأحيان سبعمائة وخمسمائة سنة، عبادة الأصنام من عهد قومه ما سقطت في كثير من الناس، هؤلاء سقطوا في سبعين سنة، بدأوا اشتعلوا اشتعالاً ثم هبطوا، كيف انتشرت في كثير من المسلمين بالتهويل والعبارات، هذا موجود عند أهل الباطل دائمًا صاحب الباطل ضعيف، فيزخرف باطله بزخرف القولِ الفارغ.

فَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ فَيُخَافُ عَلَيْهِ مَا لَا يُخَافُ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ وَعَلَى مَنْ قَدْ أَنْهَاهُ نِهَايَتَهُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ فَهُوَ فِي عَافِيَةٍ وَمَنْ أَنْهَاهُ فَقَدْ عَرَفَ الْغَايَةَ فَمَا بَقِيَ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَهُوَ عَطْشَانُ إِلَيْهِ قَبِلَهُ وَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُ فَمتَوَهَّمٌ بِمَا يَتَلَقَّاهُ مِنْ الْمَقَالَاتِ الْمَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظمِه وتهويلا.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّم وَنِصْفُ مُتَفَقِّه وَنِصْفُ مُتَطَبِّب وَنِصْفُ نَحْوِيّ، هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ وَهَذَا يُفْسِدُ الْأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَان.

الكلامُ خلاصته: أن الذي يقفُ على حقيقةِ الكلام مثل ما وقف الرازي والغزالي والجويني وتراجعوا وأملوا، يقول: هؤلاء عرفوا حقيقة الكلام وعرفوا نهاياته، وأنه ليس وراءه شيء، فيرجعون إلى دين العجائز ويكتبون وصيةً بالرجوع عن هذا الباطل وأنهم نادمون إلى آخره هذا الصنف الأول.

الصنف الثاني: الذي لم يدخل في هذا الباطل ولا يعرفه، فهذا في عافية.

يقول: الذي يخاف عليه هو المتوسط، هذا المتوسط في غاية الحماس، وكثير منهم الآن لاحِظوا مجموعة من الأشاعرة الآن في النت وفي غيره، المتوسطون وننتظر لعلك تصل إن شاء الله إلى مقامات الرازي والغزالي وتعرف الكلام الذي يقوله لك السلف، ماذا قال الجويني؟

لقد خضتُ البحر الخضمَّ ودخلت في الذي نهاني عنه أهل الإسلام والآن أعود إلى عقيدةِ أمي.

تقول أنت الآن مشتعلٌ ومتحمِّس لأنك ما وصلت إلى المقام الذي وصله الجويني والرازي والغزالي وأمثالهم من النظار الكبار، فأنت متوسط فأنت متوهِّم أنك ستجد الحق والصواب وتجتهد اجتهادًا كثيرًا في التأليف والتصنيف والردود.

يقول: وقد قال بعضُ الناس: أكثر ما يفسد الناس ليس الطبيب، لا نصف الطبيب، وليس المتكلم نصف المتكلم، ونصف المتفقّه، ونصف النحوي.

هذا يفسدُ الأديان؛ يعني هو نصف المتكلم، أما المتكلم الخالص عرف أن هذا باطل ورجع عن مقالاته.

نصف المتفقه: لا هو بفقيه كامل ولا هو بعامي جالس وترك الناس من شرّة، فيفتي ويخبص فيفسد عليهم دينهم.

الثاني نصف المتطبِّب: لا هو يقول أنا لست من أهل الطب ويسلم الناس من تطببه، لكنه يتطبب فهو مع نصف الطب.

والآخر نصف النحوي: لا هو بالذي ألم بالنحو ولا هو بالذي سلَّم وقال لست من أهل الشأن.

فهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد الأديان، وهذا يفسد اللسان، يعني كل واحد منهم، لأنه في منتصف طريقه وذلك أنه يجرُؤ على ما لا ينبغي أن يجرُأ عليه.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ هم فِي الْغَالِبِ ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُمْ وَالْعَاقِلُ: أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يَقُولُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَأَنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ بِبَيِّنَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا قِيلَ فِيهَا

حُجَجٌ تهافت كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا * حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ**

(تهافَت أصلها تتهافَت، فحذفت التاء الأولى)؛ **وَيَعْلَمُ الْعَلِيمُ أَنَّهُمْ مِنْ وَجْهٍ مُسْتَحِقُّونَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ. وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ إذَا نَظَرْت إلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْقَدَرِ - وَالْحَيْرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ وَالشَّيْطَانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيْهِمْ - رَحِمْتهُمْ وَرفقْت عليهِمْ؛ أُوتُوا ذَكَاءً وَمَا أُوتُوا زَكَاءً، وَأُعْطُوا فُهُومًا وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا، وَأُعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَة:** ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا بِهَذِهِ الْأُمُورِ: تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حِذْقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخِبْرَتُهُمْ حَيْثُ حَذَّرُوا عَنْ الْكَلَامِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابُوهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَمْ يَزْدَدْ إلَّا بُعْدًا.

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ.

أنزل الله له المغفرة وغفر الله له، ختامًا لهذا الكلام العظيم، يقول:

إذا نظرت إلى هؤلاء وحججهم كما قال الشافعي حجج تهافت الزجاج تخالها حقًّا وكل كاسر مكسور.

لكن إذا نظرت إليهم نظرت إليهم من جهتين الجهة الأولى:

إذا نظرت إليهم من جهة ما أحدثوا في الأمة والفتنة التي فعلوها تقول: يستحقون ما قاله الشافعي حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ويُطاف بهم في العشائرِ والأسواق، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

لكن إذا نظرت إليهم من زاويةٍ أخرى والقدَر قد حلَّ بهم والحيرة مستولية عليهم واستحوذ عليهم الشيطان رحِمتهم من هذه الناحية؛ وذلك لأن أهل السنة هم أرحم الناس بالخلق، فأنت ترحمهم وتتمنى أن يمُنَّ الله عليهم بالفكاك من هذا الباطل الذي هم فيه، وتحمد الله -عزَّ وجلَّ- على المنة التي آتاك وتحرص على أن توصل الخير إليهم قدرَ ما تستطيع.

ولذلك قلنا: إن من الأساليب التي تنفع فيهم أسلوب الهدوء وأسلوب الترفق لعل الله أن يخلصهم ثم لا تدري قد يهدي الله تعالى على يديك أحدًا يكون خيرًا منك في الأمة فيما بعد، وينفع الله تعالى به ويكون إمامًا من أئمة الهدى، وتكون أنت المتسبب فيه، فتكون أعماله كلها مكتوبة في حسناتك وإن لم تستطع الوصول إلى ما وصل إليه؛ لأن الإمامة في الدين يجعلها الله لمن يشاء.

لذا قال الجُنيدُ بن محمد رحمه الله، الجنيْدُ بن محمد يقينًا ليس من مخرفي الصوفية، بل هو من زهَّادهم الذين كانوا على السنة، قالوا إنه سمع واعظًا فهداه الله، الواعظ هذا لا يعرف أحدًا.

الجنيد بن محمد يسمونه "سيد الطائفة"، قالوا: عصفور صادق النية، الجنيِّدُ كبير رحمه الله.

والحقيقة أن الجنيد والفضيل بن عياضٍ وأمثالهما ومن قبلهما، وكذلك الداراني، وسهل بن عبدالله، هؤلاء سالمون من جهة المعتَقد وإن نَسب لهم -للأسف- الصوفيةُ كثيرًا من الأباطيل لكن ما ذنبهم؟ كما أن الرافضة تنسب إلى علي وإلى علي بن الحسين والحسن رضي الله عنهم فلا ذنبَ لهم، هؤلاء من الزهاد رحمهم الله تعالى؛ ولذا يثني عليهم أئمة الإسلام كابن تيمية وابن القيم ويثنون عليهم.

واللالكائي روى عقيدة سهل بالسند مع عقيدة أحمد ومع عقيدة البخاري، فتأتي في كتب الصوفية تجد لهم مقالات شنيعة لكن لا سند ولا شيء، يقول قال سهل، فبعض

الناس صاروا يذمون سهلًا والجنيد يقولون إنه يقول كذا، من يقول لك؟ قال: قاله الشعراني في الطبقات ماذا يساوي؟ إذا قال قال سهل وكم بينه وبين سهل من القرون؟ ليس له علاقة، ليس له ذنب، كما أن عليًّا لا ذنب له، كما أن المسيح لا ذنبَ له، حين افترى عليه النصارى ما افتروا.

فمثل هؤلاء -رحمهم الله تعالى- على هدى وعلى سنةٍ رحمهم الله تعالى ولا علاقة لهم بالتصوف المنحرف الذي صار على الطرق وعلى أمثالها، فيقول على كل حال هؤلاء ترحمهم وتتمنى أن يهديهم الله -عزَّ وجلَّ-، وقد يهدي الله تعالى كما قلنا من يكون خيرًا منك وأنفع للأمة منك، وتكون سببًا من الأسباب.

ثم ختم بهذا الكلام المستقيم قال: هؤلاء إذا نظرتَ إليهم: أوتوا ذكاءً؛ أذكياء وما أوتوا زكاة؛ لأنه الذي يزكيك النصوص، أُعطوا فهومًا، عندهم فهم وما أعطوا علومًا، فاتهموا علم الكتاب والسنة وفقه السلف، لكن جعلوا تلك الجهود الكبرى في كلام الفلاسفة وفي غيرِها؛ فهم عندهم ذكاء لكن ما عندهم زكاة، عندهم فهوم، فهموا لكن ما وفِّقوا للعلوم العلم النافع، ما العلم هو؟ والعلم معرفة الهدى بدليله هذا قول ابن القيِّم، تعريف العلم "معرفة الهدى لا معرفة الضلال"، فهم ما عرفوا الهدى وإنما عرفوا الضلال وتبحروا فيه وصاروا يعطوك مقالات الفلاسفة وأشكالها وألوانها والمذاهب فيها، تتعجب من سرده له وإتعابِه نفسه في مثل هذا لكن ما أعطي علمًا، أعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

ثم قال: من كان عليمًا بهذه الأمور تبين له بذلك حِذق السلف وفائق خبرتهم؛ حيث حذَّروا من الكلام، ونهوا عنه، وعابوا أهله بعلمهم أن مَن ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدَدْ إلا بعدًا، نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح.